مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣
مكتبة الأسرة

د. محمد عبدالقادر حاتم

دور الإعلام المصري في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية في حرب أكتوبر ١٩٧٣



الأعمال الخاصة

دور الإعلام المصرى فى تحقيق

المفاجأة الاستراتيجية

فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

دور الإعلام المصرى فى تحقيق

المفاجأة الاستراتيجية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

د. محمد عبد القادر حاتم

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

إشراف: غادة الريدى

دور الإعلام المصرى فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

د. محمد عبدالقادر حاتم

تصميم الغلاف والإشراف الفنى:

للفنان : **محمـود الهندى**

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:

محمود عبدالمجيد

المشرف العام :

د. سميـــر سرحــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشـبـاب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

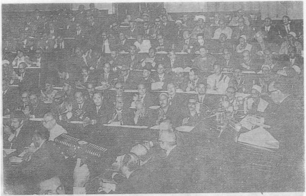
د. سمير سرحان

يتناول هذا الكتاب

« دور الإعلام المصرى فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية »



الرئيس السادات يسلم الدكتور حاتم – قرار تشكيل حكومة أعداد الدولة للحرب ٧٣



رئيس حكومة اعداد الدولة للحرب فى مجلس الشعب بيان الحكومة عام ٧٣ يلقيه رئيس الحكومة د. عبد القادر حاتم













العلم بعد رفعه على شط القناة



د. حاتم رئيس حكومة ٦ اكتوبر ٧٣ بالنيابة عن السادات – لجنة العمل العليا

معلومات نادرة لم يكن من الممكن الحصول عليها إلا من هذا المؤلف، لذلك طلبنا من الأستاذ الدكتور عبدالقادر حاتم المسئول عن حكومة أكتوبر والشخص الوحيد الذى له يتحدث يوما عن هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر، أن يمدنا بهذه المعلومات.

- ولا نعتز بحصولنا على حق نشر هذا الكتاب وهذه المعلومات النادرة التى يحتويها والتى لم تنشر من قبل، فإننا نتقدم لسيادته بجزيل الشكر لاستجابته لطلبنا.

هذا الكتاب

* لم يكن عام ١٩٧٣ عاما عاديا على المنطقة ولم تكن حرب أكتوبر المجيدة مجرد معركة تقليدية.. ان عام ١٩٧٣ وفى قلبه أكتوبر المجيد كونا معا صفحة مضيئة فى تاريخ هذه الأمة.

* ان انتصارنا فى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن مصادفة بل كان محصلة اعمال وانجازات تمت قبل وأثناء المعركة، كل عمل منها وكل انجاز يحتاج إلى مئات الصفحات كى يمكننا ادراك حجمه وعمق اثره.

* الأمر الذى يجعلنا نؤكد أن الحديث عن أكتوبر ١٩٧٣ لم ينته بعد بل مازال أمامه الكثير، فأكتوبر أشبه بكتاب إنجازات كبير لم نتصفح منه حتى الآن إلا القليل.

* وهذا الكتاب انما هو قراءة لصفحة من صفحات أكتوبر.

* هذه الصفحة قد تبدو للكثيرين جديدة وهى كذلك بالفعل!!

ـ من هنا كان لزاما أن نقدم إلى القراء هذا الكتاب القيم الذى يضم بين صفحاته معلومات نادرة لم يكن من الممكن الحصول عليها إلا من هذا المؤلف، لذلك طلبنا من الاستاذ الدكتور عبدالقادر حاتم المسئول عن حكومة أكتوبر والشخص الوحيد الذى لم يتحدث يوما عن هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر، أن يمدنا بهذه المعلومات.

ـ وإذ نعتز بحصولنا على حق نشر هذا الكتاب وهذه المعلومات النادرة التى يحويها والتى لم تنشر من قبل، فإننا نتقدم لسيادته بجزيل الشكر لاستجابته لطلبنا.

ونذكره له أنه حين كلفه الرئيس السادات برئاسة مجلس الوزراء وإعداد الدولة للحرب بالنيابة عنه - وضع خطوطا رئيسية لسياسة جديدة تقوم على اتباع المفاجأة الاستراتيجية وهى: أن من يريد أن يحارب لا يعلن أنه سيحارب - تنفيذا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان». وهذا الكتاب به شرح لتفاصيل المفاجأة الاستراتيجية، لقد كان تكليف الرئيس الراحل السادات للدكتور حاتم برئاسة مجلس الوزراء نيابة عنه يبدو للبعض أمرا عاديا، ولكن.. اختياره مع احتفاظه بوزارة الإعلام جعل الدكتور حاتم يتبع اسلوبا جديدا فى السياسة المصرية لم يكن معروفا من قبل.. وهو التعتيم والتكتم الإعلامى.. ولذلك قام الإعلام بتنفيذ المفاجأة الاستراتيجية.

وفى ختام هذه الكلمة نذكر ما قاله جون بولك John Bullock كبير المراسلين لجريدة الديلى تلغراف البريطانية الذى عايش كل أحداث المعارك، وراقب الإعلام المصرى قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.. قال عن الدكتور حاتم:

"After more than Twenty Years experience of the organization and running of Information Services, Dr. Hatem had formed his own theories, based on practical grasp of the different factors involved, and ensured that they were put into effect in Egypt.

بعد أكثر من عشرين عاما من الخبرة فى تنظيم ادارة خدمات وسائل الإعلام، وضع الدكتور حاتم نظرياته الخاصة التى ترتكز على الرؤية العملية للعوامل والعناصر المتضمنة المختلفة، وان يحرص على ضمان وضعها موضع التنفيذ فى مصر..

كما يقول جون بولك - أيضا: «لقد كسب العرب فى عام ١٩٧٣ - معركة الإعلام "The information War" فمنذ الساعات الأولى للحرب.. شهد العالم للإعلام المصرى بالصدق، وذلك بينما اصيبت الدعاية الاسرائيلية بالهستيريا وبدأ المسئولون الاسرائيليون يقولون ويهددون "to turn (the Arabs) nights into days" سنحول ليل العرب إلى نهار وكذلك يقولون "to crush their bones" سنقوم بتكسير عظامهم.

من هنا تظهر روعة وأهمية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون»

صدق الله العظيم

(آل عمران - ١٦٠)

الباب الأول

في سبيل الحق والحقيقة

تحية إخلاص ووفاء

- لمصر منبت الحضارات، ومهبط وحى الديانات، وملاذ أصحاب الرسالات، تحية ولاء وانتماء، ومحبة ووفاء، لوطنى الذى جمع أبناءه على المحبة ونبذ البغضاء، فتآزروا جميعا ليكونوا شهداء يوم الفداء.

- للزعيم محمد أنور السادات الذى أحكم التدبير وأتقن التقدير، فى قرار الحرب لتحرير الأرض وصيانة العرض، وفى قرار السلام ليتيح فرص النماء والبناء. والذى أحسن اختيار من يتولى بعده المسيرة لصالح البلاد والعباد.

- للرئيس القائد محمد حسنى مبارك الذى قاد النسور فى أولى لحظات العبور، ليحرز لمصر أول مفاتيح النصر. ثم ليقود سفينة الوطن فى أحرج اللحظات ليجتاز بنا أصعب العقبات، وصولا إلى شاطئ الأمن والأمان.

- لقواتنا المسلحة، حصن مصر الحصين، ودرعها المتين، وحارسها القوى الأمين: قادتها وضباطها وجنودها، الذين بادروا ببذل الأرواح والدماء، لاستعادة ترابنا الغالى فى سيناء.

- لكل زميل من الزملاء ممن عاون فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية، سواء من الوزراء، أو من الخبراء أو العاملين فى الثقافة والإعلام، الذين أدوا ما كلفوا به فى اخلاص ووفاء.

د. محمد عبد القادر حاتم

مدخل إلى الحقيقة

«كانت مفاجأة حرب أكتوبر زلزالا هز اسرائيل هزة نفسية عميقة وأدى إلى انهيار الدعامات الاساسية لنظرية الأمن الاسرائيلية».

جاءت هذه العبارة فى مقدمة كتاب «حرب يوم الغفران»: اسطورة فى مواجهة واقع، والذى كتبه اللواء ايلى زعيرا الذى كان يشغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية فى عام ١٩٧٣.

وكانت قد تشكلت فى اسرائيل فى اعقاب حرب اكتوبر لجنة سميت لجنة اجرانات نسبة إلى رئيسها شمعون اجرانات، وكانت مهمة هذه اللجنة التحقيق فى أسباب ما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ وقد أصدرت هذه اللجنة تقريرها المبدئى فى ابريل ١٩٧٤ وجاء فى البند العاشر من هذا التقرير:

[ان قيام مصر بشن الحرب فى يوم الغفران (٦ - ١٠ - ١٩٧٣) فى الساعة (١٤,٠٠) فاجأ جيش الدفاع الاسرائيل لأنه حتى ساعات الصباح الأولى من ذلك اليوم لم تقدر القيادة العليا لجيش الدفاع والزعامة السياسية ان هناك حرباً شاملة على وشك ان تبدأ.. والمسئولية عن هذه الاخطاء فى التقدير يجب ان تلقى أولا وقبل أى فرد آخر على عاتق رئيس الاستخبارات العسكرية ومساعده الكبير الذى يرأس قسم البحوث فى الاستخبارات العسكرية].

وقد أوصت لجنة اجرانات فى نهاية تقريرها بإبعاد رئيس الاستخبارت العسكرية عن منصبه، هذا الرجل هو اللواء ايلى زعيرا ومعه رئيس قسم البحوث فى الاستخبارات العسكرية العميد آرييه شاليف وكذلك ابعاد رئيس هيئة الأركان الفريق ديفيد اليعازر وقائد القيادة الجنوبية شموئيل جونين ومساعده.

* فى حين اصدرت اللجنة قرارها بتبرئه المسئولين السياسيين وفى مقدمتهم رئيسة الوزراء جولدا مائير ووزير الدفاع موشيه ديان من كل تهمة ومسؤلية.

* وقد تم تنفيذ توصيات لجنة اجرانات. وبالنسبة للواء ايلى زعيرا فقد ابتعد طواعية عن الاتصال بالهيئة الاسرائيلية لرعاية جنرالات الجيش والتى تختص بتقديم العون والمساعدة لهم بعد تقاعدهم، واستقل بنفسه طوال اكثر من عشرين سنة مكرسا وقته وجهده للبحث عن الوثائق والأدلة التى تمكنه من كشف الوجه الحقيقى لما حدث فى اكتوبر ١٩٧٣، وتحطم الاكذوبه التى اختلقتها لجنة اجرانات (من وجهة نظره) بالنسبة لما حدث وعلى من تقع مسئولية ما حدث.

وتمكن اللواء ايلى زعيرا فى التسعينات من نشر كتابه «حرب يوم الغفران: اسطورة فى مواجهة واقع»، والذى قال فى مقدمته:

[ان ما اتخذته لجنة اجرانات من توصيات وقرارات مثلت ركنا اساسيا فى الاسطورة القومية التى تكونت فى اسرائيل حول حرب يوم الغفران، والتى تقوم على أن ما حدث فى الحرب من خسائر اسرائيلية وانتصارات مصرية انما يعود إلى تقدير خاطئ بامكانية وقوع الحرب، أو ببساطة لو أن رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية قال ان احتمال الحرب هو احتمال كبير لكان كل شئ على ما يرام].

ويقول ايضا: [ان ما حدث فى يوم الغفران كان أكبر من مجرد تقدير خاطئ للموقف سواء بالنسبة لاندلاع الحرب نفسها مرورا بالعمليات الحربية... كانت مفاجأة السادس من اكتوبر زلزالا هز اسرائيل هزة نفسية عميقة وأدى إلى انهيار الدعامة الاساسية لنظرية الامن الاسرائيلية].

* واذا كان اللواء ايلى زعيرا قد اصدر كتاب هادفا تبرئة ساحته من مسئولية ما حدث فى اكتوبر ١٩٧٣، ومحاولا فى نفس الوقت تبرئه ساحة الجنود الاسرائيليين

الذين لصقت بهم التهمة ساعيا إلى توجيه اصابع الاتهام إلى المسئولين السياسيين، الا أن كتابه يزخر بأدلة واعترافات صريحة منه بالانجازات المصرية فى فترة ما قبل وأثناء المعركة. وان كان اهم ما شغل ايلى زعيرا من بين أحداث معارك ١٩٧٣ هو نجاح مصر فى اتباعها سياسة إعلامية جديدة حققت المفاجأة الاستراتيجية.

* وليس ايلى زعيرا وحده هو الذى اعترف بالانجازات المصرية فى عام ١٩٧٣، بل هناك الكثير من السياسيين والعسكريين والصحفيين الاسرائيليين ممن اعترفوا بالانجازات المصرية.

وقد أعجبتنى المقدمة التى كتبها الصحفيون الاسرائيليون السبعة[١] الذين كتبوا كتاب التقصير.. والذين يقولون فى مقدمته:

شاهدنا الحرب وعدنا منها والتقينا:-

نحن سبعة صحفيين بيننا صقور وحمائم نحن أصحاب اراء سياسية قد تكون متعارضة وأصحاب وجهات نظر اجتماعية مختلفة.

مقالات عديدة ساهمنا بواسطتها دون وعى فى اشاعة الطمأنينة والاستخفاف بالعدو والاعتداد بالنفس وتجاهل الواقع.

من الجائز جدا اننا فى هذه المقالات لم نقم بواجبنا كصحفيين كما ينبغى، ولذا فاننا نتحمل قدرا من المسئولية لا يقل ولكنه لا يزيد ايضا عما حدث.

ان ما يجمع بيننا هو الاعتراف المشترك والايمان بأنه من المستحيل مواصلة اخفاء الحقيقة. ومن المستحيل ان نحجب عن المواطنين حقهم الاساسى فى معرفة حقيقة ما

---

(١) **يشعيا هو بن فورت** خريج - السوربون وعضو هيئة تحرير صحيفة يديعوت احرونوت.
- **يهونتان غيفى** - خريج كمبريدج ومراسل صحيفة معاريف.
- **اورى وان** - المراسل العسكرى لصحيفة معاريف وكان حاضرا فى جميع المعارك مع مصر.
- **ايتان هيفر** - المراسل العسكرى لصحيفة يديعوت احرونوت وشارك فى يوم الغفران.
- **هيزى كرمل** - مراسل مجلة Express الفرنسية وكان قنصل اسرائيل فى لوس انجيلس وكان خلال حرب يوم الغفران مع قوات المظلات الاسرائيلية.
- **ايلى لنداو** - المراسل العسكرى لصحيفة معاريف ورافق المظليين الاسرائيليين فى حرب يوم الغفران وسبق ان رافق القوات الاسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ وفترة حرب الاستنزاف.
- **ايلى تابور** - محرر مجلة هعولام هازيه وعاصر خمسة حروب.

حدث. وعن الجنود الذين خرجوا من منازلهم ومن أحضان عائلاتهم مباشرة إلى خط النار ـ حقهم فى ان يعرفوا ما حدث وكيف حدث.

كنا سنشعر بذنب المشاركة فى مؤامرة السكوت والاسكات التى تدبر فى ضوء ما حدث، وكنا سنكون غير أوفياء لضميرنا الصحفى وواجبنا كمواطنين لو لم نكتب .... هذا الكتاب ... التقصير...

التوقيت... ولماذا الآن

- بعد أكثر من ربع قرن على انتصار أكتوبر/ رمضان لم تصدر الأفلام العربية كتابا واحدا عن الأداء الإعلامى المصرى خلال هذه الحرب أو إعداده لها، بينما على الجانب الآخر تتابعت فى السنوات الأخيرة اصدارات الكتب الأجنبية التى تتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ والدور الخاص الذى قام به الإعلام المصرى وأغلبها يمثل ذكريات حقيقية وشهادات تاريخية لمسئولين كانوا معاصرين لهذه الفترة اسرائيليين أو امريكيين.

وقد حظيت هذه الكتب الاسرائيليلة والامريكية باهتمام خاص لما احتوت عليه من اعترافات وشهادات صريحة سواء قبل أو أثناء المعركة عن نجاح مصر فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية فى عام ١٩٧٣ وفضل الإعلام المصرى فى ذلك، وهو ما يتضح من كتابات وتصريحات المسئولين الاسرائيليين والأمريكيين بصفة خاصة.

رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية يقول:

اللواء ايلى زعيرا رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٧٣ - يقول فى كتابه (حرب يوم الغفران: اسطورة فى مواجهة واقع):

لقد تبين لنا فعلا ان كل موضوعات الإعلام المصرى كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصرى أو شخص ما بجواره.. وأن ذلك ليعتبر أكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران. ص١٧٨.

وقال ايضا: غير ان العنصر الذى وضع بذكاء ونفذ بكفاءة كبيرة كانت عملية الخداع الإعلامية المصرية التى أسهمت أكثر من أى عنصر آخر فى عدم فهم أو تفسير الاستعدادات المصرية لعبور القناة.. (ص١٧٧).

الرئيس نيكسون يقول:

أما الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون والتى كانت فترة رئاسته للولايات المتحدة معاصرة لحرب اكتوبر فقد ذكر فى مذكراته:-

(انها خيبة أمل كبيرة من المخابرات المركزية الامريكية سى. آى. ايه، وكذلك من المخابرات الاسرائيلية المتعاونة معها والتى كنا نظن انها ممتازة.. اننا لم نظن ان حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ سوف تندلع ضد اسرائيل إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها).

موشى ديان يقول:

وجاء فى كتاب التقصير الاسرائيلى.. ص٧٣.. ما قاله موشيه ديان:

بعد نحو ثلاثة أسابيع من سريان مفعول وقف اطلاق النار فى حرب يوم الغفران وقف موشيه ديان وزير الدفاع فى اجتماع لضباط الجيش الاسرائيلى فى الجبهة الشمالية وكأنه أراد الاعتذار عن التأخير فى تعبئه قوات الاحتياط الاسرائيلية فقال:-

لم يكن أحد **يتوقع حتى صباح يوم الغفران ان تنشب** الحرب فى ذلك اليوم ولذا لم تبدأ تعبئة الاحتياط قبل ذلك.. فحتى صباح يوم **الغفران لم أفكر انا شخصيا فى أن الحرب ستقع ولم اسمع من أى شخص ان الحرب ستندلع حقا.. ولم أكن الوحيد الذى اعتقد ذلك.**

وعاد وزير الدفاع فأكد هذا مرة ثانية أمام الحكومة الاسرائيلية قائلا: لم أسمع من أى شخص انه يعتقد ان الحرب ستندلع فى نفس اليوم.

دكتور هنرى كيسنجر يقول:

وجاء فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية عام ١٩٧٣ انه حينما جاء إلى مصر لأول مرة.. وفى الأيام الاخيرة من معركة اكتوبر وفى أول لقاء له مع الرئيس الراحل أنور السادات قال كيسنجر: **«سيدى الرئيس قبل أى حديث بيننا أرغب من سيادتكم أن تقول لى كيف أمكن لمصر أن تخدعنا وتخدع مخابراتنا بل وتخدع العالم بهذا الخداع والتعتيم الإعلامى.. لقد كانت المفاجأة معجزة ولم تحدث من قبل لى فى حياتى».**

جاء فى كتاب التقصير الاسرائيلى ص٨١.

(احتمال ضئيل للحرب لا لزوم لدعوة الاحتياط) هذه هى العبارة الرئيسية التى رددت عقب كل اجتماع من كبار المسئولين الاسرائيليين.. وفى الحقيقة كان النجاح الأكبر الذى أحرزه **الإعلام المصرى قبل المعركة بأسلوب الخداع والحرب النفسية هو خلق حالة ذهنية لدى القيادات الاسرائيلية بأن مصر غير قادرة على الحرب وغير عازمة عليها فى اكتوبر ١٩٧٣.**

ويقول المحلل العسكرى الأمريكى **تريفورن دويوى** فى كتابه «السلام المراوغ»:

(كانت المفاجأة الاستراتيجية ثمار تخطيط ماهر وكذلك اساليب الخداع التى اتبعتها أجهزة الإعلام المصرية.

تعليق المؤلف: هناك حكمة عربية تقول «الحق ماشهدت به الاعداء».

اذا كانت هذه شهادات بتفوق الإعلام المصرى وهو جزء من السيمفونية الوطنية الرائعة لنصر اكتوبر.. فهناك عشرات من الشهادات اعترفت ومجدت ابطال وقادة وجنود القوات المسلحة.. العظيمة.. ولا يسعنى إلا ان **أقدم تحية إجلال لروح الرئيس الراحل انور السادات صاحب قرار الحرب والسلام.**

إن الاهتمام الذى حظيت به هذه الشهادات وتلك الكتب دفع الكثيرين ممن قرءوها أو اطلعوا عليها إلى الاتصال بى ومطالبتى بالخروج من الصمت والتحدث فى هذا

الامر، وكان فى كلامهم معى نوع من العتاب، فقالوا «اذا كانت اسرائيل نفسها تعترف وتتحدث عن الإعلام المصرى وتحقيق المفاجأة الاستراتيجية وتعترف بنجاح مصر فى تحقيقها عام ١٩٧٣، واذا كان كبار المسئولين الامريكيين يعترفون بهذا ايضا، ألا يكون من حقنا نحن المصريين ان نعرف بالتفصيل حقيقة هذه المفاجأة الاستراتيجية منك أنت، باعتبار أن الرئيس الراحل انور السادات قد اختارك لتكون وزيرا للإعلام ورئيسا لحكومة اعداد الدولة للحرب بالنيابة عنه»... **من هنا كان واجب إصدار هذا الكتاب.**

وللحقيقة أقول إن هناك دوافع أخرى دفعتنى لكى أكتب فى هذا الموضوع بعد التطورات التى تشهدها.. المنطقة.. فى هذه الايام.

ومن بين هذه الدوافع انه بعد الانتصارات الكبيرة التى حققناها عام ١٩٧٣ والنجاحات التالية سياسيا وتنمويا... إلا ان اسرائيل لا تنفك تشكك فى قدرات وعقول وكفاءات المسئولين والسياسيين العرب. وقد زادت هذه الدزاعم فى الفترة الأخيرة، الامر الذى دفعنى للرد على هذه المزاعم من خلال حقائق واقعية وشهادات من الاسرائيليين أنفسهم بتفوق العرب عليهم.

ويعد موضوع دور الإعلام فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية من الموضوعات التى تؤكد هذه الحقيقة.

* بالاضافة إلى أن منطقة الشرق الاوسط تمر حاليا بمرحلة انتقالية شديدة الحساسية، ذلك ان كثيرا من الأوراق يعاد ترتيبها تمهيدا لعهد جديد تدخل اليه المنطقة... هذه المرحلة الانتقالية تستغلها الأطراف المختلفة كل حسب مصلحته فى ممارسة أكبر تأثير يخدمه فى الفترة القادمة، ومن الاساليب التى تتبعها اسرائيل فى هذا الشأن اسلوب ابراز التفوق الذاتى لها فى مقابل ضعف وحاجة العرب اليها، وادعاء انها القائد القادم للمنطقة.

*** هذه الدعاوى الزائفة لا تستند إلى حقائق الا انها تستفيد من قوة الإعلام الاسرائيلى والإعلام المؤيد لإسرائيل محاولة خلق حالة من التصديق لدى الاجيال العربية الجديدة، وهى فى سبيلها إلى ذلك تقوم أولا بالتهوين من كل ما هو عربى**

والتهويل مما هو سواه، قاصدين بذلك ايجاد حالة من الانبهار بما يعملون. ذلك الانبهار الذى يحمل فى وجهه الآخر ملامح التهوين وعدم الثقة بالنفس.. فالانبهار بالآخر قد يتحول إلى انهيار فى الايمان بالذات.

* هذه المسألة تمثل أحد مجالات التحدى السلمى الذى تواجهه الامة العربية فى هذه الايام، وهذا التحدى يقتضى منا اليقظة الدائمة وبذل الجهد الوفير، وحاشا ان نخسر بالتنافس السلمى ما حافظنا عليه بدماء أبنائنا، ولابد فى هذا الجو ان نمتلك رؤية صحيحة لأنفسنا وثقة بها حتى نستطيع التعامل مع المستجدات التى تطرأ كل يوم.

وأقول أخيرا.. **أليس من واجبنا الآن أن ندرس لأبنائنا.. دروس التضحية والتفوق فى مدارسنا ومعاهدنا.. وما أكثر وأعظم هذه الدروس.**

ادعو الله أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خدمة وصالح أمتنا العظيمة.

الباب الثانى

دور الإعلام المصرى فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣

دور الإعلام المصري في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية

تشكيل حكومة إعداد الدولة للحرب: دعاني الرئيس انور السادات في أوائل عام ١٩٧٣ لمقابلته وجاء في حديثه معي: انني افكر في اتخاذ قرار الحرب لاسترداد الأرض المغتصبة، وقال ان الكثيرين سيشككون في هذا الامر إلا اني جاد فيه وهذا قدري.

* وقال سيادته انه سيحتاج للتفرغ التام حتى يتسنى له مباشرة مهام قيادة القوات المسلحة والاعداد العسكري إلى جانب مهام السياسة الخارجية، وأبلغني باختياره لي لأكون إلى جانب منصبي كوزير للإعلام رئيسا لمجلس الوزراء بالنيابة عن سيادته وأن أتولى رئاسة الحكومة المكلفة بإعداد الدولة للحرب، بل وأن أكون مسئولا دستوريا الآن عن هذه المهمة أمامه وأمام مجلس الشعب... وقال لا ترد عليَّ الآن بل سأعطيك ٤٨ ساعة للتفكير والرد.

* خرجت من عند سيادته وعدت إلى منزلي وفكرت أن أستشير بعض الاصدقاء، وأذكر ان أغلب آراءهم ونصائحهم لي بألا أقبل هذا التكليف وان أعتذر للرئيس السادات، بل ان منهم من قال لي ان الظروف التي نمر بها ظروف صعبة وقبولك بهذا التكليف سيجعلك مسئولا أساسيا عن أي نتيجة تحدث خاصة ان الهدف الاساسي لهذه الحكومة هو اعداد الدولة للحرب ثم النصر ولكن النصر ليس بهذه السهولة، وقال بعضهم اننا نعلم جميعا ان اسرائيل هي ولاية من الولايات الامريكية فهل يمكن ان ننتصر على الولايات المتحدة الامريكية!!.

* هل انتصرنا على اسرائيل عام ١٩٤٨؟ لا

هل انتصرنا على اسرائيل عام ١٩٦٧؟ لا

وكذلك وصلت اسرائيل إلى قناة السويس عام ١٩٥٦ بمعاونة اصدقائها فى العدوان الثلاثى على مصر.

وفى هذه الحالات لم يكن امام الشعب والرأى العام سوى البحث عن مسئول تلقى عليه مسئولية ما حدث.. وانك بموافقتك على التكليف الذى كلفك اياه الرئيس السادات ستجعل نفسك المسئول.. المدان القادم.

* إلا أن كبر حجم التحدى وضخامة المسئولية كانا دافعا أكبر لقبول هذا التكليف، وبالفعل عدت إلى الرئيس السادات وابلغته بموافقتى على قبول التكليف الوطنى.. وشكرى لسيادته لاختياره لى.

* وأعلن الرئيس انور السادات تشكيل الحكومة الجديدة واصدر قرارا جمهوريا بأن أكون مسئولا عن رئاسة مجلس الوزراء بالنيابة عنه، وأن أكون مسئولا دستوريا عن أعمال الحكومة واعداد الدولة للحرب أمامه وأمام مجلس الشعب، بل وكلفنى بإلقاء بيان الحكومة امام مجلس الشعب.

* وبالفعل ألقيت بيان الحكومة وكان بيانا قصيرا صريحا وحاسما قلت فيه.. ان السيد رئيس الجمهورية يعتبر ان استرداد الحق والارض المغتصبة هو قدره. وإننى أقول معه انه قدرنا جميعا حكومة وشعبا، بل قدر الأمة العربية كلها.

واختتمت البيان بقول الله تعالى «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم» صدق الله العظيم.

بعد إلقائى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب دعانى الرئيس السادات لمقابلته ولم يقل فى هذه المقابل سوى: لقد اشرت إلى ان الله قد كتب علينا القتال.. لذا فمن واجبنا ان نقوم باعداد الدولة اعدادا جيدا للحرب، وبما ان هذه هى المهمة الاساسية للحكومة، فاننى أطلب منك ان تعرض علىّ الخطوط الرئيسية لهذا الاعداد.

* عدت إلى الرئيس السادات ومعى خطة إعداد الدولة للحرب... وفى قلب هذه الخطة... المفاجأة الاستراتيجية.

المفاجأة الاستراتيجية

أولا: التعريف: يعتبر كلاوزوفيتش رب الاستراتيجية العسكرية.. وقد حدد عددا من العناصر اعتبرها اساسية عند صياغة أى استراتيجية عسكرية ومن هذه العناصر: امتلاك زمام المبادرة وتحقيق المفاجأة وقد أولى كلاوزوفيتش اهتماما كبيرا ببحث ودراسة «المفاجأة».

* وتنقسم المفاجأة إلى قسمين:

أ) المفاجأة الاستراتيجية.

ب) المفاجأة التكتيكية.

المفاجأة الاستراتيجية: تبدأ المفاجأة الاستراتيجية زمنيا منذ اتخاذ قرار الاعداد للحرب والبدء فى تنفيذه وتمتد حتى البدء الفعلى للاعمال العسكرية.

* تختص المفاجأة الاستراتيجية بجعل مسألة الاعداد للحرب فى اطار من السرية الكاملة عن طريق تنفيذ عملية واسعة من الخداع والتضليل المعلوماتى، بحيث يتسنى تجهيز القدرات الذاتية لتكون فى وضع يؤهلها للحرب وتحقيق النصر اعتمادا على امتلاك عنصرى المبادأة والمفاجأة.

* فى المقابل تعمل عملية الخداع والتضليل على ايجاد حالة من الاسترخاء أو بالاصح التخدير لدى العدو طوال فترة الاعداد للحرب، بحيث تكتمل الاستعدادات دون ان يعرف العدو شيئا عنها.

* يقوم الإعلام بالدور الرئيسى فى تنفيذ وتحقيق المفاجأة الاستراتيجية من خلال قيامه بتنفيذ اعمال التضليل والخداع والحرب النفسية، وقبل هذا التحكم فى حجم ونوعية المعلومات والتأثير فى تفسير هذه المعلومات لدى العدو.

* المفاجأة الاستراتيجية يقررها رئيس الدولة ويشرف عليها شخص مسئول واحد وتتم فى اطار كامل من السرية والمركزية.

المفاجأة التكتيكية: تبدأ المفاجأة التكتيكية زمنيا عند تحديد ساعة الصفر، أى تحديد وقت الهجوم، ومن ثم فهى تتحدد بناء على التنسيق بين صاحب القرار السياسى وبين القائد العام للقوات المسلحة.

* كما تختص بنوع التسليح ومستوى تدريب القوات ومدى كفاءتهم وكذلك الاجهزة والمعدات الحربية المستخدمة، والأهم هو المستوى القتالى المتميز للقوات والأسلحة والاستفادة منها، واختيار اليوم المناسب للمفاجأة التكتيكية.

* تهتم المفاجأة التكتيكية بتخطيط وتنفيذ عمليات حربية مفاجئة لا ينتظرها العدو. وفى عام ١٩٧٣ كانت الضربة الجوية الرائعة بداية الهجوم مفتاح النصر، وكذلك طريقة العبور وأماكن الجسور، ومستوى الأداء العسكرى والتكتيكات العسكرية. كلها، كانت عناصر مفاجأة متميزة تدرس فى كبرى الاكاديميات العسكرية فى العالم.

ثانيا الركائز : تم بناء دعائم المفاجأة الاستراتيجية على ركائز عديدة، يأتى فى مقدمتها:

الخطوط الرئيسية عن تقدير الموقف عند تكليفى بمسئوليه اعداد الدولة للحرب:

١ - وجود حالة احباط ويأس فى مصر والبلاد العربيه - السبب هزيمة ١٩٦٧ - وأنتشرت الاشاعات والنكت التى تبين مدى شدة حالة اليأس.

ومن أسباب هذا الاحباط.. اننا كنا نفاخر بأننا أقوى قوة فى منطقة الشرق الأوسط وان باستطاعتنا تدمير اسرائيل، ونلقنها درساً لن تنساه إذا ما فكرت فى تهديد أى بلد عربى والجميع بلا استثناء أخذوا يهولون من قواتنا وقدراتنا وأمكانياتنا وفى الوقت نفسه يهونون ويسخرون من قوة وقدرة اسرائيل. وعندما بدأت الحرب أخذ اعلامنا يتخلى عن الحقيقةوالصدق - وفقد مصداقيته بالأخبار الكاذبه - وإذا بالعالم كله بعد أن سمع الانتصارات العظيمه الكاذبه التى أذاعتها اذاعتنا.. فجأة يسمع الحقيقة المرة.. والهزيمة الكبرى - فكانت هذه الأخبار زلزالا هز الأمة العربية كلها..

وفى ١٥ يونيو ١٩٦٧.. اتصل بى الرئيس الراحل عبدالناصر تليفونياً طالباً منى وضع خطة اعلامية للبلاد. ولم أكن وزيراً للإعلام وبالخطة جزء خاص بالقوات المسلحة المصرية التى كانت غير مسئولة عما حدث من قيادتها التى تسببت فى الهزيمة.

وذلك لكى تكون خطة الإعلام بها هذا الجزء الهام لازالة حالة الاحباط الشديدة فى القوات المسلحة طلب رحمه الله ان اعطى هذه الخطة الإعلامية عن القوات المسلحة للفريق أول رحمة الله عليه محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة حيث سيمر علىّ فى المنزل للحصول عليها ليبدأ فى تنفيذها.

وكان الفريق أول محمد فوزى رحمه الله قد بذل جهداً كبيراً بعد ذلك فى مرحلة حرب الاستنزاف. وقد أشاد الجميع بما قامت به قواتنا المسلحة فى هذه الحرب. ونعود إلى طلب الرئيس الراحل جمال عبدالناصر فقد أتممت فعلاً ما طلبه واذكر ان حديثه تليفونياً بين الحالة النفسية المؤلمة - نتيجة لهذه الهزيمة. وقال الرئيس الراحل عبدالناصر تليفونياً لم يكتف الإعلام بما فعله اثناء الحرب بل اننى سمعت أمس من الاذاعة المصرية نشيد.. يدعو للحرب ثانية - رجعين رجعين بقوة السلاح رجعين.

ملحوظة - كنت قد انشأت وزارة الإعلام وكانت أول وزارة إعلام فى العالم العربى - فى أوائل الستينات وبعد ذلك طلبت البلاد العربيه منى انشاء وزارات إعلام بها.

وعموماً فقد تركت وزارة الإعلام عام ١٩٦٦، وهكذا كانت تجربة ١٩٦٧ على المستويات الاعلامية والسياسية والعسكرية قاسية.. ولذلك كان فى تخطيطى لتقدير الموقف الاعلامى والسياسى دروساً كثيرة من هذه التجربه - قدمته للسيد الرئيس الراحل انور السادات رحمه الله ووافق عليه وذكرت هذه الدروس المستفادة.. وبينت اننا لابد أن نتعلم منها الكثير.. وستكون قرارات اعداد الدولة للحرب هى نتائج لهذه الدروس. وإذا كان ذلك كذلك فقد حدث فعلا كل هذه النتائج.. فى وضعى لتخطيط الإعلام المصرى لتحقيق المفاجاة الاستراتيجية لحرب اكتوبر ١٩٧٣، وهذا التخطيط ينقسم إلى ثلاثة اقسام.. قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة والاحتمالات الثلاثة لأى حرب إما انتصار أو لا انتصار أو لا هزيمه ولا انتصار أى لا غالب ولا مغلوب.. ولكل حالة خطتها الإعلامية هذا..

وقد بينت مبدأ هاماً.. هو قول النبى ﷺ «الحرب خدعة، واستعينوا على قضاء حوائكم بالكتمان» وأن من يريد أن يحارب لا يعلن أنه سيحارب. ولذلك فخ ثوط

السياسة الجديدة تختلف كلية خطة وأسلوباً وتنفيذاً خاصة وانني مسئول دستورياً عن ذلك مع مسئوليتي كوزير للإعلام مسئول عن الرقابة عن كل المطبوعات والبرقيات والصحف. هذا وقد أعلن الرئيس الراحل انور السادات عقب شرحي لخطة الإعلام المصرى لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية - وهي خطة سرية للغاية - في مؤتمر صحفي عام حضره كل الصحفيين بأنني وضعت خطة إعلام من ثلاثة اجزاء قبل المعركة واثناء المعركة وبعد المعركة تناول تقدير الموقف - النقاط الآتية:-

١ - الهدف العام.

٢ - العوامل الرئيسية لتحقيق الهدف - بعد ذكر نتائج ودروس حرب ١٩٦٧ - من جميع نواحيها والعوامل الرئيسية للعدو - والدعاية الاسرائيلية والغربية المنحازه لاسرائيل واثرها على صورة مصر سواء داخليا بالنسبه للرأى العام الداخلي العربي أو الخارجي.

وكذلك حالة اليأس والإحباط وعدم الاستقرار وتضارب التصريحات المصرية.. وبلبلة الرأى العام المصرى والعربى. دراسة مستفيضه للعلاقات الامريكية الاسرائيلية التى بلغت حداً من القوة ما جعلت الولايات المتحدة لاتعير لمصر اذناً لما ترجوه من الولايات المتحدة ويكفى القول.. ما جاء عن ستيفن امبروز فى كتابة الارتقاء إلى العالمية Rise to Globalism عن ازدراء واحتقار د. هنرى كيسنجر لمبعوث الرئيس السادات.. له فقد جاء بالنص عن هذه المقابلة ما قاله كيسنجر.

«لقد تحدثت مع السيد حافظ اسماعيل حينما طلب مقابلتى وقابلته وكان حديثى عن أحوال الجو وذلك **لمجرد أن نبتعد عن الموضوع... لقد راوغته فى الكلام... لقد اخبرنى اسماعيل - عدة مرات - انه لا يمكن استمرار الوضع الحالى، وسألنى إذا لم تكن الولايات المتحدة قد استوعبت أنه ما لم يتم التوصل إلى اتفاق فلابد وأن تندلع الحرب... فلم تظهر على وجهى ابتسامة، ولو طفيفة، بينما أخذت أضحك وأضحك فى أعماق قلبى.. حرب؟ مصر؟ لقد اعتبرته حديثا أجوفا، ومباهاة يعوزها المضمون»**.

وهكذا يتضح حينما نتحدث مع العالم عن موضوع الحل السياسى الذى يعيد لمصر والدول العربية حقوقها وارضها الضائعة دون التضحية بكرامتنا وكبريائنا بات مطلباً صعب المنال بل بات مثيرا للسخرية اذا تحدثنا عنه مع أى من الأطراف الدولية المؤثرة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ويكفى الاشارة إلى لقاء حافظ إسماعيل مع هنرى كيسنجر والذى قال عنه كيسنجر نفسه ما قاله.. وهو قول يبين وصف نظرة أكبر دولة فى العالم صديقة لاسرائيل.. لمصر.. وكلها اهانات وسخريه.

كذلك وضعت دراسة عن:-

* بدء تفكك العلاقات المصرية السوفيتيه خاصة مع القرار المصرى بترحيل الخبراء السوفيت.

التقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى ضوء هذه الاوضاع

* على الجانب الاسرائيلى كان الغرور والصلف هما الوجه الوحيد للسلوك الاسرائيلى. ذلك أن اسرائيل قدرت فى ظل هذه الاوضاع أن بمقدورها تجاهل أى شئ يقال أو يعمل لأنها الاقوى فى المنطقة ،ولحالة مصر والدول العربية الصعبة واستنادا إلى تحالفها الكبير والاساسى مع الولايات المتحدة. ومن ثم فإن ما يخرج على لسان المسئولين والإعلام الاسرائيلى بشأن أن اسرائيل لا تقهر ينبع فى جزء كبير منه من ادراكهم لهذه الأوضاع ومن ثم اقتناعهم بهذا الاستنتاج.

* الولايات المتحدة الامريكية اعلنت التزامها بالدفاع عن وحماية اسرائيل ومنذ فترة رئاسة نيسكون الاولى أى منذ عام ١٩٦٨ بدأت شحنات الاسلحة الامريكية المتجهة إلى اسرائيل تزيد عاما بعد عام وتعهدت الولايات المتحدة لاسرائيل بتأييدها ومساندتها سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً.

* فى نفس الوقت بينت مدى ارتباط الولايات المتحدة بعلاقات قوية مع عدد من الدول العربية ذلك أن الدول العربية تحتفظ بعوامل الاهمية التى تفرض على الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية ان تعطى الدول العربية هذه الاهمية والتى يبرز فى

قلبها البترول الذى يمثل عصب الاقتصاد الامريكى والاوربى والعالمى إلى جانب التحكم الجيو استراتيجى على اهم المضايق والممرات المائية فى العالم.

ويقول استفين امبروز فى كتابه الارتقاء إلى العالميه Rise to Glo-balism.

* ينظر العالم إلى مصر غالباً بعين الشفقة وفى بعض الاحيان بشماتة وازدراء وانها تستحق ما حل وما قد يحل بها اكثر من ذلك، فى حين ينظر إلى اسرائيل باعتبارها دولة ديمقراطية قوية مثابرة لاتلام على ما فعلت بمصر وغيرها من الدول العربية

* التقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى جعل من منطقة الشرق الاوسط احدى القضايا التى تعالج بالكيفية التى تخدم علاقات القطبين بغض النظر عن أوضاع ومصالح الاطراف الحقيقيين، ومن ثم كان الاتفاق على تجميد الوضع فى الشرق الاوسط وفرض ما يعرف بحالة اللاحرب واللاسلم. فى ضوء خدمة المصالح الامريكية والسوفيتية بشكل براجماتى بعيدا عن النقاء الايدلوجى والالتزام السياسى.

وكما يقول ستيفن أمبروز فى كتابه الارتقاء إلى العالمية "Rise to Globalism" لم تكن أى من القوتين العظميين معنية بالنقاء الايديولوجى ... فقد قامت روسيا - مرات عديدة - بتأييد أغنى الحكومات العربية وأكثرها رجعية، بينما قامت الولايات المتحدة بمساعدة حكومات أفقر الدول العربية وأكثرها تطرفا. وكان تدخل الولايات المتحدة وروسيا يتم على أساس يومى، أو - فى افضل الحالات - على أساس شهرى، لأن كلا الجانبين لم يكن لديه برنامج عمل محدد للمنطقة - فلم يكن ذلك ممكنا لأنه لم يكن لديها حل لمشكلة الوطن القومى. ولذلك، كان كل منهما يتصرف حسب الموقف الراهن، مما أدى الى تغير السياسة بشكل مفاجئ فى أغلب الاحيان - بل وغير مفهوم ويحث المرء عن الاتساق أو الثبات بلا جدوى فيما عدا أن كلا الجانبين كان يصر على أن الجانب الآخر، ليس له حق التدخل فى الشرق الأوسط (إلا حينما تندلع الحرب، وعندئذ يطلب كل جانب من الآخر أن يستخدم نفوذه، لكى يوقف القتال.

وجاء فى تقديرى للموقف اهمية قرار الرئيس الراحل انور السادات بالاعداد للحرب.

* إن الطريق الوحيد الذى يمكننا حقاً من استعادة الاراضى المصرية هو الحرب وطرد الاسرائيليين منها بالقوة، و الحرب هى السبيل إلى تحريك القضية وايقاف حالة التجميد التى فرضتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عليها، والحرب هى السبيل لاستعادة ثقة وتأييد الشعوب والحكومات فى مختلف دول العالم، وقبل ذلك احترامهم لنا وكان قرار الرئيس الراحل السادات جريئا وعظيماً - وتنفيذ هذا القرار يتطلب اجراءات لتحقيق نجاحه من أجل تنفيذ قرار الحرب هذا.

* ولكن ليست أية حرب - اننا نحتاج إلى حرب نضمن فيها تحقيق انتصارات ملموسة بنسبة كبيرة، ولكن فى ضوء الاوضاع الاقليمية والدولية السائدة التى تفرض حالة اللاحرب واللاسلم لا يمكن أن يتم الاعداد للحرب ثم الحرب الفعلية أمام اعين الجميع لأن كثيرا من القوى ستحبط هذا الأمر من أوله، ولذلك لابد أن يتم الاعداد للحرب وتحديد ميعادها والبدء الفعلى فى التنفيذ فى اطار محكم من السرية والتكتم - وهذا يطلب سياسة مركزية لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية بدور هام وحاسم وسرى للغاية.

* اننا نحتاج حرباً ننتصر فيها، ولكى نضمن تحقيق هذا الانتصار لابد أن يتم لها الاعداد وبخطة إعلام على ارقى مستوى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الا نتجاهل قوة الطرف الاسرائيلى بل ندرسه جيدا وندرس نقاط قوته ونقاط ضعفه ومن ثم يمكننا الاعداد الجيد لحرب تحقق لنا النصر.

وهذا يتأتى من خلال دراسة نظرية الأمن الاسرائيلى وعقيدة اسرائيل العسكرية دراسة دقيقة سياسيا، واعلاميا، وعسكريا .

تحليل: نظرية الأمن الاسرائيلى

إن تحليل نظرية الأمن الاسرائيلى التى تعتنقها اسرائيل منذ وضعها بن جوريون عام ١٩٤٨، وكذلك العقيدة العسكرية لها توضح لنا عدة حقائق.

* الطبيعة الديموجرافية لإسرائيل، حيث أنها فى وضع سكانى ضعيف مقارنة بالعرب مجتمعين أو مقارنة بمصر.

* الطبيعة الجغرافية لإسرائيل وإفتقادها للعمق الاستراتيجى، بما يعنى أنه فى إطار حدود إسرائيل يمكن ضرب تل أبيب بسهولة من الحدود ولو بمدفع هاون.

* وعلى أساس هذه الحقائق تبنت إسرائيل عقيدة عسكرية هجومية دائمًا على الدول المجاورة لتعويض العجز الجغرافى لديها، ومن ثم برزت مقولة أن حدود إسرائيل تكون عند آخر ما يستطيع الجندى الاسرائيلى الوصول إليه، وأن يكون الشعب الاسرائيلى هو جيش إسرائيل، بمعنى أن الشعب كله يخضع للتعبئة العسكرية وكل فرد يعرف مكانه فى وحدته بالجيش عند إعلان التعبئة، ولكن لا يتم هذا إلا فى حالة الإنذار بالحرب.

* وفى الأوقات العادية يكون الأفراد فى مواقعهم سواء فى العمل الإدارى أو الإنتاجى أو الخدمى، على أن يكون هناك قوة نظامية من الجيش (على الحدود وهى هنا ... خط بارليف) وتستطيع التعامل مع أى عمل عسكرى لمدة ٧٢ ساعة حتى يتم التعبئة العامة ويصبح الشعب كله فى المعركة.

* الاعتماد على سلاح له السيادة الجوية ومتفوق على أي من أعداء إسرائيل، وكذلك جهاز استخبارات ونظام إنذار قويين يتيحان لإسرائيل التنبه لأى هجوم متوقع عليها ومن ثم تتمكن من التعامل معه مبكراً، سواء بضربة وقائية أو بهجوم مضاد فى ظرف ٧٢ ساعة وهو الوقت الذى يستغرقه إتمام التعبئة العامة..

ولمزيد من التفصيل:

نقول عن: نظرية الأمن الاسرائيلى:

- كان ديفيد بن جوريون[١] الزعيم البارز فى عملية إقامة دولة إسرائيل، يدرك ضرورة إبتكار نظرية أمن، وعلى الرغم من أنه إستقدم ضباط جيش أكفاء وكان مستعداً للإنصات لهم والتعلم منهم، فإنه كان يعلم أن أهم القرارات الأمنية فى نهاية الأمر هى من سلطة الزعامة السياسية المنتخبة.. فقرارات بن جوريون فى حرب التحرير بشأن التخلى عن إحتلال السامرة وإعادة أراضى معينة كانت قد إحتلت فى جنوب لبنان وفى سيناء، ومن ناحية أخرى إصراره على تحقيق إحتلال النقب كلها حتى إيلات.. كانت كلها تنبع من نظرية أمن واضحة وراسخة لديه، وكان فى هذه الأمور قد فرض رأيه أكثر من مرة على قادة الجيش الكبار وأيضاً على زعامة حزبه، وتحمل المسئولية كاملة عن تلك القرارات.

بعد إنتهاء حرب ١٩٤٨ مباشرة أمر بن جوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع ببلورة نظرية أمن قومية لدولة إسرائيل. ومبادىء النظرية نفسها - الفلسفة الأمنية - تم تحديدها وصياغتها بواسطته بعد مشاورات مع كبار القيادة العسكرية والسياسية، أما وضع التفاصيل العملية فقد ترك بوجه عام للقيادة العسكرية.. لكن بن جوريون درس توصيات الجيش وتدخل فيها، وإعتبر نفسه المسئول الفعلى عن قبولها وتطبيقها.

- وكانت المعطيتان الأساسيتان اللتان إرتكزت عليهما نظرية الأمن القومى الاسرائيلى هما:

(أ) علاقات القوى الديموجرافية بين سكان إسرائيل اليهودية وبين الدول العربية.

---

(١) المرجع: إيلى زعيرا رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية: حرب يوم الغفران.

(ب) الأبعاد الجغرافية المحدودة لدولة إسرائيل.

ـ كانت علاقات القوى الديموجرافية بين الدول العربية التي في حالة حرب مع إسرائيل سواء التي وقعت على إتفاقيات هدنة أو التي لم توقع ـ وبين دولة إسرائيل هي ٥٠ : ١ أي حوالي ٥٠ مليون عربي في ذلك الوقت حول إسرائيل مقابل مليون إسرائيلي في إسرائيل. وكانت الجيوش النظامية الخاصة بالدول العربية تتفوق عدديا إلى أبعد الحدود على ما كانت تستطيع دولة إسرائيل وضعه كجيش نظامي، دون أن يؤدي هذا إلى حدوث إنهيار إقتصادي وإجتماعي للدولة اليهودية. ولقد تحدد الحل لهذه المشكلة الخطيرة في الشعار الشهير الذي يقول «إن كل الشعب جيش» ومعناه إعتماد القوة الرئيسية للجيش على نظام الاحتياط.

ـ وتمت إقامة جيش بري يعتمد على نواة مصغرة من القوة النظامية، وجيش إحتياطي يضم كل خريجي الجيش النظامي حتى سن معينة، وكان من المفروض أن يكون هذا هو أكبر جيش في العالم بالنسبة لحجم تعداد السكان. وكل هذا دون حدوث إرتباك في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ـ وخلق حجم الدولة وضعًا إستراتيجيًا معقداً، وذلك لأنه لم يكن يوجد أي عمق للدفاع عن الدولة. وكانت العاصمة في متناول مدى نيران البندقية ومبنى الكنيست في متناول قذائف مدفع الهاون من حدود الدولة.. ونتيجة لهذا كان واضحًا أن إسرائيل لا يمكنها المخاطرة بأن يحتل جيش معاد أي مساحة من أرضها مهما كانت صغيرة.

ـ كما أن الوضع الجغرافي الصعب إلى جانب الافتراض بأن إحتلال إسرائيل بواسطة الدول العربية معناه القضاء على وجود الدولة اليهودية ـ خلقـا عقيدة قتالية هدفها الدفاع المستميت على طول الحدود (وذلك لمنع إحتلال أرض أياً كانت بواسطة العدو) ونقل الحرب إلى أرض العدو في أسرع وقت ممكن. ولذلك تبنت إسرائيل عقيدة الهجوم.

ـ ولكن هذه النظرية خلقت مأزقًا، وكان مفكرو نظرية الأمن الاسرائيلية على علم به من البداية، فكان الافتراض الأساسي في النظرية هو أن الجيش النظامي لا يستطيع

بقوته الذاتية صد هجوم العدو، ولذلك فإنه فى اللحظة التى يظهر فيها تهديد عسكرى حقيقى فلابد من تعبئة الاحتياط بهدف إشراكهم فى الدفاع عن الدولة فى مرحلة مبكرة جداً.

- ومن الجدير بالذكر أن صياغة نظرية الأمن الاسرائيلى تمت فى وقت كان الفكر السياسى والعسكرى الاسرائيلى يركز فقط على الحرب من أجل حماية حدود وشعب إسرائيل من أى إعتداء عربى، وليس الهجوم لتوسيع أراضى إسرائيل وخلق عمق إستراتيجى وذلك لظروف التوازن الدولى.

- كان واضحاً لمفكرى نظرية الأمن أن الإعتماد فى صد التهديد العسكرى على وحدات الإحتياط ينطوى على مصاعب كثيرة، وكانت المشكلة الرئيسية هى أنه يجب إستدعاء جنود الاحتياط من منازلهم أو من أماكن عملهم ونقلهم إلى وحداتهم وتحويلهم إلى جنود وتسليحهم ودفعهم إلى ميدان القتال، وهذه العملية حتى وإن تم تنفيذها على أكمل وجه فإنها تحتاج على الأقل ٧٢ ساعة، ولكن ماذا سيحدث على جبهة القتال خلال هذه الفترة حتى تصل قوات الاحتياط؟.

- وكان الحل لهذا المأزق الذى تم التوصل إليه هو إنشاء سلاح طيران قوى تكون له السيادة والتفوق على قوات طيران الدول المعادية، وتكون مهمته هى مساعدة الجيش النظامى فى صد هجوم العدو إعتباراً من الساعة الأولى للحرب، وكذلك بناء سلاح إستخبارات تكون الغالبية العظمى منه نظامية وتكون مهمته هى إعطاء إنذار عن إستعداد العدو بالقرب من حدود الدولة، وذلك بهدف إتاحة الفرصة لتعبئة قوات الاحتياط فى الموعد المناسب.

* ومن ثم تحددت المهام المناطة بدور الطيران الإسرائيلى فيما يتعلق بميدان القتال البرى كما يلى:

(أ) حماية سماء الدولة الاسرائيلية:

منع طائرات العدو من مهاجمة مخازن الطوارىء الخاصة بوحدات الاحتياط وحمايتها أثناء تحركها إلى الجبهات المختلفة، ومنع مهاجمة مراكز تجمع السكان التى من المفروض أن يخرج منها أفراد الاحتياط للإتجاه نحو مخازن الطوارىء.

(ب) معاونة الوحدات النظامية البرية:

لصد أى هجوم فى المرحلة الأولى للدفاع حتى وصول تشكيلات الاحتياط. وفى الخمسينات والستينات كانت المدفعية الاسرائيلية معظمها من قوات الاحتياط، لذلك أسند لسلاح الطيران القيام بأعمال سلاح المدفعية (مدفعية طائرة).

- هذا فى حالة الدفاع، أما فى مرحلة الهجوم فإن سلاح الجو الاسرائيلى بقوته وتفوقه وإمتلاكه عنصر المفاجأة فى أى عملية هجومية يقوم بها يعتبر عنصر النجاح الرئيسى لإسرائيل.

ولكن لكى يقوم سلاح الجو بهذه المهمة بشكل جيد وتتم المقاومة حتى يتم تنفيذ التعبئة العامة فى إسرائيل، لابد من الاستعداد المبكر لأى عمل عسكرى موجه ضد إسرائيل، ومن ثم ضرورة وجود سلاح إستخبارات يكون معظمة نظامياً أيضًا، ويعمل بالتعاون مع أصدقاء إسرائيل لهدف أساسى واحد وهو إعطاء إنذار عن إستعداد أى عدو ينوى القيام بعمليات هجومية ضد إسرائيل، وهذا الإنذار يجب أن يكون مبكراً حتى يتيح الفرصة الكافية لتعبئة قوات الاحتياط فى الموعد المناسب، ومن ثم الإستعداد الكامل ومنع الغير من إمتلاك عنصر المفاجأة.

* يتم إعطاء هذا الإنذار تبعًا لمعلومات يتم تجميعها من مصادر مختلفة وصور جوية وتصنت الكترونى وعمليات مراقبة وإستطلاع وعملاء وأجهزة إستخبارات أجنبية. هذه المعلومات لم تكن تركز على وجود نوايا هجومية لدى الأطراف المعادية لإسرائيل بل كان الإنذار يتم إستناداً على مجرد معلومات عن تحرك لبعض القوات أو إعادة إنتشار قوات لأعداء إسرائيل فى المناطق القريبة منها. وهذه المعلومات التى لا تقف عند وجود نوايا هجوم كانت كافية لإعطاء وتنفيذ تعبئة لقوات الإحتياط الإسرائيلى سواء تعبئة كاملة أو جزئية.

ما حدث عام ١٩٦٠:

وكنا كمصريين قد مررنا بتجربتين من هذا القبيل عام ١٩٦٠، حيث إستطعنا إدخال فرقة مدرعة وثلاثة ألوية مشاة إلى سيناء سراً دون علم الإستخبارات الإسرائيلية، ولكن وصل نبأ التحركات العسكرية المصرية فى سيناء عن طريق أحد

المصادر الأجنبية إلى إسرائيل، وفور تلقى القيادة العسكرية هذا الإنذار أعلنت فوراً تعبئة وحدات الإحتياط وحشدها تجاه جنوب إسرائيل، وهى عملية التعبئة التى يطلق عليها الاسرائيليون أسم عملية / روتردام. وهنا تمت عملية التعبئة لمجرد توافر أنباء من مصادر أجنبية عن تحركات عسكرية مصريةفى سيناء لا تتضمن أى تقدير لنوايا مصر من وراء هذا التحرك.

ما حدث عام ١٩٦٧:

وكذلك عام ١٩٦٧ وبالتحديد فى شهر مايو، عندما بدأت بعض الوحدات العسكرية المصرية فى عبور قناة السويس وتحركت صوب وسط شبه جزيرة سيناء، هذه القوات لم تكن تبغى الهجوم أو القيام بأى عمل عسكرى، خصوصاً أن هناك حوالى سبعين ألف جندى مصرى حينئذ فى اليمن، ومن ثم كان الاسرائيليون يدركون أن مصر ليس لديها نية الهجوم، ولكن القيادة الاسرائيلية وجدت فى معلومات تحرك القوات المصرية إلى سيناء سبباً كافياً للإنذار ومن ثم إعلان تعبئة الاحتياط تعبئة كاملة، ثم المبادرة بالهجوم إستغلالاً للفرصة.

جيش إسرائيل للهجوم وليس للدفاع:

إن جيش إسرائيل كان معروفاً باسم جيش الدفاع الاسرائيلى، ولكن التسمية لا تنطبق على الواقع، فمتابعة أعمال هذا الجيش منذ نشأته عام ١٩٤٨ توضح أنه كان بحق جيش الهجوم الاسرائيلى وليس جيش الدفاع الاسرائيلى.

فعلى المستوى التخطيطى والعملياتى كانت كل المعارك والأعمال العسكرية التى قام بها جيش إسرائيل أعمالاً هجومية، ومرد ذلك إلى أن إسرائيل رأت فى ضوء الظروف التى أنشأت نظرية الأمن القومى الاسرائيلى، أن عليها أن تكون هى دائماً المبادرة بالهجوم.

فالجيش الذى يعانى من خلل عددى حاد عليه مسئوليات كبيرة فى الدفاع عن الحدود، ومن ثم عليه أن يتبنى منطقاً هجومياً ومفاجئاً فى أعماله، وتكون له المبادرة فى تحديد التوقيت والمكان والهدف.. بهذا الشكل فقط يستطيع هذا الجيش قليل العدد أن يقوم بواجبه.

إنه جيش الهجوم الاسرائيلى، وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فهو جيش الهجوم والمفاجأة.

بهذا المنطق كان من الطبيعى ألا تكون لدى الجيش الاسرائيلى أى خبرة عملية بالحروب الدفاعية، فالقوات الاسرائيلية لم تتعرض منذ حرب ١٩٤٨ لموقف وجدت فيه نفسها فى موقف دفاع، فهو جيش من الطبيعى ألا يكون بنفس قوته وكفاءته الهجومية فى الوضع الدفاعى.

وإستناداً إلى هذه الحقيقة كان علينا أن نعمل على إستغلال هذه الأوضاع والاستفادة منها، وهو الأمر الذى لن يتحقق إلا إذا إمتلكنا نحن المبادأة بالهجوم ووضعنا الجيش الاسرائيلى فى موضع الدفاع.

ولا يمكن إمتلاك المبادأة بالهجوم إلا بخداع العدو بالإعلام العلمى، بحيث يقتنع بأننا لا نقوى على الهجوم كى نضمن ألا يقوم العدو بالمبادأة بالهجوم علينا كما حدث فى كل الحروب السابقة.

* وهكذا وضعت كل هذه المعلومات أثناء عرضى لخطة المفاجأة الاستراتيجية على السيد رئيس الجمهورية، وبينت أن إسرائيل لديها حساسية خاصة تجاه أى تصريحات إعلامية أو تحركات أو حشد لأى قوات مقابلة لإسرائيل، وإن وصول معلومات بهذا الشأن إلى إسرائيل يعد كافياً لإعلان التعبئة وتحويل شعب إسرائيل إلى جيش اسرائيل، دون أى إعتبار لوجود نوايا للهجوم على القوات الإسرائيلية.

الخلاصة: يجب أن نتبنى المفاجأة الاستراتيجية وتنفيذها بواسطة خطة إعلامية متكاملة ـ وقد وافق الرئيس أنور السادات على هذه الخطة السرية التى لا يعلمها إلا هو شخصياً.

دراسة أفكار ونفسيات القيادات الاسرائيلية:

* قمنا بجمع التصريحات والتعليقات التى صدرت عن القيادات الاسرائيلية خاصة العسكرية منها منذ يونيو ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣، وكذلك متابعة كل الكتب الاسرائيلية التاريخية والعسكرية والتقارير والمعلومات الواردة عن المواقف والأنشطة

التى يشارك فيها المسئولون العسكريون الاسرائيليون سواء داخل إسرائيل أو خارجها، وتمكنا من جمع كم كبير من المعلومات الهامة بهذا الصدد.

*** تحليل هذه المعلومات كان يشير إلى أن الغرور والغطرسة قتلت تفكير القادة وأولهم موشى ديان.**

* بإنتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ أخذ الجيش الاسرائيلى يحيا حياة ملؤها الغرور بسبب نشوة النصر، ولم يكن هناك حد لسيل المديح الذى أغدق عليه من كل جانب، سواء من فئات المجتمع الاسرائيلى المختلفة أو من وسائل الإعلام الاسرائيلية والعالمية التى صورت الجيش الاسرائيلى بأنه الجيش الذى لا يقهر، وإن إنتصاره فى حرب ١٩٦٧ يعد من أعظم الانتصارات العسكرية فى التاريخ الحديث.

* وكان على رأس من نالوا المديح والتقدير كبار قادة الجيش الاسرائيلى الذين كانوا يتنقلون من موكب مجد إلى موكب آخر، تتصدر صورهم ألبومات الصور التى طبعتها إسرائيل وغمرت بها العالم أجمع عن إنجازاتها فى ١٩٦٧، وكانت وسائل الإعلام الاسرائيلية تضعهم فى هالة ضوئية هائلة، وكانت أقرب إلى التقديس منها إلى التقدير والاعجاب.

* أصبح كبار الضباط فى الجيش الاسرائيلى يحظون بشهرة أوسع من شهرة نجوم السينما، فإذا كان كبار الضباط قبل حرب ١٩٦٧ كانوا معروفين على مستوى قواتهم وأسلحتهم فقط والقليل منهم معروف على مستوى الجيش الاسرائيلى كله، فإنه بعد ١٩٦٧ أصبح كبار الضباط الاسرائيليين وعقلياتهم الفريدة وإنجازاتهم العظيمة وخططهم الاعجازية، من موضوعات الأحاديث اليومية على ألسنة الشعب الاسرائيلى وفى وسائل الإعلام الاسرائيلية والعالمية المؤيدة لإسرائيل.

* عرف كل مواطن فى اسرائيل كبار ضباط الجيش معرفة شبه كاملة، فكان يعرف أسماءهم وتاريخهم وإنجازاتهم والمآثر التى قيلت عنهم... وبدأ كبار الضباط فى معرفة الطريق إلى المقالات الصحفية والاذاعية والتليفزيونية، وبحجم النشاط الإعلامى يكون حجم الشهرة، الأمر الذى أوجد نوعًا من التسابق بين كبار الضباط الاسرائيليين على الشهرة.

غرور وغطرسة شارون:

صرح الجنرال اريل شارون فى ٢٦ يوليو ١٩٧٣ - إن إسرائيل أصبحت فى موقف التفوق الحربى - وقال:

«إن كل جيوش الدول الأوروبية أضعف منا.. فإسرائيل يمكنها فى غضون اسبوع واحد، أن تخضع المنطقة الممتدة من الخرطوم حتى بغداد والجزائر».

All the forces of European countries are Weaker than we are Israel can conquer in one week the area from Khartoum to Baghdad and. Algeria.

وكما يقول مؤلفو كتاب «التقصير» ص ١٦٦:

إن الجنرالات الذين أحبوا مشاهدة صورهم تنشر فى الألبومات والصحف، لم يفوتوا أية مناسبة عامة دون الظهور فيها أمام الجمهور. لقد أصبحوا نجوماً إجتماعية لامعة، تحولت إلى بهرجة يستحيل التنازل عنها فى أى حدث إجتماعى، حفلة كوكتيل، عرض افتتاحى، أو إفتتاح معرض صور، وأصبحوا زبائن دائمين فى المطاعم الفخمة فى إسرائيل. وقد وصل التمادى بأحد الجنرالات إلى حد الاشتراك فى الافتتاح العلنى لوكالة لمنتجات التجميل.

ارتأت نساء الوسط الرفيع فى مجتمع تل أبيب أن من واجبهن دعوة جنرال أو اثنين على الأقل إلى الحفلات التى يقمنها أيام الجمع، ومن تنجح فى دعوة جنرال أكبر وأكثر أهمية، تكون قد حظيت بنصر إجتماعى كبير فى ذلك الاسبوع. وكانت تهتم طبعًا بتسريب خبر عن ذلك إلى زاوية الاشاعات الملائمة لإثارة حفيظة الأخريات!!.

* لم يكن هذا الوضع قائمًا داخل إسرائيل فقط بل خارجها أيضًا، فقد كانت المعلومات المتوافرة لدينا توضح أنه عندما يسافر أحد كبار الضباط الاسرائيليين إلى الخارج كان يحظى باهتمام كبير، سواء من اليهود الموجودين خارج إسرائيل أو من وسائل الإعلام الأجنبية.

* فى ظل هذه الأوضاع سيطرت على ذهن القيادات العسكرية الاسرائيلية **فكرة متضخمة عن الذات وغطرسة** علت وتراكمت إلى حدها الأقصى.

* وكان وزير الدفاع الاسرائيلى موشيه ديان مثالاً بارزاً لذلك، فقد كان ما يقوم به من تصرفات وما يصدر عنه من تصريحات أو تعليقات نموذجًا لما يجب أن يحذو حذوه كبار الضباط الاسرائيليين، فلقد نجح موشيه ديان فى خلق صورة عن نفسه سواء داخل إسرائيل أو خارجها تشير ملامحها إلى أن **(موشيه ديان عبقرى لا يمكن خداعه أو هزيمته)**.

* هذه السمات والتصرفات إنتشرت فى المواقع القيادية فى إسرائيل فى الجيش وفى الحكومة، وفى جهاز المخابرات الاسرائيلى الذى أوجد هو الآخر لنفسه أسطورة تقول أنه أذكى جهاز مخابرات فى العالم، بل إستغل السطوة الإعلامية اليهودية فى العالم لتسويق هذه الاسطورة.

* كان من نتيجة بروز شهرة كبار الضباط الاسرائيليين وتقديسهم من قبل الشعب والإعلام الاسرائيلى، ان نظرت الاحزاب السياسية إليهم بإعتبارهم أوراقًا رابحة فى لعبة الانتخابات، وكذلك نظرت إليهم المؤسسات القائمة بإعتبارهم منبع الكفاءة وشهادة ضمان النجاح.

* وبالتدريج أصبحت إسرائيل تعيش فى حماية وتحت قيادة مجموعة من الشخصيات غير العادية، سواء كما يرى هؤلاء المسئولون أنفسهم، أو كما يراهم الشعب الاسرائيلى **شخصيات اسطورية لا يمكن هزيمتها**.

الاستنتاج:

مع مثل هذه العقليات والشخصيات التى تشغل المناصب القيادية فى إسرائيل خاصة فى الجيش الاسرائيلى، كان لابد من إستغلال هذه الصفات لتحقيق عنصر المفاجأة والمبادرة.

بمعنى إعطائهم الفرص والمناسبات والمواقف التى تتيح لهم إمتلاك مساحة أكبر لإظهار ثقتهم بأنفسهم وزيادة إيمانهم بقدراتهم التى لا تقهر، وإعطائهم ما يؤكد لهم

باستمرار أنهم على حق فى ذلك من خلال إقناعهم بمدى الضعف الذى تعانى منه القدرة والارادة المصرية، مع تسريب لفتات منا توضح إعترافنا بقوتهم حتى نتيح لأنفسنا التجهيز الكامل للحرب.

وذلك لن يتحقق إلا من خلال خطة متكاملة للخداع والتمويه يقوم بها الإعلام المصرى لتحقيق «المفاجأة الاستراتيجية»، وتزيدهم غطرسة وغروراً ويصبحون فى غيهم يعمهون.

عناصر تنفيذ خطة الإعلام التى حققت المفاجأة الاستراتيجية

قدمت للسيد رئيس الجمهورية دراسة عن المفاجأة الاستراتيجية:

وكان من بين ما قدمته للرئيس السادات: دراسة تاريخية منذ عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٧٠، وجدولا يبين الحروب التى قامت على أساس المفاجأة الاستراتيجية.. وكلها نجحت وأهمها:-

١ - غزو المانيا للنرويج عام ١٩٤٠.

٢ - غزو المانيا لروسيا ١٩٤١.

٣ - غزو اليابان لبيرل هاربور ١٩٤١.

٤ - غزو اليابان للملايو وإحتلال سنغافوره عام ١٩٤٢.

٥ - مهاجمة كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية ١٩٥٠.

٦ - إسرائيل تهاجم مصر يونيو ١٩٦٧.

٧ - الغزو السوفيتيى لتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨.

وهناك ملحوظة هامة وهى أن خطة الأمن الاسرائيلى بنيت على عقيدة الهجوم - ولم تتدرب إسرائيل على وسائل الدفاع.

لذلك إذا إتبعت مصر وسائل وأساليب الإعلام لخداع وتضليل إسرائيل - بحيث تأخذ مصر زمام المبادأة متبعة مبدأ المفاجأة الاستراتيجية المبنية على السرية التامة

بين رئيس الجمهورية وشخص واحد فقط لينفذها ـ سيكون النجاح حليف مصر بعون الله.

أما عناصر تنفيذ خطة الإعلام التى حققت المفاجأة الاستراتيجية، فقد شملت ما يأتى:

وضع هدف استراتيجى له شروط سرية للغاية لتحقيقه:

ويقصد بالهدف الاستراتيجى هنا قرار الحرب، وسرية تحقيقه لا تنبع من وجود أو عدم وجود نية الحرب، فظروف ما بعد ١٩٦٧ تقود إلى طريق واحد هو الحرب، ولكن السرية تكون فى الإعداد لهذه الحرب من ناحية وإقناع إسرائيل بعدم قدرتنا على الحرب من ناحية ثانية.

وضع هدف مخادع لتحويل الانظار إليه بعيدًا عن الهدف الاستراتيجى:

ويقصد بالهدف المخادع هنا إقناع إسرائيل والعالم بإقتناعنا أو بالأحرى بتسليمنا أن لا سبيل أمامنا سوى التسوية السلمية، وتكثيف الأنشطة التى تخدم هذا الهدف. فمثلاً إشاعة أن مصر تريد تحرير الأرض المحتلة Liberation وليس العدوان على إسرائيل، وهى عبارة تجد فى الغرب صدى أفضل من الاستعداد للحرب.

التحكم المركزى والسرية التامة والسيطرة على المعلومات:

الصادرة عن مصر، وذلك من خلال المركزية المطلقة بحيث لا يذاع أو ينشر أى خبر أو تصريح أو مقال أو معلومة ما إلا بموافقة الرقابة عليها، والرقابة هنا فى يد شخص واحد هو المسئول عن تنفيذ خطة المفاجأة الاستراتيجية. وهذا ما حدث فعلاً، فقد كنت أحتفظ بمنصب وزير الإعلام والرقيب العام على كل البرقيات الصادرة من مصر وعلى كل ما تنشره الصحافة المصرية، وعلى كل ما يذاع أو يبث فى الاذاعة والتليفزيون، وكنت المسئول عن تحديد ما ينشر وما لا ينشر، ومسئولا عن تحديد المعلومات التى تعلن والشخصيات التى تنسب إليها هذه المعلومات والتوقيت الذى يتم فيه ذلك.

وأذكر بهذا الشأن كم من تصريح صدر عن مسئول مصرى يأخذه الحماس الوطنى فى أحد الاجتماعات أو اللقاءات، فيقول إن مصر تعد كل الإمكانيات للحرب وضرب إسرائيل، ولكنه فى اليوم الثانى لا يجد أى إشارة إلى هذا التصريح أو إلى خطبته الحماسية أو حتى تعليق عليها، وعندما يسأل يكون الرد أن الرقابة منعت النشر، وكنت أواجه مشاعر الإستياء من هذا المسئول أو هذا الصديق مما جعل المتضايقين منى يتزايدون!!.

إيجاد منطقة من الظلام المعلوماتى لدى إسرائيل:

وذلك من خلال إضفاء كامل السرية والغموض على أنباء أو أحداث معينة، بحيث لا يتم معرفة أى شيء عنها أو معرفة ما حدث فيها أو تفسير حدوثها فى هذا التوقيت، الأمر الذى يخلق منطقة من الظلام المعلوماتى فى الصورة الاستخبارية التى تكونها إسرائيل عنا. وفى بعض الأحيان كنا نحاول إضفاء السرية على أحداث معينة بهدف جذب إسرائيل إلى الاهتمام بها أكثر مما يجب، وإستغلال ذلك لإبعادها عن أحداث أخرى.

إستخدام أساليب الخداع والتمويه الإعلامى:

فعلى سبيل المثال كنا نركز على معلومات بعينها ونضخمها، وفى المقابل نهون من معلومات أخرى. وفى بعض الأحيان كنا نقدم معلومات متناقضة وتقديرات متعارضة وندفع إسرائيل للإنشغال بتفسيرها. وكنا نستخدم المعلومات المضللة وتسريب أخبار معينة، والإعتماد على مصادر متعددة وأماكن مختلفة لممارسة عملية الخداع والتمويه. فعلى سبيل المثال كنا نصدر معلومات عن مصر من هنا فى القاهرة ومن أماكن أخرى كبعض العواصم العربية بل والأوروبية، أو من خلال مسئولى بعض الدول الذين يتظاهرون بالصداقة لنا فى حين أنهم يبغون التعرف على نوايانا لإبلاغ إسرائيل.

المتابعة المستمرة لمعرفة تأثير أساليب الخداع والتمويه على العدو:

وذلك من خلال متابعة المعلومات والتصريحات الصادرة من أو عن إسرائيل فيما يتعلق بالأنباء والمعلومات التى إستخدمناها فى أعمال الخداع والتمويه، وتحديد مدى

ما حققته من نجاح أو فشل، ومراجعة هذه الأساليب أولاً بأول، وإبتكار أساليب جديدة بسيطة أو معقدة إستناداً إلى تجارب ونتائج الأساليب القائمة.

إستخدام أساليب الحرب النفسية:

وكانت وسيلتنا فى ذلك الاذاعة العبرية التى أنشأناها وجعلناها تبث من القاهرة ناطقة بالعبرية دون أن يعرف أحد وجودها، وتستهدف الشعب الإسرائيلى، خاصة شريحة الشباب منه، وكانت الرسالة الإعلامية للإذاعة العبرية تقول: إن الحرب إثم كبير حرمته الأديان المختلفة، وإن اليهودية والمسيحية والإسلام أديان سماوية موحدة ترفض الحرب والقتل والدم، وان السبب فيما يحدث فى الشرق الأوسط ليس بسبب العرب وليس بسبب الشعب الإسرائيلى، بل بسبب قلة من المسئولين والقيادات الإسرائيلية التى ترى فى إستمرار حالة الحرب وضعاً معززاً لمكانتها حتى لو كان ذلك على حساب دماء الأبرياء، وقادة إسرائيل منذ بن جويون حتى جولدا مائير عددهم قليل وهدفهم البقاء فى الحكم.

ومن ثم آن الآوان للعيش فى سلام والتنديد بالحرب. وقد نجحت هذه الاذاعة العبرية فى إيجاد شريحة ليست بقليلة من المستمعين الاسرائيليين. وكانت تذيع أحدث الموسيقى والأغانى التى يحب سماعها الشباب.

وعلى الجانب الآخر كانت الاذاعة العبرية تغذى مشاعر الغرور لدى الاسرائيليين، ولا تهاجم الاذاعة الشعب الاسرائيلى ولا اليهودية وإنما تهاجم الصهيونية، وكذلك تصرفات القادة وجر الشعب الإسرائيلى والعرب للحرب.

تجاهل الأنشطة والتصريحات الإسرائيلية ذات الصلة بالحرب:

- كانت تصدر عن إسرائيل تصريحات مستمرة عن أنشطتها العسكرية تبرز التفوق العسكرى الإسرائيلى، وأحياناً تكون هذه التصريحات مستفزة بالنسبة لنا إلى أبعد الحدود، ولكننا كنا نتعامل معها بتجاهل شبه كامل.

- وأكثر من هذا؛ فإن الأنشطة العسكرية الإسرائيلية كنا نتعامل معها أيضاً بنوع من التجاهل. وأذكر فى هذا الشأن أنه كانت لدينا فى بداية عام ١٩٧٣ انباء عن أن

إسرائيل ستجرى مناورة عسكرية لبعض تشكيلاتها الموجودة فى سيناء فى صيف ١٩٧٣، إلا أنه لم يتحدد موعد محدد لإجراء هذه المناورة.

- وفى مايو ١٩٧٣ أعلنت إسرائيل عن مناورة مفاجئة لها فى سيناء، وكان المفترض أن يصدر عن مصر أنباء وأخبار عن رد فعل مناسب لهذا الخبر، ولكن كان رد فعلنا سلبى للغاية، بمعنى أننا تجاهلنا تماماً الأنباء والتعليقات الخاصة بالمناورة الإسرائيلية فى سيناء، على الرغم من أن المناورة إستغرقت أسبوعين وعلى مرأى من قواتنا المسلحة غرب القناة.

هذا التجاهل المتعمد كان له أثر فى تضليل إسرائيل وخداعها فيما يتعلق بنوايا وقدرات مصر، وزاد من إيمانها بعجز مصر عن القيام بأى عمل عسكرى فى هذه الفترة.

تأمين الاحتياجات الاستراتيجية والاحتياطى الاستراتيجى الذى تحتاجه القوات المسلحة أو الجبهة الداخلية عند إندلاع الحرب وأثناءها وبعدها، تحسباً لأسوأ الظروف فى إطار من السرية الكاملة، وهذه العملية تمت طوال عام الإعداد للحرب، وكان هذا التأمين يغطى محافظات مصر المختلفة، وتم إنشاء مستودعات مخازن لذلك، بأسلوب التبادل: جزء يكون معروفاً ويستخدم بالطاقة الدنيا له، وجزء غير معروف ويستخدم بطاقات شبهه كاملة.

وقد تمثل النجاح أثناء المعركة فى عدم وجود طوابير، بسبب وفرة المواد الغذائية.

إستغلال حملة الدعاية الإسرائيلية بعد ١٩٦٧ فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية

* قادت إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ حملة دعائية ونفسية كبيرة بتخطيط وإشراف من مدير المخابرات الإسرائيلي حينئذ يهوشناط هاركابى تهدف إلى تحطيم الشخصية العربية وجعلها تستسلم نفسياً أمام إسرائيل.

* إرتكزت هذه الحملة على عدة دعاوى ومزاعم راح الإسرائيليون يروجونها فى كل مكان فى العالم طامعين أن يجسدوها حقيقة نفسية واقعة، وإستخدموا فى ذلك الإعلام الدولى الذى يسيطر عليه اليهود فى معظم أنحاء العالم وغلفوا هذه الدعاوى والمزاعم بغلاف علمى حاشدين كل الإمكانيات لانجاح مخططهم.

ما هذه المزاعم؟

* العرب كأفراد وشعوب ودول لا يعرفون أو يقدرون معنى العمل الجماعى بل على العكس يقدرون العمل الفردى إنطلاقًا من شعور دفين بعدم الثقة والخيانة بين العربى والآخر.

* العرب ليسوا عقلانيين بل تحكم تصرفاتهم المشاعر الهوجاء فهم عاطفيون إلى أبعد الحدود وغير عقلانيين إلى أبعد الحدود أيضاً.

* العرب من الأجناس المتخلفة التى تفتقد الإهتمام بمعايير العمل والكفاءة، فهم كأفراد وحكومات وشعوب لا يقدرون معيار الكفاءة سواء وقت السلم والبناء أو حتى وقت الحرب، وذلك لميراث دفين فى شخصية العربى.

* عقول العرب تفتقد القدرة على التفكير السليم ومن ثم المبادرة والإبتكار وذلك لنقص يعيبها، وهو نقص ملازم لها وما حدث فى عام ١٩٦٧ كانت نتائج طبيعية لإسرائيل فى مواجهة مثل هذه العقول الصدئة العاجزة عن التفكير والتقدير السليم والتى تخلت عن إمكانيات المبادرة والإبتكار.

* إن العرب يمثلون عبئاً على الإنسانية وليس إضافة لها وما حدث فى عام ١٩٦٧ الخطوة الأولى لإخراج هؤلاء العرب من التاريخ لأنهم لا يستحقون إلا هذا المصير وغيرها من المزاعم والأباطيل الدعائية والنفسية والتى نجدها تصب فى نتيجة واحدة يريد الاسرائيليون أن يقنعوا العرب بها ألا وهى أنه فى يونيو ١٩٦٧ كانت هزيمة العرب هزيمة نهائية، وإنهم ليس بمقدورهم أن يقفوا على أقدامهم مرة أخرى ولو حاولوا ما إستطاعوا فالعرب أصبحوا جثة هامدة فى مواجهة قوة كبيرة متطورة إسمها إسرائيل تستطيع أن تفعل بالعرب وبأراضيهم ما تشاء.

ماذا فعلنا؟

*** كان تحقيق المفاجأة الاستراتيجية يمثل قلب خطة اعداد الدولة للحرب ومن ثم كان التعامل مع هذه الدعاوى والمزاعم فى ضوء هذا الهدف، ومن ثم توجه عملنا نحو تأكيد هذه الدعاوى ولكن لدى الإسرائيليين أنفسهم بمعنى إقناعهم تدريجيًا بأن**

ما يقولونه ويصفون به العرب هو واقع حقيقى وما يقولونه عن قوتهم وقدرتهم هو أيضاً أمر حقيقى.

* وكانت هذه إحدى الأدوات الهامة التى إستخدمت فى تنفيذ خطة المفاجأة الاستراتيجية، وبالفعل كانت الأيام تكشف لنا يوماً بعد يوم فى تأثير ذلك المخدر المسمى [الثقة العمياء بالقدرات الذاتية فى مواجهة ضعف وإنهيار عربى] على عقول وتصرفات المسئولين الإسرائيليين أنفسهم والذى تأكد فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية وإنتصارات أكتوبر المجيدة التى كانت هى الرد الوحيد القادر على إجتثاث هذه الحملة الدعائية الإسرائيلية من جذورها وقد حدث.

* لقد كانت إسرائيل تنظر نظرة إستعلائية إلى العرب وكان عليها أن تفيق وقد أفاقت على كابوس يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ والذى لن تستطيع أن تنساه.

التعتيم على الصفقات التى تعقدها مصر مع دول العالم لشـــــراء إحتياجاتنا من الخارج، وبالنسبة لإحتياجات القوات المسلحة كان يتم ذلك التعتيم من خلال تحرك مسئولى الجيش يشاركهم مسئولون ينتمون لوزارة من الوزارات وكلهم يظهرون بإعتبارهم مدنيين يمثلون هذه الوزارة، وفى بعض الحالات نعلن نحن عن عقد صفقات للوزارة المدنية هذه أو تلك، فى حين أنها كانت تتوجه للقوات المسلحة.

إستخدام بعض الأخبار عن إسرائيل وقوتها العسكرية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية. فبعد أن كنا نرفض أن تنشر صحافتنا وإعلامنا أى أخبار عن صفقات السلاح الإسرائيلية أو عن تقدير موقف لصالح إسرائيل.. بدأنا نستخدم هذا الإجراء فى خدمة خطتنا، فكنا نسمح بحذر بالإعلان عن الصفقات العسكرية لإسرائيل وعن القدرات الكبيرة التى تمتلكها إسرائيل.. وعما يقال عن أن إسرائيل قادرة على تحويل القناة إلى مقبرة حارقة أو عن خط بارليف.. وعلى الرغم من تأثير ذلك على الجبهة الداخلية من إصابتها بالإحباط، إلا أنه كان ذا تأثير كبير فى توصيل الرسالة الأساسية التى نريد أن تصل لإسرائيل، وهى أن مصر غير قادرة على الحرب، ومن ناحية أخرى يزيد من الغرور والغطرسة الإسرائيلية بما فى ذلك من أثر على إستعداداتهم.. أى يحقق الهدف الاستراتيجى وهو تحقيق المفاجأة.

معالجة الحساسية الإسرائيلية بإعلان التعبئة كأول رد فعل:

* إن نظرية الأمن الإسرائيلية تحتم إعلان التعبئة العامة وإستدعاء الإحتياط عند أى إنذار بإقدام أى دولة عربية على القيام بعمل عسكرى غير تقليدى، سواء كان هذا العمل عسكريا قتاليًا مباشراً أو كان مجرد نقل أو إعادة توزيع قوات. وإسرائيل تطبق هذه المسألة بشكل كامل، ولذلك فلقد تربى لدى المسئولين الإسرائيليين حساسية شديدة من وجود أى إنذار، وهذه الحساسية تدفعهم إلى رد فعل واحد لا يتغير هو: إعلان التعبئة العامة والوقوف فى حالة إستعداد قد تتطور إلى حالة مبادأة هجومية.

يقول حاييم بارليف القائد العسكرى الإسرائيلى:

«إن منع المفاجأة لا يحتاج إلى جهد فكرى خاص، بل يجب أن تكون يقظا للعمليات المادية التى يقوم بها العدو على الأرض بلا علاقة مع النوايا المنسوبة إلى هذه العمليات.. إن كل شىء يحدث عند العدو له أى معنى لإمكانية إحداث حرب يحتاج إلى خطوات رد فعل».

(كتاب الاستخبارات والأمن القومى الإسرائيلى ص ٤٨٩).

* لذلك كانت المهمة الصعبة التى أمامنا تتمثل فى جعل المسئولين السياسيين والعسكريين فى إسرائيل ينتقلون من الاعتماد على التحركات المادية فى إعطاء الإنذار ومن ثم إعلان التعبئة العامة، إلى الإعتماد على تقدير نوايا الدول العربية، وهذه مسألة ليست سهلة.. خاصة أن الخبرة الإسرائيلية منذ قيام الدولة العبرية بل وفى فترة تكوين الدولة نفسها، كانت لا تلق بالاً للنوايا وتركز على الأعمال المادية، والتى كان يعتبر أقلها باعثاً ومبرراً لإعلان التعبئة العامة.

كما حدث فى عام ١٩٦٠ (عملية روتردام) فى شهر فبراير حينما أدخلت مصر سراً فرقة مدرعة وثلاثة ألوية مشاة - وكانت هذه قوة كبيرة بمفاهيم هذا الوقت، ولم تكشف أجهزة الموساد هذه القوة المصرية، وذكر زعيرا فى كتابه أنه جاءه نبأ دخول القوات المصرية إلى سيناء من مصادر أجنبية فى إسرائيل، وفور تلقيه النبأ أمر رئيس هيئة الأركان العامة الفريق حاييم ليسكوف بتعبئة وحدات إحتياط وحشد قوات فى جنوب سيناء، وهو ما يمثل تطبيقاً كلاسيكياً لنظرية الأمن القومى (ص ٣٨) كذلك تم فى عام

١٩٦٧ حرب الأيام الستة فى شهر مايو، عندما بدأت وحدات مصرية عبور قناة السويس، وبوجه خاص بعد أن عبرت الفرقة المدرعة الرابعة القناة وتحركت صوب وسط شبه جزيرة سيناء، إذ قام رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلى حينذاك الفريق إسحاق رابين بتعبئة كل قوات جيش الدفاع الاحتياطية تقريبًا، وقام بتوزيع معظمها على حدود إسرائيل.. والكل يدرك أن الحرب كانت آخر الاحتمالات بالنسبة لمصر.

- وفى الحالتين تم تنفيذ التعبئة العامة إعتماداً على معلومات بتحركات أجنبية معادية لإسرائيل، دون ربط هذه المعلومات بأى تقديرات للنوايا أياً كانت، بمعنى أن إسرائيل ترى فى أى تحركات أو حشود لقوات أعدائها تهديداً لأمنها - إنذاراً لها يستدعى إعلان التعبئة العامة دون أى تطرق لموضوع نوايا العدو.

* أؤكد مجدداً أننا ركزنا على تحويل أنظار المسئولين الإسرائيليين من التركيز على المعلومات المادية إلى التركيز على النوايا والقدرات الحقيقية، حين يقررون إعلان التعبئة العامة، وهذا الأمر بالغ الأهمية، لأن الأيام القليلة السابقة على أى حرب نشنها ضد إسرائيل لابد وأن تتضمن تحركات وإعادة توزيع وحركة غير عادية تكون كافية لإسرائيل لإعلان التعبئة ومن ثم إنتفاء عنصر المفاجأة التى كانت تعتمد الخطة المصرية عليها بشكل كبير.

* كانت خطة الخداع الاستراتيجية تهدف أساسًا لتحقيق هذا الأمر، ومن ثم فإن كل ما تضمنته أعمال الخداع والتمويه ساهم بدوره فى تحقيق ذلك، سواء كانت معلومات مضللة أو إعلام مصرى ذا توجيه هادىء أو إستغلال للمظاهرات فى مصر ضد الأوضاع القائمة، أو نمط السلوك المصرى فى المحافل الدولية.

إلى جانب عنصر مهم موجه أساسًا إلى مسئولى إسرائيل، هذا العنصر هو جعل مسألة إعلان التعبئة العامة وإستدعاء الاحتياط مسألة ثقيلة على كاهل المسئولين، وجعلها خياراً تالياً لخيارات أخرى وليس هو الخيار الأول كما كان، وتم تنفيذ هذا الأمر من خلال الإستفادة مما حدث فى عامى ١٩٧١ و ١٩٧٢ فيما يخص المناورات المصرية أو التدريبات، أو أى أنشطة مصرية لقيت إهتمام ولفتت إنتباه إسرائيل، مع البناء على هذه الأمور لتدعيم ما نريد توصيله إلى المسئولين فى إسرائيل.

* ويمكن فى هذا المجال الإشارة إلى عام ١٩٧٣، فقد إستطعنا خلاله أن نوصل إلى إسرائيل معلومات عن نوايانا بأننا سنحارب فى وقت معين، وهو ما حدث فى شهر مايو ثم فى شهر أغسطس ١٩٧٣، وفى الحالتين أسرعت إسرائيل بإعلان التعبئة العامة والإستدعاء الكامل لقوات الاحتياط، فى حين كانت القوات المصرية يبدو عليها حالة الإسترخاء شبه التام.

* وكان يتم توصيل هذه المعلومات إلى إسرائيل من خلال وسائل غير مباشرة، سواء من خلال مسئولى بعض الدول الذين يتظاهرون بمظهر الصداقة لنا فى حين أننا نعرف أنهم يبغون التعرف على النوايا المصرية وإبلاغها إلى إسرائيل. أو من خلال بث أنباء متفرقة مختلفة المصادر فى عواصم عربية وأجنبية عن إستعداد مصر فى شهر مايو للحرب، أو إعلان ذلك فى شهر أغسطس.

وكان إعلان التعبئة العامة فى إسرائيل فى هذه الفترة التى كانت خطة المفاجأة الاستراتيجية / الخداع الإعلامى قد بدأت تحقق نجاحاً فى إقناع العالم وإسرائيل شعباً ومسئولين سياسيين بأن مصر لن تدخل الحرب على الأقل فى المستقبل القريب - كان أمراً من الصعب تقبله فى المجتمع والسياسة الإسرائيلية، خاصة أن تكلفتها عالية، إذ كان تنفيذ التعبئة العامة يكلف إسرائيل عشرة ملايين دولار فى كل مرة.. وهذا مبلغ ليس بسيط بالنسبة لظروف إسرائيل ودواعى ذلك فى نفس الوقت.

* وبالفعل أثمرت تجربتا مايو وأغسطس ١٩٧٣ إلى جانب نجاحات باقى جوانب خطة الخداع والتمويه فى جعل مسألة إعلان التعبئة العامة مسألة ثقيلة على المسئولين الإسرائيليين، للحد الذى إستدعى أن تجتمع رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير مع وزير الدفاع موشيه ديان، وأبلغته بأن تكلفة تنفيذ التعبئة العامة المالية والمعنوية على الشعب الإسرائيلى تكلفة عالية، وعلى العسكرين أن يتيقنوا من جدية ما يدفعهم إلى إعلان التعبئة العامة. لأن إعلان التعبئة يعنى توقف كل الأعمال فى إسرائيل، وإسراع كل فئات الشعب بحمل السلاح والسفر إلى وحداتها العسكرية!!.

* ولقد برز نجاح الجهود المصرية قبل حرب أكتوبر، فعلى الرغم من أنه قبل أيام من بدء الحرب إجتمعت جولدا مائير مع مسئول عربى قام خلال الاجتماع بتنبيهها

إلى عمل عسكرى تزمع مصر وسوريا القيام به قريباً ضد إسرائيل، إلا أن جولدا مائير لم تأخذ أقوال هذه الشخصية الصديقة لإسرائيل (كما توصف فى الكتب الإسرائيلية) مأخذ الجد، وذلك لقناعتها الزائفة التى أوجدناها لديها والتى ترى إحتمال الحرب إحتمالاً بعيداً، وعلى الأقل أمر لا تقوى عليه مصر.

* كذلك ما تم فى الساعات الأخيرة قبل الحرب، إذ يعترف الإسرائيليون أنهم علموا قبل ساعات من بدء المعارك أن هناك تحركات مصرية تتم وأنها تحركات تستدعى إعلان التعبئة، إلا أن حالة الغموض وعدم التأكيد من هدف هذه التحركات فى إطار تأكيد مسبق عن نوايا مصر غير القادرة على الحرب إلى جانب تجربتى مايو وأغسطس الخداعيتين، جعل هذا كله المسئولين الإسرائيليين لا يتخذون قرار إعلان التعبئة العامة إنتظاراً لما ستسفر عنه الأحداث، ولثقتهم أصلاً بأن مصر لن تدخل حرباً، وذلك لأنهم ركزوا على نوايا مصر وقدراتها بالشكل الذى صنعناه لهم.

وكما جاء فى كتاب «التقصير» الإسرائيلى:

«والحقيقة هى أنه كلما كان السادات يكثر من نشر تهديدات الحرب ـ شخصياً أو عن طريق جهات أخرى، كان يضعف إستعداد إسرائيل للنظر بجد إلى أقواله. وبينما كان الرئيس المصرى يحاول باستمرار «تسخين» الجو فى الشرق الأوسط. كان رد الفعل الإسرائيلى الدائم: «هذا غير جاد» لن يحدث أى شىء».

إن رد الفعل هذا ـ أو بدقة أكثر، عدم وجود رد فعل ـ كان النتيجة المرجوة لخطة التضليل المصرية، إن هذا، وهذا فقط، هو أساس الكارثة التى حدثت فى السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣.

دراسة الرأى العام المصرى دراسة تحليلية علمية.

كنت قد وضعت رسالتى للدكتوراه عن الإعلام والرأى العام الداخلى والعالمى. ومن خلال هذه الخبرة العلمية؛ كان تقدير الموقف الإعلامى يرمى إلى الاستفادة من الأوضاع الداخلية فى مصر عام ١٩٧٣ فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية. وذلك على النحو الآتى:

* يمكن وصف الأوضاع الداخلية طوال العام السابق على حرب أكتوبر ١٩٧٣ بأنها صعبة للغاية، فالجميع يشعر بالغضب ويفقد القدرة تدريجيا على الانتظار أو حتى الاستعداد، والجميع يريد لهذا الوضع أن ينتهى. لذلك كان رد الفعل الجماهيرى تجاه تشكيل الحكومة الجديدة فى أول عام ١٩٧٣ سلبيًا غاضبًا رافضًا، وفى أحسن ظروفه كان ساخراً منها.

* إن ما حدث عامى ١٩٧١، ١٩٧٢ من الاعلان فى كل عام منهما إنه عام الحسم وإنهاء هذا الجمود، جعل الناس يفقدون الثقة تدريجيا فى قدرة الحكومة على فعل أى شىء، وهو ما وضح فى عدد وحجم المظاهرات الشعبية التى شهدتها مصر طوال عام ١٩٧٣ وحتى قبل أيام قليلة من إندلاع الحرب.

* كانت هذه المظاهرات تردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة وتصف المسئولين إما بالانهزامية وإما بالخيانة، مع توجيه أفظع الشتائم إلى المسئولين. ويرى البعض أن المظاهرات التى شهدها عام ١٩٧٣ كانت كبيرة من حيث العدد والحجم، وتم نقل أحداثها إلى إعلام بعض الدول العربية والأوروبية، وهذا كان فى الحقيقة جزءاً مكملاً لخطة الخداع.

* فقد كان الهدف من نقل أخبار هذه المظاهرات الشعبيية إلى الإعلام الأجنبى هو إقناع الجميع وأولهم إسرائيل: إن مصر وإن كانت ترفض الوضع القائم وشعبها يغلى من هذا الوضع ولا يطيق تحمله أكثر من ذلك، إلا أنها عاجزة عن المبادأة بعمل عسكرى كبير يعيد إليها أرضها المسلوبة وكرامتها المهدرة، وإن المسئولين المصريين يدركون ذلك ولا يستطيعون البوح به صراحة، ولكنهم يكتفون ببعض الشعارات والتصريحات الجماهيرية فى البداية، ثم توقفوا عنها هى الأخرى فى عام ١٩٧٣، وتوقف أى حديث أو تصريح رسمى عن الحرب. وبالفعل عبرت وسائل الإعلام الإسرائيلية عن ذلك، وكانت تهلل مع كل مظاهرة فى مصر بأن المسئولين المصريين غير قادرين على إتخاذ قرار العمل الحربى، لأنهم لو كانوا قادرين لما إنتظروا وهم يرون ويسمعون مطالب ومشاعر غضب الشعب.

* لقد نجحنا بالفعل فى إعطاء إنطباع عام لدى المسئولين السياسيين فى إسرائيل بأننا لن نقدر على خوض غمار أى حرب فى المستقبل القريب، وهذا لا يعنى أن هذه المهمة تمت بسهولة ويسر، لأن التعامل مع الغضب الجماهيرى وإستغلاله كمادة للخداع والتمويه أمر صعب، لأن السيطرة على الجماهير وإنفعالاتهم خارج نطاق الممكن، فالتعامل كان حساساً للغاية، لأنه يتضمن المستوى الداخلى والمستوى الخارجى وبينهما نوع من التناقض.

أهمية توحيد الصفوف داخليا:

* فعلى المستوى الداخلى كنا نحتاج أن نوحد الصفوف ونستعيد الثقة، وأن نؤمن جميعاً بالأمل، وليس الأمل فقط بل القدرة على تحقيق هذا الأمل، وهذا يعنى إيماناً بقدراتنا ومسئوليتنا. أما على المستوى الخارجى فقد كنا نحتاج أن نظهر للعالم ولإسرائيل خصوصاً أننا غير قادرين على القيام بأى عمل عسكرى إيجابى، وأن الأوضاع ستبقى على ما هى عليه إن لم تزد سوءاً بالنسبة لنا.

وإن حكومة أكتوبر التى كنت رئيسها بالنيابة عن الرئيس السادات، ورثت حالة اليأس والإحباط منذ هزيمة حرب ١٩٦٧ وما بعدها.

المظاهرات الشعبية العنيفة... وماذا نفعل؟:

* وعندما أقول إن هذه المسألة ليست بسهولة الحديث عنها فإننى لا أبالغ، ويكفى الإشارة إلى أن بعض هذه المظاهرات كانت عنيفة وتخرج عن إطار المتوقع لها، بل وفى أحيان كثيرة تأتى بنتائج عكسية على الروح المعنوية للجيش من ناحية وللشعب بشكل عام من ناحية أخرى. ولعل من أصعب المواقف الخاصة بالمظاهرات الجماهيرية فى عام ١٩٧٣ تلك التى قادها المثقفون المصريون بشكل غير مباشر من خلال ما عرف حينئذ ببيان المثقفين، إذ أن تأثيره كان كبيراً، وكان يمكن أن يأتى بتداعيات داخلية لا يمكن السيطرة عليها، وإن كان قد جاء بآثار إيجابية ضمن الخداع الاستراتيجية، خاصة عندما تم توزيعه على الصحافة العربية والأجنبية.

* لذلك إستدعى التعامل مع هذا الموقف التدخل المباشر من جانب الرئيس أنور السادات... فقد إجتمعت أولاً مع كبار المثقفين المصريين لمناقشة ما جاء فى بيانهم فى محاولة لتوضيح الموقف وتأثير بيانهم على الأوضاع العامة، وعقب ذلك إجتمعنا أنا وهم مع الرئيس السادات الذى أوضح لهم أن الاولوية لوحدة الصف، ولا داعى لأى فرقة أو بلبلة فى هذا الوقت، حتى نستطيع أن نستعد للحرب فهى ليست بمهمة بسيطة.

- ولقد كان حديثى مع المثقفين فى ذلك الوقت لا يرضيهم، حيث أننى أخفى عنهم أهم أسلوب يتبع فى الخفاء، فهم يشعرون بأننا لن نحارب وهذا ما جعلهم يستنكرون ما نقول، بينما كنت أحاول جاهداً ألا أذكر أن هناك إعداداً سرياً للحرب، وإن هناك خطة للمفاجأة الاستراتيجية، وأننا نقوم بالإعداد بلا إعلان. ولما لم يقتنعوا بهذا الذى أعلنته لهم قابلهم الرئيس أيضًا وأخفى عنهم خطة المفاجأة الاستراتيجية فزاد غضبهم، كما صبوا غضبهم على ما قلناه لهم، ولكن وهم كلهم وطنيون مخلصون بل أصدقاء أعزاء.. وجدتهم بعد قيام الحرب يهنئوننا على ما تم ويعذروننا على إخفاء أى معلومات حتى لا تتسرب إلى إسرائيل.

أخطر مظاهرة فى أخطر وقت.. مظاهرة متجهة لبيت الرئيس:

* هذه المظاهرات إستمرت قرابة العام بأكمله حتى قبل أيام قلائل من بدء حرب أكتوبر. فمن سخرية الأقدار إنهه حدث أثناء تواجدى فى آخر إجتماع قبل بدء المعركة فى منزل الرئيس السادات الساعة الثانية عشرة يوم الأربعاء ٣ أكتوبر، وكان هذا الاجتماع الهام من أجل تحديد المهام النهائية لبدء المعركة، حيث تقرر نهائيا وبصفة سرية للغاية أن ساعة الصفر هى يوم السبت ٦ أكتوبر، على أن يصدر البيان العسكرى الأول من الاذاعة عن المعركة الساعة الثانية ظهراً، وفى أثناء هذا الاجتماع التاريخى الذى تتحدد فيه المهام المطلوبة الخاصة بهذا الموعد المصيرى للأمة - وجدت موظفاً من الرئاسة مندفعًا نحوى ومعه رسالة، وهو يقدمها لى بإنفعال ظاهر، وكانت من وزير الداخلية يخطرنى فيها بآخر موقف لمظاهرات الطلبة فى جامعة القاهرة، وإنها

مندفعة فى السير نحو إتجاه منزل الرئيس.. وتردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة، وتصف المسئولين بالخيانة والانهزامية.. وقد خاطبت وزير الداخلية تليفونياً بأنه يجب التعامل مع هذه المظاهرات حسب الأسلوب المتفق عليه وتم إتباعه من قبل وهو الهدوء التام - دون إستخدام أى عنف حتى لو إستخدم المتظاهرون ضدهم «الطوب»، وأخطرته بأن تقف جميع عربات الشرطة المدرعة صفوفاً قاطعة الطريق إلى منزل الرئيس.

* كانت الهتافات تردد مقولة الرئيس عبد الناصر - «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» ثم تعقبها شتائم للمسئولين بينما كنت مجتمعًا مع الرئيس السادات لتنفيذ هذه المقولة «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة»، ثم طلبت من السيد الرئيس بعد هذا اللقاء.. ألا يتواجد فى منزله، بل الأفضل أن يكون فى إستراحة القناطر بعيداً عن المظاهرات، وحتى يمكن لسيادته متابعة الأعمال الحاسمة خلال مدة ٤٨ ساعة القادمة. وفعلاً إنتقل إلى استراحة القناطر ثم ذهب إلى قصر الطاهرة بعد ذلك، وفى يوم ٦ أكتوبر ذهب إلى القيادة العسكرية العليا - لقيادة المعركة.

- أقول بكل الفخر والاعتزاز.. إن هذه الجماهير الكثيرة المتعددة الاتجاهات والتى قامت بالمظاهرات ضد الحكومة وهتفت بسقوطها ونعتتها بأفظع الألفاظ.. وهذه المنشورات التى سطرتها أقلام كبار المفكرين والتى عارضت الحكومة على أساس أنها حكومة اللا سلم واللا حرب - إنما تعبر عن حب المصريين لوطنهم.

منعت أى تصريح لسياسى أو عسكرى عن الحرب:

* كذلك لقد كان ممنوعاً منعاً باتاً - بنص تعليماتى للرقابة الصحفية وكنت الحاكم العسكرى المسئول عن الرقابة - أى تصريح سياسى عن الحرب.

كل هذا فى نظير توجيه رسالة إلى إسرائيل من أجل نجاح المفاجأة الاستراتيجية.. وهى أننا لا نريد الحرب أو العدوان ونريد تنفيذ قرارات الأمم المتحدة من أجل حل المشكلة.. بل كان الهدف الأسمى المقصود من كل هذا أن نوهم إسرائيل بأن مصر

جثة هامدة وهى لا تقوى على الحرب.. وإن هذه المظاهرات الصاخبة من شباب مصر ومفكريها وسكوتنا عليها معناه أننا غير قادرين على الحرب..

ديان يضع جولدا مائير فوق الشجرة:

وكان ديان يعلق على هذه المظاهرات، بقوله: إن مصر غير قادرة على الحرب، وكنا نشعر بعد تصريحاته بأن سياستنا الخاصة بالمفاجأة الاستراتيجية وهى الاعداد دون إعلان.. تسير فى طريقها السليم، ونواصل عملنا بنشر أخبار ومعلومات خداعية تشعر منها إسرائيل بأننا لا نقوى على الحرب، فنشبع غرور ديان.. ونخدر جولدا مائير.. هذه السيدة التى قال عنها إسحاق رابين: إن من غرور ديان إنه جعل جولدا مائير فوق شجرة بعيدة حتى لا تعكر غروره وغطرسته ولكن...

الإعلام المصرى الجديد.. هادىء النبرة - صادق الحديث:

ان جميع الذين كانوا ضد الحكومة بل وكانوا يشتمونها، والاصدقاء الذين انقلبوا اعداء لأننى منعت تصريحاتهم النارية.. ما ان اعلنت الحرب ضد اسرائيل وصدر البيان الأول بصيغة هادئة حتى ترقبوا الموقف بقلق، ولكن بعد يومين من الانتصار كان الشعب كله ... هذا الشعب العظيم... صوتا واحدا يقف مع الحكومة، بل أكثر من ذلك... توقف نشاط المجرمين ومعتادى السرقة، إذ لم أجد فى سجلات وزارة الداخلية منذ اليوم الأول من الحرب حتى انتهاء الحرب ما يشير إلى وقوع أى جريمة واحدة للنشل أو السرقة..!! يا له من شعب عظيم.

ولكن أريد أن أذكر هنا صورة من بعيد:

عندما قويت شوكة هتلر فى المانيا وبدأ نفوذه ينتشر داخل القارة الاوروبية، وأخذ يصرح برفضه ما حدث لألمانيا منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان رد فعل رئيس وزارة بريطانيا تشمبرلين هو عقد اجتماع ميونخ، وعاد تشمبرلين يبشر الرأى العام البريطانى بالسلام وعدم وجود أى تهديد بالحرب. لقد اختار تشمبرلين... وفى جزء من هذا الاختيار خضوع لرغبة الرأى العام البريطانى فى عدم مواجهة هتلر، وذلك

حتى يكسب تشمبرلين الرأى العام ويحظى هو وحكومته بشعبية كبيرة تبقيه أطول فترة ممكنه فى الحكم.. فى المقابل هاجم تشرشل (فى المعارضة) هذا الاسلوب الذى اتبعه تشمبرلين لاسترضاء الرأى العام البريطانى، بغض النظر عن عاقبه ذلك.

وبالفعل عندما افصح هتلر بشكل صريح عن اطماعه وقام بغزو بولندا وتشيكوسلوفاكيا، انقلب الميزان لدى الرأى العام البريطانى، وكان لهجوم تشرشل على تشمبرلين اثره البالغ فى تحول الرأى العام الى تأييد تشرشل فى مخالفته توجه تشمبرلين الذى اتبعه استرضاء لهذه الجماهير نفسها.

إن الظروف الحاسمة توجب ان تكون الحكومة قائدة، وليست مجرد كيان يسعى للبقاء فى الحكم من خلال استرضاء الجماهير حرصا على الشعبية.

أخطر أزمة.. تهدد المجتمع قبل الحزب:

معالجة سريعة حاسمة لأزمة الطائفية: وعن الازمة التى وقعت قبل حرب أكتوبر بين الرئيس السادات والبابا شنودة، ووقوع بعض الحوادث بين المسلمين والأقباط، أتذكر أنها كانت ضمن الأزمات الحادة التى اصطنعت فى الجبهة الداخلية قبل حرب اكتوبر، محاولة إثارة الفتنة الطائفية، فقد حرقت بعض الكنائس فى صعيد مصر بأيدى مجرمة.. كما حدثت محاولة وقيعة بين الرئيس السادات وبين البابا شنودة.. وحاول البعض العمل على زيادة التوتر.. ونقل أخبار غير صحيحة للرئيس السادات مما زاد من خطورة الموقف.. وكنت كمسئول عن الحكومة ومسئول عن متابعة الرأى العام كوزير للإعلام.. أراقب هذه الفتنة ومن وراءها.. ونحن فى أصعب الأيام فكرا وعملا وحذرا فى اعداد مصر للحرب.. حدث هذا بينما نرى الطلاب والمثقفين وعامة الشعب ينظمون مظاهرات ضد الحكومة.. وكنت ارحب فى نفسى (دون ان اعلن) بهذه المظاهرات، لأننا نستثمرها إعلاميا من أجل خداع العدو بأن الحكومة لا تريد الحرب، والشعب يريد من حكومته الحرب.. أما ان نرى هذا الانقسام الطائفى فى الجبهة المصرية فهذا الامر خطير ويحتاج الى علاج سريع، لأنها ازمة خطيرة داخل الجبهة المصرية.. لذلك تم سرا الاتصال مع البابا شنودة

والأتفاق بأن نعقد إجتماعا فى منزلى وتكرم الانباشنودة وشرفنى بحضوره ومعه سكرتيره المرحوم ميشلى جرجس الذى أدى دوراً سرياً هاماً فى هذا الموضوع.

ملحـوظة (يذكرنى الانبا شنوده دائما بهذا الاجتماع، ويذكر أنه لم يدخل فى حياته بيت أى مسئول إلا بيتى.. وكان تعليقى على ذلك دائما ـ إنه شرف لى ـ وما تم كان فخرا للوحدة الوطنية ومن أجل مصر واستقرارها..) .

وكان الانبا شنودة قد حمل حقائبه فى إحدى السيارات للتوجه الى الدير للاقامة فيه بعيدا عن الأحداث المؤلمة، ووقفت هذه السيارة أمام منزلى وبدأ الاجتماع، وكنت قد أحضرت مراجع اسلامية ضد هؤلاء الذين يعملون ضد الاسلام، وتتضمن كل ما قاله الله سبحانه وتعالى عن النصارى، لأبين بأن من يحرق الكنائس لا يرضى عنه الاسـلام و ان هذا ليس من عـمل الاسـلام... وأن المودة بين المسلمين والنصـارى تحظى بنص مقدس: «لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى».. وأن الاقباط يحظون بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما.. ومن ناحية أخرى فقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران بإقامة صلاتهم فى المسجد النبوى الذى كان يصلى فيه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه.. كما امتنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن اداء الصلاة فى كنيسة القيامة، خشية ان يقتدى به المسلمين فيتحول بكثرتهم المكان الى مسجد.. وان عمر رضى الله عنه هدم قسما من مسجد لإعادته الى إمرأة نصرانية بعد ضم دارها لهذا المسجد، حين رفضت قبض الثمن اضعافا مضاعفة.. وجاء فى الطبرى، جـ ٣ صفحة ٦٠٩، نص كتاب الخليفة عمر رضى الله عنه لأهل بيت المقدس.. بسم الله الرحمن الرحيم (هذا ما أعطى عبدالله عمر امير المؤمنين أهل (ايلياء) من الأمان.. اعطاهم امانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم). وهذا يشهد بأن الاسلام دين تسامح وليس دين اكراه.. والاسلام لا يكره أحدا

على الدخول فيه، ولا يقبل من أحد ايمانا الا عن طواعيه لأنه من عمل القلوب ولا يعلم ما في القلوب الا الله سبحانه وتعالى. وقد جمعت هذه الاحاديث وغيرها لكي أتحدث مع البابا شنودة، ولكي أبين بأن الذين يحرقون الكنائس لا يمثلون الاسلام وعملهم ضد تعاليم الاسلام. ولكن ما ان بدأت في الحديث في هذا المجال حتى وجدت ان البابا شنودة، وهو رجل أديب مثقف لديه الكثير. من المعلومات عن الاسلام وما يتضمنه من قيم التسامح والمودة.

فتغير الحديث، لأنني وجدت لدى الانبا شنودة حبا للتسامح ومعرفة كاملة عن المودة والمحبة في الاسلام.. لذلك سألته لماذا حدث الخلاف اذن بينك وبين الرئيس انور السادات؟ واتضح أن هناك البعض من المتطوفين المسلمين والمسيحيين يسعدون بهذا الخلاف.. ولكن الحمد لله.. فبعد ساعة واحدة من الاجتماع تم الاتفاق مع البابا شنودة على أن يكتب خطابا للرئيس انور السادات طالبا المقابلة لشرح الموقف - وكتب البابا شنودة الخطاب.. وطلبت الرئيس السادات تليفونيا واخبرته بأن البابا شنودة معي في منزلي ففوجيء، وقلت انه كتب خطابا، ويطلب موعدا لشرح الموقف وازالة سوء التفاهم، وبعد شرح الموضوع، وما جرى من حوار.. تم الاتفاق على اقتراح قدمته للسيد الرئيس انور السادات.. بأن يجتمع في اليوم التالي الرئيس مع البابا شنودة والمجلس الملي والمطارنة ويتحدثون مع الرئيس مباشرة.. وبعد هذا الاجتماع يعقد اجتماعا آخر لكبار أئمة المسلمين فقط، أي الرئيس مع شيخ الازهر ومجلس البحوث الاسلامية.. والهدف من الاجتماعين المنفصلين تحقيق الهدف الوطني بعد شرح الموقف السياسي مع اسرائيل.. وأهمية وحدة الجبهة الداخلية.. وهنا اقترح الرئيس السادات ان يحضر ليلقي كلمة في كنيسة الاقباط، وكذلك البابا شنودة.. وتم ذلك، وحضرنا مع الرئيس في الكنيسة وألقى البابا شنودة خطبة رائعة بأسلوبه المثقف وقرر الرئيس بعد خطاب البابا شنودة وسماع الاذان من مسجد بجوار كنيسة الاقباط، ان يصلي صلاة الجماعة في الكنيسة.

وهكذا انتهى كل ما فعلته الدسائس، وكان الرئيس السادات والشعب المصري كله سعيدا بما حدث من انهاء هذه الزوبعة والاتفاق السريع وانتهاء المشكلة.

عناصر تكميلية

واستكمالا لعناصر تنفيذ المفاجأة الاستراتيجية تبرز هذه النقاط:

تحديد نقاط توقف للاطمئنان على نجاح خطة الخداع والتمويه:

ويقصد بذلك انه فى كل فترة كنا نجرى اختبارا لمعرفة مدى نجاحنا فى تنفيذ خطة الخداع والتمويه، ومن ثم نجاحنا فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية، وكانت أهم هذه النقاط تلك الاخيرة السابقة على اندلاع حرب السادس من أكتوبر مباشرة. واذكر فى هذا الشأن انه تم تكليف الدكتور الزيات وزير الخارجية بعقد لقاء مع وزير الخارجية الامريكى هنرى كسينجر. وكان ذلك يوم الخامس من أكتوبر، على أن يكون حديثه عن استعداد مصر ورغبتها فى التفاوض السلمى لإسترداد الأرض، وبالفعل قام الزيات بذلك، وكانت نتيجة اللقاء كما وصفها الزيات - بأنها سيئة للغاية.. فقد قال له كسينجر كلاما معناه: هل تريد أن تختار الوقت الذى تريده للحل السلمى، إن مصر ليس لديها القوة ولا هى فى مركز يسمح أن تملى شروطا على اسرائيل، أرجو أن نتقابل فى أوائل السنة المقبلة.

- ولكن كانت نتيجة اللقاء بالنسبة للرئيس السادات وبالنسبة لى ايجابية للغاية، لأنها تؤكد ان الولايات المتحدة ليس لديها معلومات عن ان مصر ستهاجم بعد ساعات. هذا الإجراء كان كافيا لنا للاطمئنان بأن الولايات المتحدة واسرائيل ليس لديهما معلومات عن موعد ساعة الصفر. وكان هذا الاجراء مفيد جدا لنطمئن بأن خطة المفاجأة الاستراتيجية قد نجحت.

ايجاد انطباع عالمى عن مصر انها لا تريد الحرب وغير قادرة عليها:

وذلك من خلال تكثيف الجهود الدبلوماسية والاعلامية فى المحافل الدولية والتى تشترك فى حمل رسالة واحدة تقول: اننا نرفض الامر الواقع ونطالب بضرورة تدخل المجتمع الدولى لتسوية مشاكل الشرق الأوسط ومناشدة الاطراف الدولية تنشيط جهودها فى هذا الاتجاه. وأشير فى هذا الشأن الى: انشطة الدبلوماسية المصرية فى الامم المتحدة، ومع خارجية الولايات المتحدة والدول الأوروبية الأكثر تأثيرا، مع التركيز الإعلامى على هذه الرسالة المصرية، سواء عبر وسائل الإعلام المصرية أو

العربية أو العالمية.... وأذكر انه عندما قام السكرتير العام للأمم المتحدة فى ذلك الوقت السيد كورت فالدهايم بزيارة المنطقة فى صيف ١٩٧٣، استغلت مصر توقيت هذه الزيارة وقامت بتسريب انباء الى اجهزة الإعلام العالمية تقول: بأن مصر أكدت للسيد فالدهايم ايمانها بضرورة التسوية السلمية لصراع الشرق الأوسط، وأنها طلبت منه تحفيز الجهود الدولية بهذا الصدد، دون أدنى إشارة إلى مسألة الحرب من قريب أو بعيد.

- وأكثر من هذا سعينا الى ايجاد انطباع لدى المجتمع الدولى بأن مصر لا تفكر فى الحرب فى الفترة القادمة.. هذا الانطباع سعينا الى ايجاده طوال فترة الاعداد للحرب، من خلال التركيز على ان مصر بدأت توجه اهتمامها للداخل، وتركز على تحقيق التنمية واقامة المشروعات، لاقتناعها بأن الحرب ستتأخر على الاقل من جانبها.. واذكر أنه كان هناك عرض من شركتى موبيل وإسو الامريكيتين بغرض القيام بأعمال التنقيب عن البترول فى مصر، وكان العرض قد قدم منذ فترة وأرجأنا الموافقة الرسمية عليه، وقد اقنعت الرئيس السادات أن يوقع على العقد شخصيا قبل الحرب بيومين، وتم ذلك فى الساعة الرابعة يوم الخميس ٤ أكتوبر. وعادة كان يوقع هذه العقود الوزير المختص.. ولكن توقيع الرئيس السادات بشخصة على الاتفاق يكون له معان كثيرة، وقد أعلنت هذا الخبر وتم نشره فى الخارج، مما زاد من قناعة الولايات المتحدة واسرائيل اننا لا نعتزم القيام بأى عمل عسكرى قريبا.. بل اننا نهتم بالداخل أكثر.

التنسيق مع قواتنا المسلحة للتمهيد للمفاجأة التكتيكية:

- ويقصد بهذا العنصر ضبط الأنباء التى تصدر عن مصر فى الأيام الاخيرة السابقة على يوم السادس من أكتوبر فيما يتعلق بقواتنا المسلحة. وكان ذلك بالتنسيق مع القائد العام لقواتنا المسلحة، وقد تم تشكيل لجنة سرية من عدد قليل من القادة العسكريين والإعلاميين. وقد وافقت والقائد العام المرحوم المشير أحمد اسماعيل على نشر عدد من الانباء لخداع اسرائيل.

- وتجسد هذا العمل فى الاعلان عن ان القوات المسلحة المصرية ستقوم باجراء مناورة عامة وانها بدأت فى التجهيز لها، واتخذنا ما يكفل ان تعلم اسرائيل بهذه المناورة قبل إجرائها بوقت كاف، حتى لا تفاجأ قبلها بقليل فتأخذ حذرها.

- تسريب معلومات عن هذه المناورة وضمان وصول هذه المعلومات الى اسرائيل بشكل سريع وكامل، بحيث تحقق هدف الخداع الكامل، الذى يتحقق من خلال القيام بأعمال خداعية متكاملة مقنعةو تقدم الاجابة عن أى سؤال أو تطور يحدث.

- وفى هذا السبيل تم تحديد بداية ونهاية المناورة بل والاعلان عن أخبار خاصة بها، مثل ان الضباط المشاركين فى المناورة والراغبين فى اداء العمرة عليهم التقدم لتسجيل اسمائهم يوم التاسع من اكتوبر.. كما تم الاعلان عن أن وحدات الاحتياط التى تم استدعاؤها للمشاركة فى المناورة سوف يتم تسريحها يوم الرابع من اكتوبر، على أن يحل بدلا منهم طلبة كلية القادة والأركان لاستكمال المناورة حتى يوم التاسع من اكتوبر، ثم يعودوا لاستئناف دراستهم.

- هذه الخطة التكتيكية التى وضعتها القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية كانت خطة خداع متكاملة.

التعامل مع الرأى العام العالمى وجعله فى صفنا

* كان الرأى العام العالمى قبل وأثناء وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ يقف الى جانب اسرائيل، فرغم قيام اسرائيل بما قامت به عام ١٩٦٧، كان الرأى العام العالمى فى جانبها، واستطاعت اسرائيل ان تخلق اعتقادا سائدا لدى الرأى العام العالمى انها هى التى تريد السلام، أما العرب فيرفضون الحديث عن السلام لامن قريب ولا من بعيد وان كل ما تقوم به اسرائيل من أعمال عسكرية هى من باب الحذر والوقاية.

* ولكن استطاعت مصر خلال الفترة ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ التأثير فى الرأى العام العالمى من خلال جهود إعلامية مكثفة.

* وبفضل هذه الجهود جاء صيف ١٩٧٣ والرأى العام العالمى قد آخذ فى الاقتناع المتزايد بأن لنا حقوقا، وأننا نحن العرب نريد السلام ولكن بعد استعادة ارضنا

المسلوبة، واننا نقبل أى تسوية تعيد لنا ارضنا، وفى المقابل فضح أمر اسرائيل بأنها لا تهتم بالسلام قدر اهتمامها باحتلال أكبر قدر من الأراضى، وأن جهودنا نحو التسوية تقابله اسرائيل بسلبية كاملة.

* **وتضمنت خطة التعامل مع الرأى العام العالمى:** توصيل رسالة بأننا نريد تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وأنه على الرغم من رغبتنا فى السلام، وعلى الرغم من ضعفنا النسبى الوقتى، فإن لنا حقا فى استرداد اراضينا اليوم من خلال التسوية السليمة والوساطة الدولية، أو غدا من خلال الاعمال العسكرية متى استطعنا، وفى الحالتين نحن على حق.

وقد نجحنا فى تهيئة الرأى العام العالمى لقبول حق العرب فى الدفاع عن مصالحهم واسترداد اراضيهم بكل الوسائل المشروعة، بما فى ذلك القوة المسلحة كملجأ أخير لإزالة العدوان واشاعة السلام والاستقرار فى المنطقة، مع العمل على عزل اسرائيل دوليا من خلال ابراز تعنتها وعدم تنفيذها للقرارات الدولية بإعادة الأراضى المحتلة.

لذلك عندما جاء السادس من أكتوبر وبدأ القتال، كان الرأى العام العالمى مقدرا لظروفنا التى دفعتنا للحرب ومؤيدا لنا، ملقيا كل اللوم على اسرائيل، خاصة بعد اظهار ان مصر استنفذت فعلا كل الوسائل السلمية الممكنة.

الباب الثالث

فى حومة المعركة

فى حومة المعركة

لجنة العمل الوطنى العليا: فى يوم الجمعة ٥ أكتوبر - قبيل ساعة الصفر لمعركة أكتوبر بيوم واحد - تمت خطوة دستورية ممتازة تطبيقا لمبدأ تعاون السلطات التنفيذية والتشريعية حينما أصدر الرئيس السادات، قرارا هاما بتشكيل لجنة العمل الوطنى العليا وكلفنى برئاستها، وتضم فى عضويتها: رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ووزير الإعلام ووزير الخارجية ومستشار الأمن القومى ومدير المخابرات - وكان سكرتير هذه اللجنة شخصية ممتازة يقوم بالاتصالات السريعة التى كلف بها، وهو الاستاذ عبدالعزيز الشافعى، له كل التحية والتقدير.

وأخطرنى الرئيس بأن وزير شئون مجلس الوزراء سيكون حلقة الاتصال بين مقر القيادة العسكرية وبينى للاتصال المباشر بشأن أى اخبار يرسلها الرئيس لى، وهو يقود بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة العمليات الحربية وسيرها - والقرارات السريعة الحازمة التى يصدرها للقيادة العسكرية حسب تطور الاحداث.. على أن أبلغ بها من خلال خط تليفونى ساخن سرى للغاية.. لإذاعة ما هو مناسب للإذاعة، وليتابع الشعب والعالم تطورات المعارك.

وقد قال الرئيس انور السادات: «اننى سأكون فى الساعة المحددة يوم السبت فى مقر القيادة العسكرية العليا.. وسيتفرغ نهائيا لهذه المهمة الخطيرة وقال: اما العمل الوطنى المدنى الخاص بالداخل وتطورات الموقف ورد الفعل الإعلامى ورد فعل الحكومات الاجنبية عن المعارك مع اسرائيل.. فأنت رئيس لجنة العمل الوطنى العليا،

وعليك ان تتصرف فيها.. واصدار التعليمات الحاسمة.. وهذه مسئوليتك الدستورية.. فأنت رئيس هذه اللجنة التى ستظل فى حالة انعقاد دائم ليلا ونهارا. واراد رحمه الله تشجيعى فقال: انت مؤهل لهذا العمل الصعب فقد تخرجت من كلية الاركان حرب وحاربت فى حرب ٤٨ ولك خبرة سياسية فى مراكز الدولة من عام ٥٢ - ١٩٧٣ أى ٢١ سنة.. فطمأنت الرئيس بأن كل الترتيبات جاهزة والاعداد جيد والله معنا.

وحسب الوقائع التاريخية فإنه حتى هذا الاجتماع لم يكن يعلم عن ساعة الصفر أحد من المدنيين وبعض الوزراء، بل ارسلت لهم التعليمات يوم السبت ٦ أكتوبر بالتواجد وعدم الانصراف من مكاتبهم، وكل منهم يقيم فى الوزارة منتظرا التعليمات، مع تنفيذ ما سبق ان تقرر فى اعداد الدولة للحرب فى اجتماعات مجلس الوزراء التى كانت تنعقد اسبوعيا وتستمر تسعة ساعات أحيانا، ونعلن بعد الاجتماع أنه تم بحث سياسة وزارة من الوزارات أو حل مشكلة من المشاكل، بينما حقيقة الامر هى: تخطيط اعداد الدولة للحرب وتوفير كل متطلبات المعركة.. وأحمد الله.. ان كل شىء نفذ حسب التخطيط الموضوع وبنجاح.. ولاشك أن الاعداد السليم الناجح يؤدى الى النصر المبين.

وإننى لأذكر بكل التقدير كل الذين قاموا بهذا العمل المجيد بلا اعلان، بل بصمت وصبر، ولم يصرحوا بشىء قبل المعركة أو أثنائها أو بعد المعركة على مدى الخمس وعشرين عاما الماضية، الا أنه بعد هذه المدة لم يعد من حقى ان اخفى الدروس المستفادة والادارة الممتازة لإعداد الدولة للحرب التى قمت وكلفت بها مع أعز الاصدقاء والزملاء الذين أدوا واجبهم فى سيمفونية رائعة ترددت أصداؤها فى كل الأنحاء.. وكان نصر الله عظيما.

وأذكر فى أثناء الحرب ان جائتنى برقية بأن اسرائيل اصدرت تعليماتها الى كل السفن فى البحر الأبيض الا تقترب من الموانىء المصرية، وكان بعضها يحمل اسطوانات البوتاجاز وكنا فى انتظارها لتكملة احتياطات البوتاجاز من أجل القوات المسلحة وجميع أفراد الشعب - وكان الرئيس السادات فى مقر القيادة - ولذلك اصدرت قرارا سريعا بأن تعود هذه السفن الى اليونان وتستأجر سفن أخرى وتتجه الى طبرق - وأرسلت الى طبرق عددا كبيرا من اللوارى لنقل هذه الاسطوانات الى مصر - وفى

أثناء ذلك اصدرت تعليمات للجهات البترولية بأن تنقص نصف عبوة أى اسطوانة بوتاجاز توزعها، وذلك حتى يكون لدينا احتياط للطوارىء. وقد قمت بعد انتهاء الحرب بالاعتذار للشعب عن النقص فى اسطوانات البوتاجاز التى وزعت فى هذه الفترة.

وهنا أتذكر انه فى يوم ١٠ أكتوبر ونحن فى عز النصر أبدى الرئيس شكره على اعداد الدولة للحرب بنجاح، وكيف انه لم تظهر طوابير التموين أو أى ظاهرة قلق من جانب المواطنين، كما يحدث للدوله عادة فى حالة الحرب. بل الأكثر والاغرب من ذلك ان الشعب الذى كان ساخطا يائسا.. لم تحدث من أحد أفراده أى جريمة فى هذه المدة. ولم يقم بالتهافت على تخزين التموين كما يحدث فى الحروب. وقال الرئيس السادات. اننى قررت ان أعينك مساعدا لى وتتولى المجالس القومية المتخصصة وكانت نصا من بين بنود الدستور. تنشأ المجالس القومية المتخصصة لمعاونة رئيس الجمهورية فى رسم سياسته.

وكانت خطة إعداد الدولة للحرب تتضمن إعداد التموين اللازم للقوات المسلحة. وكما يقول نابليون بأن الجيوش تسير على بطونها. فمعنى ذلك أننا يجب العمل بكل الوسائل لتوفير ما يلزم من احتياطيات استراتيجية فى أماكن متفرقة من البلاد، مع ايجاد وسائل للدفاع الجوى عنها.

كذلك كان يلزم معرفة احتياجات الشعب اليومية وتوفير المخازن والاماكن الاحتياطية فى كل محافظة من المحافظات، والكميات الضرورية لاحتياجات كل محافظة على حدة.

وكذلك تأمين الدفاع الجوى والدفاع المدنى على جميع الكبارى ومحطات السكك الحديدية والمخازن الهامة، وأماكن التجمعات السكانية والمخابىء الضرورية للسكان.

كان هناك تقرير يومى عن حالة البلاد الداخلية، وتأثير البيانات العسكرية ومجريات الحرب، وما يجب عمله بالنسبة للإعلام الداخلى والخارجى. حتى يمكن رفع الروح المعنوية للشعب. والرد الفورى على الدعايات المعادية.

وكان هناك تقرير يومى عن حالة التموين واحتمالات نقص بعض السلع، ولكن الحمدلله كنا نرسل مباشرة السلع المختلفة بكميات كبيرة للمحافظات التى نستشعر زيادة الطلب على السلع بها.

النبرة الإعلامية أثناء الحرب

طبقت بنجاح خطة الإعلام أثناء الحرب - وهى الجزء الثانى من الخطة - فجمعت رجال الإذاعة والتليفزيون الساعة ١٢ ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - وكان البيان الأول قد أعد فى قيادة القوات المسلحة - وطلبت من المذيعين عمل بروفة لإذاعة البيان، ووضعت الخطوط الرئيسية فى هذه الخطة على نحو الآتى:

١ - لا خطابة ولا إثارة ولا حماس بالنسبة لكل البيانات العسكرية، فالإعلام هو لنقل الأخبار وليس من عمله صنع الأخبار - ومن المهم أن يتفادى الإعلام كل أخطاء إعلام ١٩٦٧.

٢ - ان تقتصر اذاعة البيانات على المذيعين فقط، ولاداعى لأن تقوم المذيعات بالإذاعة خشية الانفعال، خصوصا وقد تقع أحداث ليس بها انتصارات فيصعب عليهن التحكم فى مشاعرهن. وقد سمحت باذاعة المذيعات للبيانات بعد يوم ١٠ اكتوبر بعد ان تحقق النصر.

٣ - جميع الاغانى هادئة، ولا داعى للصراخ وافتعال أناشيد وطنية لا داعى لها - والأغانى تكون مثل «على الربابة أغنى».. وغيرها.

٤ - أحاديث عن روعة قواتنا وصلابة الجبهة - وما قامت به دول راقية فى الحرب العالمية الثانية من تقييد صرف التموين ببطاقة التموين... وقد قدم المرحوم الأستاذ الدكتور يحيى عويس برامج إذاعية ناجحة يوميا عن خبرته فى انجلترا أيام الحرب العالمية الثانية.

وقد سئلت هذا السؤال: ما هى الخطة التى اتبعتها لاسترداد الثقة بين الحكومة والشعب؟

الجواب: كانت امامى فجوة عدم الثقة بين الشعب وأجهزة الإعلام سببها فقدان مصداقية الحكومة وجهازها الإعلامى منذ ١٩٦٧ عندما كانت الاذاعة المصرية أثناء الهزيمة تذيع أكاذيب، لذلك كان دستور الإذاعة والإعلام فى عام ١٩٧٣ هو: الصدق والسرعة فى نقل الخبر، بحيث يستمع المواطن المصرى أول خبر عن أحداث الحرب بسرعة من مصادر الإعلام المصرية.. أما بخصوص المصداقية وعدم الثقة واستردادها فأذكر على سبيل المثال أن المشير أحمد اسماعيل رحمه الله أبلغنى بأن قواتنا كبدت العدو خسائر فى معركة الدبابات ٧٠ دبابة ـ وسمعت فى إذاعة اسرائيل خبرا عن هذه المعركة بأن اسرائيل خسرت ٥٠ دبابة فأذعت أنه حدثت معركة بين الدبابات وخسرت اسرائيل ٣٠ دبابة ـ أى أقل مما أذاعته اسرائيل .. وهنا أخبرت المشير أحمد اسماعيل بعد الاذاعة بأن الهدف من ذلك استرداد الثقة فى أجهزة الإعلام ... فقد نشرت كل أجهزة الاعلام العالمية أن أجهزة الاعلام المصرية لها مصداقية ـ بينما الدعاية الاسرائيلية تذيع الأكاذيب، لأنها أذاعت بأنها هشمت عظام الجنود المصريين بينما الجنود المصريين يأسرون الجنود الاسرائيليين.

* وكان تعاملنا مع الرأى العام العالمى اثناء المعركة يقوم على أساس ان الحرب بالنسبة لنا ليست هدفا فى حد ذاتها، ولكنها وسيلة لا بديل عنها من أجل تغيير الأوضاع والمفاهيم التى سادت فى سنوات ما قبل أكتوبر. وانها اداة لتهيئة الظروف المناسبة للتوصل الى السلام والاستقرار فى المنطقة.

وكانت رسالتنا فى هذا الشأن اثناء المعركة:

١ ـ أننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير اراضينا التى وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٦٧، ولإيجاد السبيل لاستعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين.

٢ ـ أننا نلتزم بقرارات الأمم المتحدة، وعلى استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى، والى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧.

٣ ـ أننا على استعداد، فور إتمام الانسحاب من كل الأراضى المحتلة، ان نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة، مع العمل على اقناع العرب وممثلى الشعب

الفسطينى به، من أجل وضع قواعد وضوابط سلام فى المنطقة تقوم على احترام الحقوق الشرعية لكل شعوبها.

٤ ـ أننا على استعداد لأن نبدأ فورا فى تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية.

اتباع مبادىء الإعلام الإسلامى

الحرب خدعة

استعان الإعلام المصرى فى حرب ١٩٧٣ بمبادىء الإعلام الإسلامى، متخذا من الحديث الشريف أسلوبا لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية فى الحرب.

١ ـ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان:

قرر الإعلام المصرى أنه يجب اتباع التعتيم والكتمان وعدم التصريح أو الإعلان عن أى معلومات يستفيد منها العدو ـ فى مرحلة اعداد الدولة للحرب ـ وذلك بعكس ما كان يحدث فى حرب ١٩٦٧ حيث كانت أجهزة الإعلام تبين فى تصريحات المسئولين بأننا سنلقن اسرائيل درسا لن تنساه ـ وأننا أكبر قوة حربية وكان هناك تهويل فى قواتنا وتهوين فى قوات العدو.

٢ ـ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم:

لقد عرف الإعلام المصرى فى إبان اعداد الدولة للحرب بأنه يجب أن تغير أجهزة الإعلام الاسلوب الذى كان متبعا فى حرب ١٩٦٧ ـ وهو المبالغة وعدم المصداقية فى الاخبار التى كانت تذيعها أجهزة الإعلام عام ١٩٦٧، وأن يلتزم الإعلام المصرى بالمصداقية وعدم المبالغة.

٣ ـ وأعدو لهم ما استطعتم من قوة...

كان الإعداد الجيد الذى تم فى مرحلة إعداد الدولة للحرب تطبيقا للأسلوب الإعلامى السليم ـ فكان بلا إعلان حتى بدأت المعركة، وكانت هناك خطة إعلامية أعدت لما قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة.

٤ ـ وتعاونوا على البر والتقوى:

كان من أسباب الهزيمة فى حرب ١٩٦٧ ـ عدم التعاون بين أجهزة الإعلام والقيادة العسكرية ـ لذلك وضع أسلوب إعلامى جيد فى حرب ١٩٧٣ مبنى على التعاون والتنسيق بين الدولة وأجهزة الإعلام وتولى المسئولية بمركزية واحدة.

٥ ـ نشر مبدأ الإسلام... وهو السلام

منع أغانى العدوان مثل «راجعين راجعين بقوة السلاح راجعين».. وقد أنشأ جهاز الإعلام المصرى محطة إذاعة مصرية تذيع بالعبرية مبادىء الاسلام، وهى ان السلام غاية المسلمين.. لذلك تريد مصر تحرير أرضها وهى دولة محبة للسلام.. مما كان له أثر كبير فى الرأى العام الاسرائيلى.. فالشعوب تريد السلام ولكن قلة من العسكريين فى اسرائيل يريدون البقاء فى مناصبهم، ولذلك يعملون من أجل الحرب باستمرار.

٦ـ الإسلام يحترم أهل الكتاب:

وهذه حقيقة، إذ يشيد القرآن بأنبيائهم ورسلهم، ولكن الإسلام ضد الصهيونية. لذلك لم يهاجم الإعلام اليهود فى حرب ١٩٧٣، بعكس ما كان يحدث فى حرب ١٩٦٧.

٧ـ من تعلم لغة قوم أمن مكرهم:

وهو منهج يتركز فى شعار «اعرف عدوك» وقد طبق هذا المبدأ الاسلامى بأن قام الإعلام المصرى فى حرب ١٩٧٣ بالسماح بكل الكتب الاسرائيلية وبتوزيعها بعد ترجمتها لمعرفة كيف يفكر ويعمل العدو.. وكان ممنوعا فى حرب ١٩٦٧ تداول الكتب الاسرائيلية أو التى تتحدث عن اسرائيل.

٨ ـ الحكمة والموعظة الحسنة:

وقد طبق ذلك فى الأخبار والتعليقات فكانت تذاع فى أجهزة الإعلام المصرية بلا سباب أو شتائم، تطبيقا لمبدأ إسلامى مستفاد من قول الله تعالى لرسولة الامين:

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..»

٩ ـ قام الإعلام المصرى بتصنيف الرأى العام المخاطب الى فئات ليخاطب كل فئة بما يناسبها: فقد خاطب الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة ثلاث فئات من الرأى العام فى بداية الدعوة وهم: المؤمنون والكافرون والمنافقون، كذلك خصص للمؤمنين سورا أقل من الكافرين وسورا للكافرين اقل من المنافقين.

لذلك راعى الإعلام المصرى مخاطبة الشعب المصرى الذى كان يئن من الإحباط وما حدث فى هزيمة ١٩٦٧.

وكذلك مخاطبة الاسرائيليين باسلوب، ومخاطبة الغرب باسلوب يتلاءم مع فهمهم للأمور.. فأكد الإعلام المصرى على أننا نريد تحرير أرضنا المحتلة... وكلمة تحرير يقبلها الغرب ولا يقبل كلمة الحرب أو العدوان.

١٠ ـ ولاستعادة الثقة فى نفوس الجنود وزيادة حماسهم والارتقاء بمستوى ادائهم وشجاعتهم كان لابد من أن يؤمن هؤلاء الجنود إيمانا راسخا بحتمية النصر، وأن الله سوف ينصرهم، وذلك تطبيقا للآية الكريمة:

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» «سورة الحج آية: ٣٩».

فنحن نقاتل دفاعا عن انفسنا واسترجاعا لحقوقنا وأرضنا وشرفنا، وأكثر من ذلك نصرة لديننا.. وهى مسائل تحظى بكامل الاحترام والتقدير لدى كل مسلم، وهى نفسها المسائل التى لا يحجم المسلم عن التضحية بكل شىء حتى حياته من أجلها.

«إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون» (الحجرات آية : ١٥).

«ويحق الله الحق بكلماته ولو كرة المجرمون» (يونس ٨٢).

«فقالوا على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين» (يونس ٨٥).

١١ ـ أسلوب الرد على المزاعم الباطلة للعدو:

فقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم مكر أعداء الاسلام...من خلال مناقشة أقوالهم والرد عليهم بالحجة، وذلك لحماية المسلمين والدعوة الإسلامية من الهواء

المسمم الذى كانوا ينفثونه ويحاولون به إثارة البلبلة فى نفوس الناس، وهو فى سبيل ذلك لم يتخذ اجراءا عنيفا باترا، ولكنه اتبع أسلوب الرد على مزاعمهم الباطلة بما يقوى به ايمان المسلمين ويزيد من قوة الدعوة. والسيرة النبوية وقبلها القرآن الكريم مليئة بأخبار من هذا القبيل.. وهو الأسلوب الذى حاولنا التركيز عليه طوال الفترة بعد حرب ٦٧ وبشكل خاص عام ١٩٧٣ عام الاعداد للحرب، وطوال تلك المدة كان الإعلام المصرى حريصا على الرد على كل المزاعم الاسرائيلية الباطلة التى كان يوجهها، سواء للمصريين أو للعالم، وكنا نلاحق أكاذيبه فى كل مكان وكل الوقت.

١٢ - الصبر على البلاء مع الثقة بالله:

وذلك مصداقا لقوله تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» (العنكبوت: ٢، ٣).

«واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا» (المزمل: ١٠)..

هاتان الآيتان تعبران عن الصبر، وفى نفس الوقت الاحتفاظ بالإيمان والثقة دون اهتزاز مهما كانت النوازل، وهو الأسلوب الإعلامى الذى اتبعناه فى إعداد جنودنا لحرب أكتوبر ١٩٧٣، خاصة مع ما كانوا يرونه من أفعال الإسرائيليين على الضفة الأخرى من القناة، أو ما كانوا يسمعونه من إذاعات مثبطة لعزائمهم.

«ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير» (الحديد: ٢٢).

«ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم». (التغابن - ١١)

«ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور» (آل عمران ١٨٦).

١٣ - الالتزام بالصدق:

لقد كان أحد عناصر قوة الدعوة الإسلامية لدى الناس هو التزامها المطلق بالصدق، وابتعادها كل البعد عن الافتراءات والأكاذيب:

«ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما»
(الأحزاب: ٨).
«فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه....»
(الزمر ٣٢).

ومن هذا المنطلق ارتكز إعلام أكتوبر ١٩٧٣ على عنصر الصدق، وحرص على تحرى الحقيقة فى كل خبر ينسب اليه، حتى إن العالم بدأ يستقى الأخبار من الإعلام المصرى لما له من مصداقية فى مقابل أكاذيب وافتراءات كثيرة اتسم بها الإعلام الاسرائيلى.

كما إن مصداقية الإعلام المصرى كانت عونا لنا فى كسب تعاطف المجتمعات الإخرى واحترامهم لنا. وقبل ذلك استعادة المصريين لثقتهم فى إعلامهم التى اهتزت بشدة عام ١٩٦٧.

١٤ - الحث على الشجاعة والاستعداد للتضحية:

«انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (التوبة: ٤١)

«يا أيها الذين أمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار» (الانفال - ١٥).

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» (آل عمران: ١٧٣).

هذه الآيات كانت من الأسس التى اعتمدت عليها الدعوة الاسلامية طوال مسيرتها لتنمية الشجاعة فى نفوس أبنائها، وهو الأسلوب الذى استفاد منه إعلام أكتوبر عام ١٩٧٣ لحث الجنود على الشجاعة والاستبسال، وفى نفس الوقت تقليل تأثير ما يقال عن أسطورة اسرائيل وعسكريتها المتقدمة التى لا تهزم.. !!

١٥ - البعد عن الخوف من النتائج المجهولة:

«كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (البقرة: ٢١٦).

«لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا» (الطلاق: ١).

«وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا» (لقمان: ٣٤)

«فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» (النساء: ١٩)

هكذا ينفض الأسلوب الاسلامى عن النفس البشرية أى مخاوف من النتائج المجهولة المترتبة على عمل معين، بما يساعد على مواجهة الواقع وهى قوية متمكنه ومطمئنة الى قدر الله، وهو الأسلوب الأمثل الذى تعامل به إعلام أكتوبر مع المسئولين لتشجيعهم، والجماهير لتحفيزهم، ومع الدول الأخرى التى حاولت فرض السكون علينا والخضوع للأمر الواقع مستخدمين فكرة ان أى عمل نقوم به ستكون النتائج علينا وخيمة... وهو الأسلوب الذى اتبعته اسرائيل أيضا لتثبيط حماسنا وزرع الشك فينا.

«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (التوبة ٥١)

«إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده» (آل عمران: ١٦٠).

مقارنة موضوعية

ومن المفيد هنا أن نعقد مقارنة بين أسلوبين من أساليب الإعلام: الأول هو أسلوب إعلامنا فى سنة ١٩٦٧، وما صاحب ذلك من الهزيمة. والثانى هو أسلوب الإعلام المصرى سنة ١٩٧٣ وما صاحبه من نصر مبين:

وظنوا أن الحرب الدعائية يمكن أن تلغى الحقائق.. ولم يكن العالم فى بادىء الأمر يصدق بلاغاتنا لدرجة أن عدد الدبابات التى خسرتها اسرائيل كان فى بعض بلاغاتنا أقل من الواقع.. والحقيقة أنه لو جمعنا عدد الدبابات التى خسرتها إسرائيل وفقا لبلاغاتنا سنجده» أقل من الواقع بحوالب ١٥٠ دبابة.. وكنت قد قلت للمشير أحمد اسماعيل والدكتور عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام وقتها «فى هذه المعركة نريد الحقيقة كما هى للناس بخيرها وشرها».

بعد اليوم الثالث تأكد انتصارنا فبدأ العالم يأخذ بياناتنا ويبدى إعجابه بقدرتنا القتالية وفرحته لانتصارنا - ففى هذه الأيام فقدت إسرائيل أكثر من ثلث سلاح طيرانها على الجبهتين المصرية والسورية.. وبذلك انتهت خرافة سلاح الطيران الإسرائيلى وخرافة المدرعات الإسرائيلية..

اتضح لى بعد ذلك أن القمر الصناعى الأمريكى كان يوصل المعلومات لاسرائيل ساعة بعد ساعة بعد نداء Save Israel وتم استخدام الكوبرى الجوى الأمريكى لنجدة إسرائيل ونزول الطائرات الأمريكية التى تحمل الدبابات وكل الأجهزة الحديثة إلى الجبهة وأقر هنا للتاريخ أن روسيا التى كانت تدعى وقوفها مع الحق العربى لم تبلغنا بشىء بواسطة أقمارها الصناعية التى كانت تتابع المعركة منذ لحظة بدئها إلى لحظة وقف اطلاق النار..

ماذا قالوا: أصبح العالم ينظر باحترام للبيانات التى يصدرها المصريون عن سير القتال وعدم المبالغة عند الحديث عن انتصاراتهم التى أدهشت الجميع «صحيفة هيرالدتريبيون ١٩٧٣/١٠/٢١».

أن اسطورة نفسية قد تحطمت هذه المرة! ويجب على إسرائيل أن تتخلى عن فكرة حماية أمنها باحتلال الأراضى.. أن العرب غسلوا عار ١٩٦٧ ومهما تكن الخسائر فقد استعادوا ثقتهم بأنفسهم «ديلى تلجراف البريطانية ١٩٧٣/١٠/٢٠».

أعلامنا وأعلامهم بين منهجين

اسلوب اعلامنا سنة ١٩٦٧	إعلام اسرائيل بعد ١٩٦٧	منهج إعلام مصر ١٩٧٣
١ ـ لا توجد خطة اعلامية.	١ ـ اتبـاع اسلوب الاعـلام المصرى فى حرب ١٩٦٧.	١ ـ وضعت خطة اعلامية قبل وأثناء وبعد المعركة.
٢ ـ التهـويل فى قـدرة قواتنا والتهوين من قدرة اسرائيل.	٢ ـ أعلنت بأن قواتها هى القوة التى لا تهزم.	٢ ـ منع أى تصريحات تبين قوة قواتنا أو التهوين لقوات العدو.
٣ ـ تصريحات لا مسئولة مثل اننا سنلقى اسـرائيل فى البحر... الخ.	٣ ـ تصريحات متهورة تهاجم العرب واللغة العربية وحتى الدين الاسلامى.	٣ ـ منع التصريحات الرسمية بأن مصر ستحارب بل ذكر «ان مصر تريد تحرير ارضها المحتلة واسترداد حقها المغتصب.
٤ ـ التشنج فى الاعلام، أناشيد حماسية.	٤ ـ التشنج فى الدعاية.	٤ ـ النغمة الهادئة فى أجهزة الإعلام.
٥ ـ إخفاء الحقائق.	٥ ـ عدم ذكر الحقائق.	٥ ـ ذكر كل الحقائق.
٦ ـ عدم الصدق فى البلاغات الرسمية.	٦ ـ الكذب فى البلاغات الحربية مثل ان الجيش الاسرائيلى هشم عظام الجيش المصرى فى ٦، ٧ أكتوبر.	٦ـ الصـدق فى البـلاغـات الرسمية.
٧ ـ فـوضى الرقـابة على البرقيات الأجنبية.	٧ ـ فرض الرقابة على برقيات الصحافة الاجنبية.	٧ ـ رفع الرقابة على البرقيات الصحيفة الاجنبية.
٨ ـ منـع تـداول الكـتـب والمعلومات الخـاصـة باسرائيل.	٨ ـ إعلان ديان بأن العرب لا يعرفون شيئا عن اسرائيل وقال: «إن العرب لا يقرآون».	٨ ـ السمـاح بتـداول الكتب والمعلومـات عن اسـرائيل وفق مبدأ «أعرف عدوك».
٩ ـ مهاجمة الشعب الاسرائيلى مما جعله يتحد كقوة وراء قادته ـ ولم تكن هناك حملة اعلامية موجهة للشعب الاسـرائيلى توضح له الحقائق وان قادته يريدون الحروب وليس السلام.	٩ ـ كـانت اسـرائيل تتظاهر دائما بأنها لا تريد الحـرب بل السلام ـ قبل حرب ٦٧، ثم بعد هذه الحـرب أخـذها الغرور والكبرياء.	٩ ـ عـدم مـهـاجـمـة الشـعب الاسرائيلى وأنشئت محطة اذاعة عبرية قوية موجهة الى الشعب الاسرائيلى تبين أن مـصـر تريد السـلام وتحرير أرضها وان قادتهم يريدون الحروب لمصلحتهم

اسلوب اعلامنا سنة ١٩٦٧	إعلام اسرائيل بعد ١٩٦٧	منهج إعلام مصر ١٩٧٣
		مع ذكر كل الحقائق للشعب الاسرائيلى عن فساد القادة.
١٠ ـ اعلان نوايانا دائما بأننا سنحارب.	١٠ ـ قبل حرب ١٩٦٧ كانت اسرائيل تتظاهر بأنها الحمل الوديع وأن الذئاب تريد الانقضاض عليها وأنها جنة الأرض وواحة جميلة تبنى نفسها بينما العرب فشلوا حتى فى رفع مستوى معيشة مواطنيهم.	١٠ ـ اخفاء هدفنا بأننا سنحارب ـ واتباع اسلوب المفاجأة مثل: أ ـ تسريب أخبار عن اعلان حالة الطوارىء فى مصر أكثر من مرة مما جعل قادة اسرائيل يتصورون أن مصر تفعل ذلك للاستهلاك المحلى فقط. ب ـ اختيار يوم عيدالغفران عند اليهود وهو السبت ٦ أكتوبر لشن الحرب.
١١ ـ وجه المسئولون تصريحات للخارج غير التصريحات الداخلية التى كانت للاستهلاك المحلى.	١١ ـ نفس اسلوب الإعلام المصرى قبل وأثناء حرب ١٩٦٧.	١١ ـ كانت تصريحات المسئولين فى الخارج هى نفس التصريحات للداخل.
١٢ ـ تصريحات المسئولين العرب تبين ان اسرائيل بلد صغير محاط بالبلاد العربية وفى الامكان القضاء عليها وظهرت صحف الغرب تقول (الحمل وسط الذئاب ونالت اسرائيل التعاطف من الغربيين)	١٢ ـ بعد انتصار اسرائيل قالت أنها يمكنها تحقيق هدفها التوسعى من النيل الى الفرات.	١٢ ـ لم يدلى المسئولون بأى تصريحات بها استفزاز لاسرائيل أو إستعراض لقوة مصر بل نشرت صحف العالم بأن مصر جثة هامدة وقد استغل الإعلام المصرى ذلك ولم يكذب هذه الدعايات حتى صدقت اسرائيل هذه الأنباء.
١٣ ـ ان بعض الصحف لم تفرق بين الاسرائيلى	١٣ ـ وقعت اسرائيل فى خطأ التهجم على العرب بل على	١٣ ـ لم تهاجم أجهزة الاعلام المصرى ـ اليهود ـ بل

اسلوب اعلامنا سنة ١٩٦٧	إعلام اسرائيل بعد ١٩٦٧	منهج إعلام مصر ١٩٧٣
واليهودى فى الهجوم. مما جعل الدول تتعاطف مع اسرائيل.	الاسلام مما جعل العالم الاسلامى والعربى يقف ضدها.	اسرائيل - بل أخذت تبين أننا أبناء عمومة ولكن الصهيونية هى مذهب عنصرى استعمارى.
١٤ ـ كانت أجهزة الإعلام العربية اذا ما وجدت صحيفة أو صحفى غربى يهاجم العرب يمنعون دخول الجريدة ويطردون الصحفى.	١٤ ـ اتبعت اسرائيل نفس الاسلوب.	١٤ ـ لجأت أجهزة الإعلام المصرى لأسلوب علمى فى مخاطبة كل من يهاجم مصر بأن تشرح له الحقائق ولم تطرد صحفيا أجنبيا واحدا من البلاد.
١٥ ـ كانت أجهزة الإعلام لا تخاطب الغرب باللغة والاسلوب الذى يفهمه الغرب وترددان كل من يهاجم العرب ولو مرة واحدة فهو عدو العرب.	١٥ ـ اتبعت أجهزة الدعاية الاسرائيلية أسلوب الغرور فى مخاطبة أجهزة الإعلام العالمية.	١٥ ـ انتهجت أجهزة الإعلام المصرى أسلوب الشرح الهادىء بالحقائق والارقام دون غرور أو كبرياء أو غطرسة بل اتباع أسلوب يفهمه الغرب.
١٦ ـ قامت مصر بالتشويش على الاذاعات العالمية.	١٦ ـ فعلت اسرائيل نفس الاجراء.	١٦ ـ رفعت مصر كل تشويش على الاذاعات الأجنبية حتى يعرف المصريين كل ما يذاع ثم تقوم الاجهزة بتصحيح أو شرح التناقض فى هذه الاذاعات المعادية.
١٧ ـ لم تهتم بالصحافة أو الرأى العام الاجنبى.	١٧ ـ اتبعت نفس الشىء ففقدت صداقة أجهزة الإعلام بسبب عنجهية المسئولين الاسرائيليين.	١٧ ـ وضعت مصر استراتيجية لكل دولة فى العالم لتكوين رأى عام عالمى مؤيدا لصالحها.

اسلوب اعلامنا سنة ١٩٦٧	إعلام اسرائيل بعد ١٩٦٧	منهج إعلام مصر ١٩٧٣
١٨ - ركزت التعبئة الاعلامية بإتباع أسلوب التسخين للمعركة بالكلمات الحماسية الجوفاء والأناشيد التشنجية.	١٨ - اتبعت نفس الشيء وأعلنت استهتارها بمصر والعرب وبأنها تسيطر تماما على كل أجواء المنطقة. واعتمدت على صداقة الشعوب الاجنبية لها - ولكن سرعان ما فقدت اسرائيل.	١٨ - ركزت التعبئة الإعلامية للمعركة على حق مصر فى استرداد الأرض - بناء مصر اقتصاديا - والعمل على زيادة الانتاج - وأناشيد هادئة بعيدة عن التشنج.

تعقيب للرئيس السادات[1] : «ظل موقف العالم مبلبلا .. يأخذ بوجهة نظر إسرائيل لأنه يستقى معلوماته من البلاغات الإسرائيلية! وقد استخدمت إسرائيل لكى تغطى هزيمتها أفلام حرب ١٩٦٧ فى إسرائيل وفى العالم..

---

(١) كتاب البحث عن الذات.

الباب الرابع

شهادات بالنجاح

شهادات بالنجاح

يقول ايلى زعيرا فى كتابه حرب يوم الغفران، موضحًا أن إسرائيل لم تكن على علم بأى استعداد مصرى وسورى للحرب.

عن الجو الهادىء شبه المثالى الذى ساد فى جيش الدفاع الإسرائيلى فى صيف ١٩٧٣ يمكن الاشارة إلى عدة حقائق: ان هيئة الأركان العامة لم تقم بالاستعدادات لأى حرب ووزارة الدفاع لم تقم باستكمال ما ينقص جيش الدفاع، كما أن اثنين من قادة المناطق تم استبدالهما فيما بين يونيو وسبتمبر ١٩٧٣ (شموئيل جونين للقيادة الجنوبية ويونا إفرات للقيادة الوسطى) بل إن أحد الموضوعات الرئيسية التى شغلت هيئة الأركان العامة كان هو اختصار مدة الخدمة الألزامية.. هل هذا موضوع يشغل هيئة أركان تستعد للحرب؟ (ص ١٥٤).

وابتداء من شهر يونيو ١٩٧٣ وردت معلومات عن أن السادات ارجأ الحرب إلى نهاية السنة، ثم جاء نبأ صريح يفيد أن السادات أرجأ الحرب إلى نهاية السنة. هذا النبأ جاء فى بداية شهر سبتمبر أى قبل الحرب بحوالى شهر، وكان من الممكن الاحساس من خلال هذه المعلومات أيضاً أن السادات سوف يؤجل الحرب إلى ما بعد نهاية سنة ١٩٧٣، ومن المحتمل أن هذه المعلومات إلى جانب حقيقة أنه لم تندلع حرب فى ابريل - مايو. أقنعتنا بأن الحرب تأجلت. (ص ١٥٥).

هناك سببان على الأقل لتأجيل استدعاء الاحتياط، كما ظهر من شهادة وزير الدفاع أمام لجنة التحقيق، ومن كلماته فى مؤتمر طاقم القيادة العليا لتلخيص حرب يوم الغفران:

السـبب الأول: كان سبباً عسكرياً.. فموشيه ديان كان شريكاً فى الشعور بالثقة فى الجيش النظامى، وأنه سيوقف الهجوم على خط الحدود حتى وصول قوات الاحتياط، وحتى أن لم تبدأ التعبئة إلا مع بداية الحرب فأن سلاح الطيران سوف يعاون القوات البرية بصورة فعالة، ابتداء من الساعات الأولى للحرب. وكان كلاهما وهمان عمليان.

السبب الثانى: كان سببا سياسياً، فقد كان وزير الدفاع يخاف أن يؤدى استدعاء الاحتياط قبل الهجوم المصرى السورى إلى أن تتهم إسرائيل بمسئوليتها عن بدء هذه الحرب. وكان نظام الدعاية والخداع المصرى السورى فى الأيام السابقة لحرب الغفران قد عمل على إعداد الرأى العام العالمى لتقبل أن أى هجوم مصرى سورى إنما جاء ليسبق أى هجوم إسرائيلى جديد (ص ٢٩٠).

- وعن أن عنصر المفاجأة قد تحقق ولا يمكن إنكاره يقول: ايلى زعيرا:

إذا كان وزير الدفاع موشيه ديان قد توصل إلى الاستنتاج فى مايو ١٩٧٣ أنه خلال شهر سوف تهاجم مصر وسوريا فعلية أن يعمل على أن تعد الحكومة الشعب فورا لهذا الاحتمال، ولكن عندما يكون الوعى القومى غارقاً فى سكينة وهدوء السلام طويل المدى، فإن الحرب التى تندلع فجأة ستؤدى إلى صدمة وإلى ضياع التوقعات والآمال. وعلى ذلك ففى قائمة مفاجآت حرب يوم الغفران كانت المفاجأة الأولى والكبرى فى خطورتها، هى المفاجأة القومية التى جاءت نتيجة عدم تهيئة الشعب لاحتمال حرب قريبة، رغم أن وزير الدفاع أدعى أنه تنبأ بها مسبقاً.. وقبل شهور من الحرب كانت الدولة مشغولة بالاعداد للانتخابات، وأوصى رئيس الأركان وزير الدفاع بخفض مدة الخدمة الألزامية ثلاثة شهور وحصل على المصادقة، وهو الأمر الذى من المؤكد أنه دعم وقوى الشعور بالهدوء والسكينة. (ص: ٢٩٧، ٢٩٨).

هل كان هدف المصريين هو أن يخلقوا فى إسرائيل الوهم بأن لديها مصدر معلومات للنوايا يأتى منه إنذار بتوقيت الحرب؟ هل كانت هذه مبادرة وخطة الرئيس السادات الخاصة؟ لماذا لم تصل معلومات عن سفر الرئيس السادات للقاء الملك فيصل فى اغسطس ١٩٧٣، ولماذا لم تصل معلومات عن اللقاء السورى المصرى ٢١ - ٢٣

اغسطس ١٩٧٣ .. لماذا لم تصل معلومات عن أن السادات قد حدد فى يوم ٢٢ سبتمبر موعداً للحرب فى السادس من أكتوبر؟ لماذا طمأنت المعلومات أجهزة الاستخبارات عن طريق معلومات تفيد بأن السادات ارجأ الحرب إلى نهاية العام.... بقدر ما لدى من معلومات فإن كل ذلك يدل على إمكانية أن المعلومات كانت ضمن عملية الخداع المصرية. (ص ١٧٧ ، ١٧٨ ايلى زعيرا).

وجاء فى كتاب رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (ص ١٢٥):

أن هناك معلومات وصلت من مصادر مختلفة عن الحرب وأنها على وشك الاندلاع فى ديسمبر ١٩٧٢ - والتى لم تندلع، والمعلومات الكثيرة عن الحرب التى على وشك الاندلاع فى أبريل - مايو ١٩٧٣ والتى لم تحدث هى أيضًا، واستناداً إلى كل المذكور عاليه تكونت فى هيئة البحوث ثقة بدرجة عالية فى تلك المعلومات التى افادت بأن مصر وسوريا تتجهان بالفعل إلى الحرب. لكن ليس قبل تسلم الطائرات والصواريخ من الاتحاد السوفيتى وبالتدريج هبطت وانخفضت صحة سائر المصادر الأخرى التى ابلغت عن تاريخ حرب متوقعة. وذلك بسبب خطة الخداع والمفاجأة الاستراتيجية التى اتبعها شخص ما بجوار الرئيس السادات.

«احتمال ضئيل للحرب... لا لزوم لدعوة الاحتياط».

كان النجاح الأكبر الذى احرزته المفاجأة الاستراتيجية هو نجاحها فى خلق حالة ذهنية لدى القيادات الإسرائيلية بأن مصر غير قادرة على الحرب، وغير عازمة عليها فى أكتوبر ١٩٧٣ على أقل تقدير، ودليل هذا النجاح يأتى على ألسنة الإسرائيليين أنفسهم.

- **شهادة اسحاق رابين:** كتاب التقصير ص ٨١:

لقد تطرق إلى هذه النقطة أيضًا الجنرال (متقاعد) اسحاق رابين، رئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى حرب الأيام الستة، وسفير إسرائيل السابق فى واشنطن ورئيس وزارتها بعد ذلك، فحاول أن يشرح كيف جرى التقدير بأن الحرب لن تندلع على الرغم من أن الانباء كانت متوفرة، لقد شرح رابين فى حلقة ضيقة لقيادة حزب

العمل هذه المأساة كما بدت فى نظرة: «يطلق على ذلك بالإنجليزية Mental Block: وقع موشيه ديان ورئيس هيئة الأركان، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، فى انغلاق ذهنى. فقد كانوا اسيرى إيمانهم الشديد وتصريحاتهم بأن الحرب مسألة بعيدة، وان المصريين غير قادرين أو غير مؤهلين لخوضها. وإذا خاضوها حقًا فسنكسر عظامهم. أن هذا الانغلاق الذهنى باللغة السيكولوجية، هو الذى جعلهم لا يصدقون الانباء المتوفرة لديهم، عن الحرب الوشيكة.

وجاء بهذا الصدد فى ص ٣٦، ٣٧ من نفس الكتاب:

فى يوم الثلاثاء، ٢ تشرين الأول (اكتوبر)، عندما كانت السيدة مائير فى طريق عودتها إلى البلد، تسلمت قيادة الجيش الإسرائيلى ووزير الدفاع معلومات أخرى من الاستخبارات العسكرية عن تعزيز المواقع المصرية فى الضفة الغربية للقناة. كذلك وصلت من مصادر أخرى، كما ذكر اعلاه، تحذيرات وانذارات أخرى جاء فيها بوضوح أن القاهرة تستعد لبدء القتال. ولكن الاستخبارات العسكرية فى إسرائيل، والاستخبارات العسكرية الأمريكية التى تابعت هى أيضًا تحركان الجيشين السورى والمصرى، قدرت كل على انفراد أن المقصود هو مجرد مناورات الخريف، على الاقل فى الجانب المصرى.

وقبل عودة رئيس الحكومة من فيينا إلى البلد، عقد وزير الدفاع ثانية اجتماعًا عسكرياً على مستوى عال فى مكتبة. وقد نوقش الوضع بتعمق، ولكن أحداً لم يفصح عن التخوف من أن تحركات الجيوش العربية هى للحرب وليس للمناورة، بيد أن ديان لم يخف قلقه، وطلب تقويم الوضع خطيا، ربما بسبب نظرته المتشائمة بصورة عامة. وقد جاء الاستنساخ الخطى، الذى عرض عليه، ملائما للتقويم الشفهى. وملخصه ثلاث كلمات: احتمال ضئيل للحرب.

وفى مساء الثلاثاء استدعى المراسلون العسكريون للصحف اليومية فى تل أبيب، لتلقى توجيهات أحد كبار الضباط، وقد أبلغ المراسلون، بصورة عامة، بحشود القوات على الحدود السورية والقناة، كما أبلغوا بالتقرير الذى وافقت عليه القيادة العامة، ومفادة أن هناك «احتمالا ضئيلا للحرب» وأنه كما يبدو لن يحدث أى شيء.

ويوم الأربعاء، ٣ تشرين الأول (اكتوبر)، عقدت السيدة مائير التى عادت توا من النمسا، اجتماعًا على مستوى عال عرف فى أوساط الجمهور، خلال الحرب، باسم وزارة الحرب واشترك فى هذا الاجتماع، بالإضافة إلى رئيسة الحكومة، موشيه ديان وزير الدفاع، وإيجال ألون نائب رئيسة الحكومة، واسرائيل غليلى الوزير بلا وزارة، والجنرال دافيد العازار رئيس الأركان، وكذلك الجنرال ايلى زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات، وأحد كبار ضباطه. وقد وصفت حشود القوات، خلال النقاش، بأنها «معززة» ولكنها لا تتخطى الاستعدادات التى تتبع عادة فى المناورات، كما حدث احيانا فى الماضى. وقد تم التأكيد، مرة ثانية، أن هناك احتمالا ضئيلاً للحرب. كما اتفق على أنه لا لزوم لدعوة الاحتياط. ولم يعترض على هذا القرار أحد من الذين حضروا الاجتماع.

أن الإعلام المصرى من أجل تحقيق المفاجأة كان يكثر من نشر اخبار غير حقيقية فى الخارج لخداع اسرائيل. بين الفينة والفينة بأن مصر تعبىء قواتها.. الأمر الذى كان رد الفعل السريع له فى إسرائيل هو التعبئة الشاملة للشعب الإسرائيلى الذى كلفته الملايين من الدولارات ولكن يتضح له فى النهاية.. ان مصر لم تكن تعبىء قواتها. لذلك بدأت إسرائيل باتباع اسلوب عدم رد الفعل على هذه الأخبار.

وقال السبعة الصحفيون الإسرائيليون فى كتابهم التقصير: أن عدم وجود رد فعل كان النتيجة لخطة التضليل المصرية، وإن هذا.. وهذا فقط هو أساس الكارثة التى حدثت فى السادس من تشرينً الأول (اكتوبر) ١٩٧٣.

- وتشير إلى ما كتبه الرئيس نيكسون فى مذكراته: «لقد أخذتنا المفاجأة التى حدثت، فأننا لم نعلم فى الولايات المتحدة عن إعداد مصر للحرب ضد إسرائيل إلا قبل ٦ أكتوبر بساعات، وهذا ما أبلغنى به جهاز المخابرات الأمريكية C.L.A الذى لم يعلم بكل الاساليب التى اتبعت فى مصر من تعتيم إعلامى عن اعدادها للحرب.. ففشل هذا الجهاز فى هذه المهمة الهامة. وكنت اعتقد أن جهاز «الموساد» المخابرات الاسرائيلية الذى يتعاون مع المخابرات الأمريكية سيخبرها بهذا الاعداد للحرب الذى قامت به مصر، لأننى كنت أعتقد أنه جهاز نشط، إلا أنه فشل أيضًا واصبنا بخيبة أمل كبيرة».

- كذلك قال كيسنجر مثل هذا القول فى عام ١٩٧٥ .. حينما حضر لمصر فى مقابلة للرئيس السادات، وحينما حدث التعارف وذكر الرئيس السادات أننى كنت رئيس الحكومة بالإنابة عنه لاعداد الدولة للحرب ووزير الإعلام.. قال كيسنجر: أن التعتيم الإعلامى وتكثيفه عن اعداد مصر للحرب جعلنا نفاجأ.. وقد حدثت خيبة أمل كبيرة لنا من جهاز المخابرات الإسرائيلى المتعاون مع المخابرات الأمريكية، لفشل هذين الجهازين..

- وقال وكيل المخابرات الأمريكية فى مذكراته: أن المخابرات الأمريكية فشلت فى معرفة أى معلومات عن إعداد مصر للحرب..

- وجاء فى جريدة معاريف عن ذكريات قادة اركان إسرائيل عن حرب الغفران على لسان الفريق شاؤل موفاز رئيس الأركان العامة للجيش الإسرائيلى: «كانت الحرب من وجهة نظرى مفاجأة كبيرة جداً.. لذلك يجب تقوية المخابرات.. ومازلنا نعانى من فجوة فى مجال المخابرات.

- وقال اللواء موشى يعالون «كان آخر شيء افكر فيه فى ١٩٧٣ هو أنه من الممكن أن تنشب حرب. وأنى اتذكر النكبة وحرب الغفران.. وأود أن أقول أن عنصر المفاجأة فى حرب عيد الغفران شغلنى لفترة طوية. وبتحليلى لمفاجأة الحرب حتى لا أقع فى الخطأ نفسه، توصلت إلى أنه يمكن أن يحدث هذا لنا مرة أخرى، وأن الشيء الذى سبب لنا الهزيمة هو الثقة الزائدة بالنفس والغرور، وأنى الآن أحاول تعليم العاملين معى التواضع..

- ويقول لواء **موشيه عيفرى سوكنيك**: أننى من الجيل الذى تربى على الاعتقاد بأنه حين نطلق النار فإن العرب يهربون، وأنه كانت هناك ثقة زائدة بالنفس واستهانة بالعدو، وكانت حرب عيد الغفران لى بمثابة تحطيم كثير من الأساطير.

- وقال الجامعى الباحث الإسرائيلى **شارلز ليبمان**: كانت إسرائيل منذ القدم تحول الهزائم والمآسى إلى انتصارات، ولكن حرب اكتوبر حطمت هذا الانطباع.. فلم تصبح إسرائيل قوة اقليمية رئيسية أو دولة آمنة وإلى الأبد.

- كما قال الجنرال **ياكوف هسداى** الذى كان عضوا فى لجنة التحقيق العسكرية حول ما حدث فى حرب اكتوبر: أن مصر وضعت نهاية لثقة الإسرائيليين بأنفسهم كما أنها أنهت تفاؤلهم.

- أما رأى **اميليا ليبلغ** الاستاذ الإسرائيلى فى الجامعة العبرية.. فى كتاب عن آثار الحرب النفسية على جنود إسرائيل فهو: أن مصر حطمت أشياء أساسية فى حياة الإسرائيليين وجعلتهم أكثر خوفاً وأنه من المحتم أن إسرائيل ستتعرض للأسوأ.. وإن إسرائيل يمكن أن تدمر، وإنها ليست الجنة الآمنة الموعودة التى ظنها وتصورها اليهود.. وهكذا فقد الإسرائيليون الثقة فى مؤسسات الدولة سواء السياسة أو العسكرية. يقول: أحد كبار الصحفيين الفلسطينيين، أن مصر بالحرب أحضرت الفلسطينيين إلى بؤرة السياسة الإسرائيلية. هذا بعد أن كانت جولدا مائير رئيسة الوزراء تقول فى عام ١٩٧٢ ليس هناك شىء اسمه الفلسطينيون..».

- ويقول المحلل العسكرى الأمريكى «تريفورن دوبوى» فى كتابه السلام المراوغ: «كانت المفاجأة الاستراتيجية هى ثمار تخطيط ماهر، وكذا أسلوب الخداع التكتيكى الذى انتهجه المصريون والسوريون.. أن القيمة الحقيقية لحرب أكتوبر أنها افرغت نظرية الأمن الإسرائيلى من محتواها، وفندت مفاهيم عسكرية ومعتقدات روجت لها إسرائيل عبر ثلاثة عقود من تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى...».

- وكان قد صرح الجنرال **إبراهام كامير** أحد قادة القوات الاسرائيلية بعد انتهاء الحرب: (لا يوجد أى فرد فى القوت الاسرائيلية على أى مستوى تنبأ بأن مصر ستدخل الحرب حتى جميع تقارير C.I.E المخابرات الأمريكية والموساد الاسرائيلى لم يكن لديهما أى اتجاه بأن الحرب ستحدث، ولكن حدثت المفاجأة التى هزت اسرائيل هزاً، وذلك لأن الإعلام المصرى قام بسلسلة من الخداعات (الخطط الخداعية والتعتيم الإعلامى) على استعداد مصر للمعركة طوال عام كامل.

الباب الخامس

فى مرآة الإعلام العالمى

فى مرآة الإعلام العالمى

كيف انقلبت الصورة : فى أعقاب حرب ١٩٦٧ قال موشى ديان: لقد أقام الجيل الماضى دولة إسرائيل، ووصل جيلنا بحدودها إلى الجولان وقناة السويس، وعليكم انتم أيها الجيل الجديد أن تكملوا إقامة اسرائيل الكبرى».

ونتيجة لسياسة المؤسسة العسكرية التى كانت ترسم وتخطط بمهارة، ظهرت اسطورة الجيش الإسرائيل الذى لا يقهر.. الأسطورة التى ترتكز عليها حياة إسرائيل.. وراح الإعلام الإسرائيلى يغذى فى كل يوم هذه الأسطورة وينميها ويضخمها فى أذهان العالم، حتى أصبحت عقيدة راسخة بين الرأى العام العالمى، واسوأ ما فى الأمر أنها بدأت ترسخ فى قلوب وأذهان العرب أنفسهم.. أصبح العالم الغربى ينظر إلى إسرائيل باعتبارها سيدة المنطقة بلا منازع، واستغلت اسرائيل هذا الاعتقاد أحسن استغلال فى ابتزاز المساعدة وجلب المعونات وفرض سياساتها، وأصبح العرب ينظرون إليها على أنها العدو الذى لا سبيل إلى مواجهته أو قهره..

ونجح الإعلام الإسرائيلى اثناء حرب ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ فى دمغ العرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم قوم لا يجيدون غير الكلام.. ضجيج الكلام بدلاً من ضجيج السلاح.. المهاترات والتهويلات بدلاً من الأفعال والأعمال.. التهديدات التى يلوحون بها هى تهديدات جوفاء.. هم لا يصلحون لشىء على الأطلاق ولا يجيدون عملاً من الأعمال، حتى الاتفاق على كلمة واحدة امر لا يعرفون الطريق إليه.. لا خوف منهم. ومن هنا جاءت أهمية حرب أكتوبر.. فماذا يحدث لو إنهارت نظرية الأمن

الإسرائيلي؟.. إذا ما اهتزت الثقة المفرطة في قوة اسرائيل الخارقة؟.. لو أصبح من الممكن للعرب أن يضربوا اسرائيل ويكبدوها الخسائر الفادحة في الأرواح والأموال؟ بل أن يهزموها هزيمة تامة - وكانوا على وشك تحقيق ذلك لولا تدخل أمريكا باعترافها واعتراف اسرائيل.. أن يهددوها بالفعل لا بالقول؟ ما معنى هذا كله؟.. معناه ببساطة أنهيار كل ما بنته اسرائيل من عام ١٩٤٨ وعلى امتداد ٢٥ سنة هي كل تاريخ وجودها في المنطقة.. فكيف يمكن - في هذه الحالة - ان تصبح النتائج بعد انهيار نظرية الأمن؟؟..

إن هذه التساؤلات ترتبط بموقف الإعلام الإسرائيلي الذي خطط وعمل لرسم الصورة الباهرة لأسطورة الجيش الإسرائيلي، وصورة الشعب المتفوق بين شعوب متخلفة.. رسمها حتى حفرها في أذهان العالم وأصبحت حقيقة راسخة.. من أجهزة إعلامه وحدها تنطلق الحقيقة، من أجهزة إعلامه تتحدث الحقائق، هي وحدها مصدر الاخبار التي يعتمد عليها ويعتد بها.. العرب يهولون ولا يقولون الحقيقة أبداً، ومن ثم الثقة التامة في كل ما تدعيه إسرائيل من مزاعم.. وجاءت حرب أكتوبر فإذا بهذه الثقة تهتز وإذا بالعالم يفاجأ بأباطيل إسرائيل، ويكشف كذب ادعاءاتها، فتتلاشى الثقة تماما فيما تقوله وفيما تزعمه.. فيلجأ العالم إلى مصادر الإعلام المصرية ليعرف منها الحقيقة.. والسبب في هذا بسيط وواضح، فجهاز الإعلام المصري لم يقل إلا صدقاً.. تحقق العالم من ذلك بنفسه.. شاهده بعينه.. لمسه بيده. وبذلك عاد الإعلام المصري ليكسب من جديد ثقة العالم فيما يقول وفيما ينادي به، وقد انعكس ذلك كله في مرآة الإعلام العالمي.. ومن ذلك على سبيل المثال:

صحيفة الأوبزرفر: في ١٩٧٣/١٠/٧، كتبت صحيفة الأوبزرفر البريطانية تعليقاً حول الوضع أيام ١٩٦٧ والوضع الحالي في الشرق الأوسط.. قالت:

.. الاختلاف الكبير بين مصر في حربها اليوم ومصر منذ ستة أعوام هو أنه في عام ١٩٦٧ انتشرت حمى الحرب بين أفراد الشعب المصري قبل أن تبدأ الاشتباكات بحوالي ثلاثة أسابيع فقط، واعطى جهاز الدولة للدعاية صوراً لانتصار عربي ساحق، واستمر ذلك حتى طوال أيام الحرب القليلة، وتحت تأثير الحملة الدعائية المحمومة كان أفراد الشعب خاضعين لحرب نفسية حقيقية غير قادرين على تقدير الموقف.

- وفى هذه المرة ليس هناك مثل هذه الظروف السيكولوجية.. دارت أحاديث قليلة فى الأسابيع الأخيرة عن المعركة.. والآن والمعركة دائرة توقفت برامج الإذاعة، ويذيع الراديو البيانات العسكرية باختصار مع التعليقات الرشيدة الواعية والموسيقى العسكرية..

- ومن الواضح أن المصرى العادى لا يخضع لأى تضليل بأن (معركة التحرير) ستكون انتصارا سهلا، فهو متأكد تماما من قوة اسرائيل العسكرية، ويعلم أن الاسرائيليين قد صمموا على التمسك بأكبر قدر ممكن من سيناء المحتلة ليساوموا عليها فى أى مفاوضات مستقبليه، ويعلم أيضاً أن حليفة اسرائيل، وهى أمريكا، لن تسمح على الأطلاق بهزيمة الدولة اليهودية، ولذلك فهو يتوقع أن القتال الشرس الذى دار فى اليومين الماضيين سيستمر ويتصاعد..

ومن كلمات الصحيفة يتضح بجلاء الأسلوب العلمى الذى اتبعه الإعلام المصرى فى المعركة والذى أعلن عنه أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة، وهو يرتكز على دعائم رئيسية تكشف الصحيفة البريطانية منها ما يلى: عدم التهوين فى قوتنا.. عدم التهوين من قوة العدو.. رفع شعار «اعرف عدوك» توخى الصدق والحقيقة بتقديم صورة واقعية للموقف إلى المواطن، ولذلك عرف الشعب اين يقف بالضبط.

وفى اليوم الرابع من القتال استضافت إذاعة لندن فى برنامجها «العالم اليوم» الذى اذيع فى الساعة ٧,٤٥ مساء ذلك اليوم مستر فيليب وندسور المتخصص فى العلوم الاستراتيجية ووجه السؤال التالى إليه: هل هناك ما يمكن أن نستخلصه من لهجة البيانات أو الطريقة التى تصدر بها تلك البيانات؟.

ورد الخبير الاخصائى فى العلوم الاستراتيجية بقوله «ان المرء يلاحظ أن ما تعلنه مصر فى بياناتها يتسم فى واقع الأمر بالاتزان ويبدو واقعياً جداً.. ومن الواضح أن ما تعلنه مصر فى بياناتها معتدل جداً، وعلى الأرجح صادق جداً».

وهكذا بدأ العالم يدرك أن ما تعلنه مصر هو الحقيقة والصدق، فماذا كان موقفه تجاه إسرائيل؟ يرد راديو باريس على ذلك التساؤل.. ففى يوم ١٩٧٣/١٠/٩ يعلن الراديو ما يلى:

«إن أوروبا فقدت الثقة فيما تذيعه اسرائيل من أنباء عن تطورات القتال فى الجبهتين المصرية والسورية.....».

وهكذا خسرت اسرائيل معركتها الإعلامية، تلك المعركة التى شهد لها الجميع ببراعتها وأسهمت بالقدر الأكبر فى تحقيق مأرب اسرائيل طوال ٢٥ عامًا.. ولعل التفسير الوحيد لهذا الاخفاق هو أن اسرائيل لم تتحمل الحقيقة فراحت تتخبط فى الأقوال.. وكلنا نذكر ما قاله ديان وجنرالاته عن «خط بارليف» الذى لا مثيل له فى تاريخ الحروب كلها، ثم كيف أعلنوا بعد ٦ أكتوبر أنه لم يكن سوى (قطعة جبن مليئة بالثقوب).

وتمضى الحملة..

صحيفة نيويورك تايمز: فمن القاهرة يبرق مستر تانر مراسل صحيفة نيويورك تايمز فى القاهرة بالرسالة التالية إلى صحيفته يوم ١٠/١٠/١٩٧٣: «واصبحت القاهرة دولة الترانزستور، فالقاهريون يستمعون إلى إذاعة لندن وصوت امريكا والمحطات الأوروبية الأخرى ومحطة الإذاعة المحلية.. وخلال الأيام الأولى لبدء القتال عندما كان يحصل أى فرد على أى انباء كان يسأل بتشكك: من أين إستمعت إلى هذه الأنباء؟.

«واليوم بعكس ما كان يحدث عام ١٩٦٧ تمامًا، فإن معظم المواطنين مقتنعون أن حكومتهم تبلغهم الوقائع الحقيقية تقريبًا عن القتال.. ويعرف القاهريون عن طريق الإذاعات الأجنبية أن الإسرائيليين قد غيروا كثيرا فى لهجة بياناتهم.. فقد صرح (اللواء هرتزوج) المعلق الإسرائيلى يوم الأحد بأن القوات الإسرائيلية قد حطمت كل الجسور تقريبًا عبر القناة وقطعت الطريق أمام القوات المصرية.. وفى يوم الاثنين اعطى القادة الإسرائيليين الانطباع بأن المصيدة على وشك أن تغلق.. ولكن اللواء هرتزوج صرح الليلة نقلاً عن المحطات الأجنبية فى حديثه عن حرب الاستنزاف ضد القوات المحاربة المطوقة، أنه من الواضح أن هجمة اسرائيلية مضادة كبيرة قد تأخرت..

ومثلاً آخر على جهود الحكومة لكسب الثقة أن متحدثاً عسكرياً ظهر على شاشة التليفزيون مساء أمس وقال للمستمعين فى هدوء: أن اسرائيل ذكرت أن المصريين قاموا بمحاولة للاغارة على شرم الشيخ، وقال (ان شرم الشيخ ليست ضمن المهمة الحالية وليس لنا جندى واحد هناك).

وهكذا وباعتراف مراسل امريكى لأكبر صحيفة امريكية موالية لإسرائيل، يشهد بأن الإعلام المصرى يقدم الحقيقة حتى أصبح بالنسبة للمواطن المصرى المحك الحقيقى لمدى صدق الاذاعات الأجنبية الأخرى، كما يشهد بتخبط البيانات الإسرائيلية.

صحيفة بروتكايل طوكيو: ومن القاهرة ايضاً وفى يوم ١٠/١٠/١٩٧٣ كتب كاموشيدا مراسل بروتكايل طوكيو يقول: «وبمقارنة البيانات التى تصدر الآن بتلك التى كانت تصدر أثناء حرب الأيام الستة يونيو ١٩٦٧، نجد أن البيانات التى تصدر هذه المرة حول المعركة الحالية موثوق بها ويعتمد عليها. وهذه الحقيقة لم يعترف بها المصريون فحسب وإنما كذلك الدبلوماسيون والمراقبون الآخرون فى القاهرة ويؤكد مضمون البيانات المصرية دائماً ما يعرضه التليفزيون».

وكالة الأنباء الفرنسية: وفى هذا المعنى تقول الوكالة الفرنسية فى برقية لها يوم ١٠/١٠/١٩٧٣:

(.. ومما يذكر أن لهجة البيانات العسكرية مازالت مقنعة على عكس ما حدث عام ١٩٦٧، فإن البيانات تشير دائماً إلى أن هناك ثمة نجاح ولكنها لا تشير إلى النصر الكامل أو تدمير العدو. وهكذا فان درس ١٩٦٧ قد أثمر، وكل شىء يدل على أن الحكومة المصرية تحسب حساب الأيام القادمة..).

ومن تل أبيب كتبت الوكالة الفرنسية فى ١١/١٠/١٩٧٣ تقول:

«أشار المراقبون فى إسرائيل إلى أن حرب الإذاعات قد اتخذت اتجاها جديداً منذ بدء الحرب الجديدة فى الشرق الأوسط، وإلى أن المبالغات فى اللهجة التى كانت تميز الدعاية المصرية اثناء حرب الأيام الستة قد إختفت. وأشار المراقبون بصفة خاصة إلى أن محطات الإذاعة المصرية لم تعد تتحدث عن إلقاء اليهود فى البحر. ومضى

المراقبون فى القول: «ويذيع الراديو اناشيد وطنية وتعليقات معتدلة نسبياً ونداءات من المحطة المصرية التى تذيع باللغة العبرية تدعو الشعب الإسرائيلى إلى الإطاحة بحكومته التى تقوده إلى كارثة».

«ويرى المراقبون أن هذه الدعاية ذات طابع كلاسيكى وتخوض حرباً شريفة. فقد اختفت اسطوانة «اذبحوهم... اذبحوهم» التى كانت تذاع اثناء حرب الأيام الستة من تسجيلات الإذاعة. وحلت النداءات إلى التعقل محل الهتافات المسعورة التى كان يطلقها أحمد الشقيرى زعيم منظمة التحرير الفلسطينية حتى عام ١٩٦٧».

«ويشير المراقبون إلى أن المواطنون فى اسرائيل يحبون بشكل عام الاستماع إلى محطة كول كاهير أو صوت القاهرة باللغة العبرية لانجذابهم إلى الموسيقى الممتازة التى تذيعها وإن كانوا لا يأخذون برامجها بالكثير من الجدية».

هذا رأى من داخل اسرائيل يتضح منه أن الإعلام المصرى بدأ يفرض احترامه على العدو بعد أن كان يسخر منه من قبل فى حرب ١٩٦٧.. ولئن كانوا اليوم «لا يأخذون برامجه بالكثير من الجدية فمما لا شك فيه أنهم بعد أن اتضحت لهم الآن إبعاد حرب أكتوبر، وبعد أن أدركوا ما فى النداءات المصرية لهم بأن حكومتهم تقودهم إلى كارثة من صدق، سوف يأخذون هذه البرامج بالكثير من الجدية».

وتمضى القصة.. ففى ١٤/١٠/١٩٧٣ أعرب مراسلو الصحف ووكالات الأنباء والإذاعات العالمية الذين أتاحت لهم السلطات المصرية حضور عملية استسلام الموقع الاسرائيلى شمال خليج السويس، أعربوا عن اعتزازهم بالفرصة الفريدة التى اتيحت لهم. وقد ذكر بعض هؤلاء المراسلين فى برقياتهم أن السلطات المصرية قد سمحت لهم بأن يغطوا ربما لأول مرة فى تاريخ العرب عملية من هذا النوع.

التليفزيون البريطانى: وقال مراسل التليفزيون البريطانى أن من غير المألوف أن يستسلم موقع بهذا العدد الكبير من المقاتلين، وأن ما شاهده جميع المراسلين أمر يعطى الثقة فى البلاغات العسكرية المصرية ويؤكد أنها تعتمد على الحقائق؟

وكالة رويتر: وقال مراسل وكالة رويتر: «أن تنظيم حضور المراسلين الأجانب لعملية استسلام الموقع الإسرائيلى كان أكثر من رائع».

وكالة أنباء المانيا الغربية: وقال مراسل وكالة أنباء ألمانيا الغربية: «أن استسلام مثل هذا العدد الكبير من الجنود الاسرائيليين دون قتال يشير إلى تدنى كبير فى الروح المعنوية التى تسود الجيش الإسرائيلى فى الوقت الحاضر».

الانجليزى جافن يونج: ومن بيروت فى ١٩٧٣/١٠/٣١ كتب الكاتب الإنجليزى المعروف جافن يونج يقول: «هناك اغراء فى أن يطلق المرء على الحرب القائمة اسم حرب المرآة. ذلك أنك إذا امسكت بمرأة الحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، فإن الصورة المعكوسة ستكون من نواح كثيرة نفس الصورة التى يراها المرء بعينيه فى مسرح الحرب القائمة».

«نقرأ فى الصحف نداء إلى الإسرائيليين وجهته جولدا مائير رئيسة الوزراء تقول فيه: أن اسرائيل لا تحارب العرب فقط، ولكنها تحارب السوفييت كذلك، وهو نفس الاتهام الذى وجهه العرب - معكوساً - عام ١٩٦٧ حين قالوا انهم لا يقاتلون القوات الاسرائيلية فحسب، بل والقوات الجوية الأمريكية والبريطانية».

عندما تقع فى ورطة، فإنك تحاول أن تجتذب عوامل سياسية لتكون لك اعذار سهلة.. ويعترف العرب الآن بأن الطائرات الامريكية لم تكن ضالعة فى حرب عام ١٩٦٧ ماعدا انها كانت بالطبع فى ايدى الطيارين الإسرائيليين كذلك لابد أن تكون على يقين من أنه لا يوجد روس يحاربون اليوم ضد جيش اسرائيل وسلاحها الجوى اللذين صنعتهما امريكا. وإذا ما أشارت مسز مائير إلى امدادات الأسلحة السوفيتية. فإن هذا يختلف تماماً عن (الروس المقاتلين).

«كذلك فإننا نسمع اليوم عن أحذية الجنود الإسرائيليين التى وجدتها القوات المصرية فى خنادق ودشم خط بارليف العظيم بعد أن استولت عليها هذا الأسبوع. ولقد قيل الكثير من جانب اسرائيل عن الأحذية خلال حرب الأيام الستة وقد اهتمت الصحف الغربية سنة ١٩٦٧ كثيراً بهذه الظاهرة. أما اليوم فإن الأحذية تختلف ولذلك فالأرجح أنها تثير القفشات والنكات هذه المرة فى منتديات القاهرة).

«كذلك توجد المرآة إذا ما وضعنا فى اعتبارنا الأسرى الإسرائيليين الذين ظهروا فى التليفزيون المصرى.. أن هذه الأفلام لم تعرض فى بيروت بعد، لكن المرء يمكن

أن يضمن ان دور السينما ستغص بالرواد فى جميع أنحاء العالم العربى لمدة طويلة بعد انقضاء الحرب.. والأرجح أن تكون هذه الأفلام نصرا سينمائياً فى جميع العهود يعاد عرضها دائماً بمثابة تذكرة دائمة بأنه مهما كانت المتاعب مستقبلاً، فقد كانت هناك ساعة انتصار كبرى بعد كارثة ١٩٤٨».

«هؤلاء هم الأسرى الإسرائيليون، صفوف منهم تقعد على الأرض والأيدى موضوعة على الرؤوس - نفس الوضع عندما كان الجنود المصريون اسرى فى المعسكرات الإسرائيلية فى يونية ١٩٦٧ وكان الإسرائيليون يضطروهم إلى العودة لتصويرهم».

«إن العالم العربى قد أسرته فرحة المعركة والنجاح. إن النجاح قد يكون معديا وقد تكون له حدود، لكن شيئًا هامًا قد تم انجازه: هو خدمة الشرف وحمل عدو كريه مرذول على دفع الثمن».

وهكذا انقلبت الآية: تخبط الإعلام الإسرائيلى واخذ يلتمس الحجج الواهية المكشوفة.. وبعد أن كانت النكات بعد حرب يونيو ٦٧ تلاحق القوات المصرية والأسرى المصريين اصبحت تلاحق القوات الإسرائيلية.

التايمز اللندنية: وفى ١٤/١٠/١٩٧٣ كتبت التايمز اللندنية تقول (لمراسلها، واتس فى القاهرة): «ولاحظ المراقبون الذين كان بعضهم موجوداً هنا فى ١٩٦٧ مدى رزانة الإعلام المصرى فى نشر أنباء الحرب، ويقول المعلقون المصريون هنا أن اخطاء سنة ١٩٦٧ عندما كانت اجهزة إعلامنا تغرق فى موجة من الانفعالات والهستريا لن تتكرر، وتنعكس هذه المشاعر بوضوح على تصرفات سكان القاهرة الذين يحملون معهم فى كل مكان راديوهات الجيب للاستماع إلى الانباء على الجبهة وهم ينجزون اعمالهم اليومية بأسلوب متزن ويشعر المصريون بثقة فى الطريقة التى تنجز بها قواتهم مهامها، وقبلوا بروح طيبة دفع ضريبة دخل اضافية فرضت لمواجهة التكاليف العالية لما وصف بأنها معركة التحرير».

نيويورك تايمز: وتقول صحيفة نيويورك تايمز فى نفس اليوم: وهناك مظهر آخر من المظاهر التى ادهشت الأجانب الذين يعرفون مصر، وهى الطبيعة المعتدلة

التى اتسمت بها البيانات العسكرية المصرية التى تتمتع بثقة اكبر، وعلاوة على ذلك فإن هذه البلاد لم تعد تتحدث عن القاء اليهود فى البحر، واصبح من الواضح أن ما تريده هو استعادة الأراضى المصرية التى استولت عليها اسرائيل عام ١٩٦٧.

الإذاعة الأمريكية: وفى ١٤/١٠/١٩٧٣ قالت الإذاعة الأمريكية لمندوبها «كينث لوف»: «إنه قول قديم ومعروف: (أن أول خسارة فى الحرب هى الحقيقة) وحاولت مصر أن تنقذ هذه الضحية المعتادة - أى الحقيقة - وذلك فى حربها الحالية المستمرة الآن منذ ثمانية أيام، وبذلت مجهوداً واعياً لملء فجوة الثقة التى ورثتها نتيجة للاكاذيب التى كانت تذيعها ابان الحرب السابقة.. وتعتبر الانباء المعتدلة التى تذاع عن خسائر العدو والاعتراف بالخسائر المصرية، مثلا اذيع امس أن مصر خسرت (اربع طائرات) تعتبر جزءاً من سياسة الإعلام المعتدلة عن عمد..

«وتقوم الحكومة بترتيب رحلات صحفية إلى جبهة سيناء - ثلاث رحلات حتى الآن - وإلى المواقع التى تعرضت للغارات الإسرائيلية..

وتقول وزارة الإعلام أن اسرائيل تمنع مثل هذه الرحلات، وقد بلغت ثقة الشعب المصرى بالبيانات المصرية الرسمية الذروة حتى أنها تفوقت على الإذاعة البريطانية وإذاعة صوت امريكا».

صحيفة رايخشتاين السويسرية: «وقال مراسل صحيفة رايخشتاين السويسرية فى ١٤/١٠/١٩٧٣: «وفى مصر يسود الشعور بالرضا فى كل مكان سواء فى جبهة القتال أو الجبهة الداخلية. فقد كانت المشاعر مختلفة تماماً فى كل شيء فى معركة ١٩٦٧ عما هو عليه فى المعركة الراهنة حيث لا يوجد على الاطلاق شعور بالضيق والحزن.. ويتقبل الشعب جميع الانباء الواردة من الجبهة قبولاً حسناً رغم أن كافة الدلائل تشير إلى أن المعركة ستكون طويلة الأمد وشرسة، إن المصريين فى هذه المرة لم يشعروا بالتعب ولذلك فإنهم لن يرهقوا بسرعة فى هذه المرة».

«هذا وقد استطاع الإعلام المصرى الآن على وجه العموم القضاء على تضارب الأقوال المتلاحقة التى تزعمها اسرائيل بشأن تحقيقها اهدافاً استراتيجية تتناقض والبيانات القاهرية. فعلى سبيل المثال كانت اسرائيل تأمل فى أن تكون بعض المواقع

التى تشير مصر بأن القوات المصرية قد استولت عليها ـ مازالت تحت سيطرتها ـ مثل (القنطرة) إلى أن أكدت مصر تكذيب المزاعم الإسرائيلية. فقد قامت الصحف القاهرية فى غضون هذا الأسبوع بنشر صور كثيرة للقنطرة التى تم الاستيلاء عليها».

«والملاحظ أنه منذ ان قامت القاهرة بتقديم البيانات المتلاحقة عقب عملية العبور أصبحت اليوم تقدم بيانات على فترات متباعدة جداً، ويبدو أن هذا ما هو إلا (تكتيكاً) اكثر منه دليلاً على الضعف».

الاكسبريس الفرنسية: وفى عددها الصادر بتاريخ ١٨/١٠ نقلت جريدة الاكسبريس الفرنسية تصريح الجنرال مانى فيليب فى جريدة معاريف الذى قال فيه: «لطالما هددنا القادة بالأوهام، بيد أنه فى الوقت الذى تفرغنا فيها لتعلم الكذب تعلم العرب كيف يقاتلون».

وشهد شاهد من أهلها.

وتمضى الأيام فيزداد الإعلام الإسرائيلى انكشافا:

إذاعة لندن: ففى ١٩٧٣/١٠/١٠ قالت إذاعة لندن نقلاً عن صحيفة (لوموند) ما يلى: «أن القيادة العسكرية الإسرائيلية منعت الصحفيين من القاء الأسئلة على الضباط والعسكريين الإسرائيليين وفرضت رقابة شديدة على الأخبار الواردة من سيناء واضافت أنه بعد اسبوعين من المعارك المريرة المتوجه بالانتصارات العربية أصبح الجيش الإسرائيلى فى حاجة إلى ضربة طنانة بعد أن فشل فى تحقيق نصر سريع.

تيرنس سميث: وفى تحقيق للصحفى تيرنس سميث من القدس نشرته جريدة نيويورك تايمز فى ١٩٧٣/١٢/٢ قال: «ضاعت فى الهواء النكات عن العرب العاجزين الكثيرى الكلام وبدأت السخرية من خط بارليف.. خط من ورق علب الكبريت.. من الجنرالات الإسرائيليين المحتاسين»..

«أما الدعاية التى هدأت فهى تعكس الاستياء من الدعاية القديمة التى تعتمد على مجرد الكلام.. ومنذ ذلك الحين تغيرت المواقف نحو اسرائيل بصورة متباينة، فلقد

انهارت اسطورة التفوق الإسرائيلى بعد أن فشلت اسرائيل فى تحقيق نصر آخر لها فى حرب اكتوبر».

الصنداى تايمز: ومن لندن قالت صحيفة الصنداى تايمز فى ١٩٧٣/١١/٩: «أن اسرائيل تواجه فى شخص الرئيس السادات زعيماً تبشر بداياته بأن فى إمكانه أن يصبح رجل دولة فقد جنب مصر حمى الحرب الهستيرية التى سادتها ايام عبد الناصر والتزم باعتدال فعلى انعكس فى أغلب البيانات ذات المغزى التى صدرت عن القاهرة أثناء الحرب وبعدها.. أن الرئيس المصرى يعترف لاسرائيل بحق البقاء وهو اقوى زعيم عربى..».

صحيفة دافار: ومن اسرائيل نشرت صحيفة دافار فى ١٩٧٣/١٠/١٧ خطاب الياهو ايجرس جاء فيه: «طوال سنوات عديدة كنا نبالغ فى ثقتنا ونخطىء، ونستهين بقوة وقدرة العدو. وكان المعلقون والخبراء والعسكريون فى اسرائيل يسخرون من الجنود العرب ومن قدرتهم على القتال، واتذكر هنا ما قاله عيزرا وايزمان من أن الحرب ليست عملهم. ويحتمل أن هذه النظرة التى كانت كلها استخفاف كانت من عناصر سوء تقديرنا للموقف يوم نشوب الحرب».

حقا انها حرب المرآة المعكوسة على حد تعبير الكاتب الانجليزى جلفن يونج.

صحيفة معاريف: وفى يوم ١٩٧٣/١١/٤ قالت صحيفة معاريف الإسرائيلية: «إن هناك فيما يبدو منظمة سياسية معادية لاسرائيل داخل اسرائيل، وإن هذه المنظمة دأبت على الاتصال بعائلات الجنود فى الأيام الأولى للحرب وابلاغهم بوفاة ابنائهم أو بأن الوحدات التى يخدم فيها أبناؤهم قد ابيدت عن آخرها.. وتختتم الجريدة قولها بأن البوليس الإسرائيلى يجرى تحقيقاً لمعرفة المسئول عن إذاعة الحقائق وعقابه».

ولهذا الخبر المقتضب مغزاه العميق نعم فقد الشعب الإسرائيلى ثقته فى أجهزته الرسمية.. ولم تتحمل فئة منه هذا التضليل فتكفلت بفتح أعين الجماهير.. وقد ثبت فيما بعد ان ما كانت تبلغه هذه المنظمة لم يخرج عن اطار الحقائق الثابتة عن خسائر اسرائيل الفادحة.

ويؤكد هذا الرأى وكالات الأنباء الأجنبية حيث كتبت فى ١٩٧٣/١٢/١١ من القدس المحتلة تقول: «كشف استفتاء للرأى العام فى اسرائيل ان ٥٠ ٪ من الإسرائيليين لا يثقون فى بيانات الحكومة الإسرائيلية، وأن ٦٥ ٪ يعتقدون أن الحكومة لا تفسر بقدر كاف القرارات التى تتخذها»..

«وأعلن معهد الأبحاث الاجتماعية فى جامعة القدس الذى أجرى هذا الاستفتاء أن ٦٠ ٪ من الاسرائيليين الذين اشتركوا فيه انتقدوا الطريقة التى تعالج بها الحكومة مشكلات الأمن».

وتمضى اصابع الاتهام نحو اسرائيل. فمن القدس المحتلة فى ١٩٧٣/١٢/٣١، أعلن المراسلون الأجانب انهم لن يعودوا يصدقون اسرائيل لأنها لم تعطهم الحقيقة الكاملة عن أحداث حرب اكتوبر..

إذاعة كولومبيا: وجاء فى رسالة بعث بها مندوب إذاعة كولومبيا الأمريكى ونائب رئيس اتحاد الصحفيين الأجانب إلى صحيفة جيروزاليم بوست: «إن فجوة عدم تصديق قد برزت الآن بين المراسلين الأجانب واسرائيل.. وذكرت الرسالة أن مكتب المتحدث الرسمى العسكرى الإسرائيلى منع الصحفيين من زيارته».

جمعية المراسلين الأجانب: وتتسع فجوة عدم الثقة فى الإعلام الإسرائيلى، فمن تل أبيب كتبت وكالة ى.ب.ا. فى ١٩٧٤/١/١١ «اتهمت اليوم جمعية المراسلين الأجانب حكومة اسرائيل بتعمد اخفاء الحقائق وخلق جو من عدم التصديق بين السلطات ورجال الصحافة منذ حرب أكتوبر حتى الآن.

وقالت الجمعية فى بيان لها: «ان اخفاء المعلومات والاصرار على رفض السلطات السماح لرجال الصحافة بالتوجه إلى أماكن الأحداث للحصول على المعلومات من مصادرها الأولية، لا يساهم إلا فى زيادة فجوة عدم التصديق الموجودة فى اسرائيل والتى تزايدت بإطراد منذ حرب أكتوبر.

وتضم الجمعية ١٥١ عضوا من المراسلين الصحفيين الأجانب وجاء بيانهم بعد ساعات من اعتراف اسرائيل بأن سبب حرائق آبار بترول أبو رديس يرجع إلى سقوط صاروخ عليها كان موجها ضد طائرة مصرية ولكنه أخطأها.. ثم قال البيان: «وقد

ظلت السلطات الإسرائيلية تتكتم هذا السبب منذ اندلاع الحريق فى أول يناير.. وكان المراسلون الأجانب قد منعوا من الذهاب إلى منطقة الحرائق».

وكالة رويتر: ومن تل أبيب كتبت وكالة رويتر فى ١٩٧٤/١/١٣ تقول: «طالب محررو الصحف الإسرائيلية بتخفيف قيود الرقابة العسكرية على الصحف واعطاء المحررين العسكريين فرصة الاتصال بالقوات الإسرائيلية.. كما القى محرروا الصحف الإسرائيلية ـ فى اجتماع عقده مجلس الصحافة الإسرائيلي ـ اللوم على الرقابة لأنها تسببت فى خلق جو التهاون الذى ساد اسرائيل قبل حرب اكتوبر».

صحيفة هاآرتس: وقال جيرشوم شوكن رئيس تحرير صحيفة هاآرتس: «إنه لو كانت المسائل الخاصة بأمن اسرائيل قد عولجت بصراحة كما تعالج المسائل السياسية والاقتصادية، لكان الرأى العام الإسرائيلى قد تنبه لاخطار تزايد القوة العربية فى الوقت المناسب».

أى أن الإعلام الإسرائيلى قد خدع الرأى العام الإسرائيلى وتركه يعيش فى الاسطورة وتتزايد اصابع الاتهام. ففى ١٩٧٤/١/٢٦ تكتب الوكالة الفرنسية من تل أبيب تقول: «اعلن المراسلون العسكريون الموجودون فى اسرائيل فى حديث لراديو تل ابيب أن نظام الإعلام الذى تمارسه حكومة اسرائيل كله ينبغى اعادة النظر فيه.. وأكد المراسلون «أن الحرب الأخيرة كشفت عن الأسلوب السيء الذى تمارس به أجهزة الإعلام التابعة للجيش الإسرائيلى عملها. واشار هؤلاء المراسلون إلى أنه بدلاً من أن يلجأ الجيش إلى تحسين الموقف نراه قد قرر شل كل مصادر الإعلام.. وكانوا يشيرون بذلك إلى قرار موشى ديان وزير الدفاع بعدم تغطية أنباء الانسحاب الاسرائيلى».

وقال هؤلاء المراسلون: ان الشيء الوحيد الذى تقوم به أجهزة الإعلام الإسرائيلى هو حجب الانباء أو التستر عليها أو الاقتصار على نشر الأنباء الملحة.

وبعد.. نعتقد أن ما قدمناه حتى الآن من أقوال يكفى لتأكيد حقيقتين:

الأولى: أن جهاز الاعلام المصرى قد كسب ثقة واحترام العالم أجمع فى حرب أكتوبر باعتراف أجهزة العالم الغربى المعروفة بموالاتها لإسرائيل.

والثانية: ان الإعلام الإسرائيلى فقد هذه الثقة، وبذلك خسر معركته أمام الإعلام المصرى برغم ما عرف عن الإعلام الإسرائيلى من تفوق ساحق طوال السنين الماضية باعتراف الرأى العام العالمى وبحكم ما لهذا الإعلام من نفوذ ضخم وسيطرة كبيرة وتمويل هائل فى عواصم وبلدان العالم الغربى.

الآثار النفسية فى اسرائيل

والآن وقد انتهينا من معركة الإعلام، تنتقل إلى الشق الثانى والأهم فى موضوعنا. أى الآثار النفسية لحرب اكتوبر المجيدة على اسرائيل:

عندما فاجأت الحرب اسرائيل بل العالم بأسره، لم يشك أحد لحظة سواء فى اسرائيل أو فى دول الغرب فى أن النصر - كالمعتاد - سيكون ولا شك حليف اسرائيل.. ورددت دوائر الغرب أن العرب قد أقدموا على مغامرة حمقاء يائسة مقضى عليها بالفشل الأكيد، وأن العرب قد اضاعوا بذلك مجهودات سنين من الاتصالات السياسية المكثفة لخلق جو ودى فى صفهم.. وإن دل هذا على شىء فعلى مدى تغلغل الأسطورة الإسرائيلية عن الدولة التى لا تهزم وعمق جذورها فى النفوس.. وتعكس التصريحات والتعليقات الآتية بوضوح هذا الموقف..

فبعد مضى عشرين ساعة فقط من بدء الهجوم - يوم ١٩٧٣/١٠/٧ - اذاع راديو اسرائيل تصريحاً للجنرال شمويل جونين قائد الجبهة الجنوبية فى اسرائيل قال فيه:

«لا تقلقوا واصمدوا.. فنحن هنا.. ولا يوجد ما تخشونه طالما أن خطوط وقف اطلاق النار بعيدة عن التجمعات السكينة.

وفى نفس اليوم اذاع راديو اسرائيل العبرى النبأ التالى:

«قال الخبير الفرنسى الجنرال بيريبوزية أنه يتوقع أن الحرب فى الشرق الأوسط ستنتهى خلال ٥٦ ساعة تقريباً على الرغم من أن المصريين يتوقعون حربا طويلة وخسائر كبيرة».

ومن لندن وفى نفس اليوم قالت وكالة اسوشيتدبريس ما يلى:

«يعتقد الخبراء العسكريون الغربيون فى لندن أنه على الرغم من أن اسرائيل محاصرة بقوة النيران من جانب جيرانها العرب المدججين بالسلاح، إلا أن لديها كفاءة فنية ومعنوية تمكنها من السيطرة على الصراع فى الشرق الأوسط، ويقول الخبراء أن لدى اسرائيل ما يمكن أن يعد سلاحًا سريا قويا من خبرة الهزيمة المنكرة التى الحقتها بالعرب فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ واضاف المتخصصون فى الشئون العسكرية أن من شأن هذه الخبرة أن ترفع الروح المعنوية للقوات الإسرائيلية وتحط من حماس القوات المصرية والسورية».

وفى اليوم التالى ١٩٧٣/١٠/٨ كتبت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية تقول:

«ينبغى أن نثبت للعالم أجمع أن من المستحيل هزيمة اسرائيل وجيشها وشعبها. ولا يشك أحد فى اننا سنثبت ذلك، والأمر الأساسى أن نحتفظ باعصابنا هادئة اثناء فترة الانتقال هذه بين الهجوم المصرى والسورى وبين هجومنا المضاد».

هكذا كانت الثقة المفرطة فى قوة إسرائيل. والإيمان بأنها قوة لا تقهر.. لكن سرعان ما بدأت الصورة تهتز، والثقة تتزعزع، والنغمة تتغير.

ففى ١٩٧٣/١٠/٨ اذاع راديو لندن تحليلاً للموقف العسكرى فى الشرق الأوسط على ضوء الانتصارات التى احرزها العرب قال فيه:

«لقد كان واضحًا فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ تفوق اسرائيل العسكرى على البلاد العربية مجتمعة.. ولذا أثارت أنباء نجاح العرب فى استرداد بعض المناطق التى كانت فى ايدى اسرائيل حالة من الذهول لدى المراقبون، فلم تعد اسرائيل الدولة التى لا يمكن هزيمتها لقد شفيت الدول العربية، ولاسيما مصر، من الصدمة المروعة التى تلقتها فى حرب الأيام الستة».

ها قد بدأت المعارك تهدم فى صرح الأسطورة الشامخ وأول الغيث قطرة. فى نفس اليوم صرح البروفسور فولتش الوزير الإيطالى السابق والخبير فى شئون الشرق الأوسط بأن اسرائيل تعانى الآن من عزلة دبلوماسية سوف تفقدها ما حصلت عليه خلال السنوات السابقة نتيجة سياستها العدوانية واعتداءاتها على الأراضى العربية، ثم أعرب عن اعتقاده بأن ما حدث يوم ٥ يونية ١٩٦٧ لن يتكرر فى ظل الأوضاع الحالية.

لقد برهن الإعلام المصرى على هذه الحقيقة..

«إن ما حدث فى ١٩٦٧ كان الاستثناء وليس القاعدة...»..

الباب السادس

كلمات مضيئة

استخلصها الناشر من أقوال الصحف
والتحقيقات والأحاديث الإعلامية والسياسية

كلمات مضيئة[1]

ما أكثر الكتابات التى تناولت اسم أو شخصية د. حاتم وألقت الضوء على بعض جوانب حياته وما قدمه من أجل وطنه. خاصة تلك الكلمات والحوارات التى ظهرت بعد أن خرج من دائرة أضواء مواقع العمل الرسمية.. هى شهادات الآخرين.. هى كلمات بأقلام عدد كبير من الكتاب بعضها فى شكل عمود أو مقال وبعضها حوارات..

هى كلمات نابعة من قلوب محبة وعقول مفكرة.. تعكس مشاعر المودة الصادقة وتنقل بأمانة وتجرد الحقائق والوقائع.. عن أحداث عايشوها وشخصيات عرفوها. وإننا نتصور أنها تضيف إلى الصفحات السابقة بعدا إنسانيًا نحتاج إليه فى حياتنا ومثالاً لأجيالنا القادمة..

---

(١) هذه الكلمات استخلصها الناشر من أقوال الصحف والتحقيقات والأحاديث الصحفية .

الرئيس مبارك يشيد بدور حاتم*

استقبل الرئيس مبارك د. عبد القادر حاتم حيث وجه له الشكر على الجهد الوطنى المتصل والمتواصل منذ توليه المسئولية فى مناصب متعددة ومتوالية، وآخرها توليه مسئولية الاشراف العام على المجالس القومية المتخصصة ما يقرب من ٢٠ عاماً، ودوره الكبير فى تأسيس هذه المجالس التى كانت تقاريرها وبحوثها مهمة للغاية وفاعلة، وحققت بقيادته وتحت رئاسته تقدماً كبيراً.. وعبر له الرئيس عن تقديره للدور الذى قام به فى المجالس القومية المتخصصة والتى كان من أبرز نتائجها التحول إلى اقتصاد السوق وإنشاء المجتمعات الجديدة، بعد أن وضعت استراتيجية مصر المستقبل...

صرح بذلك صفوت الشريف وزير الاعلام وقال: إن د. حاتم سبق له الحصول على قلادة الجمهورية وهى من أعلى الأوسمة... كذلك عبر الرئيس عن تقديره للجهود التى بذلها الدكتور عبد القادر حاتم أثناء توليه حكومة ٦ اكتوبر بالنيابة عن الرئيس السادات - وإعداد الدولة لمعركة العبور.

---

* نقلاً عن: جريدتى الأهرام والأخبار، بتاريخ ١٩٩٦/١/٢٤.

فى الواحة*

محاولة الحديث مع رئيس الوزراء ووزير الاعلام الاسبق - صعبة، وتقديمه للناس أكثر صعوبة. فالرجل انجازاته كثيرة، واسهاماته فى الإعلام والاتصال أكثر، ولذلك لا تعرف من اين تبدأ، وإذا بدأت فالمجال لا يتسع لحصر وتسجيل كل ما يجب أن يقال عنه وليس عليك، عندئذ، الا أن تأخذ، بسرعة ما يسمح به الوقت، وما يتيحه حيز المساحة.

من ٢٥ عاماً، قالت عنه جريدة التايمز الانجليزية إنه: مهندس الإعلام الأول فى الشرق، بما أضفاه الدكتور حاتم على الإعلام وقتها، وهو يهيىء الناس لتحرير الأرض والعرض.

وليس فى مصر، مؤسسة إعلامية، لم يسهم فيها د. حاتم بنصيب إن لم يكن قد أنشأها من أساسها، مثل وكالة أنباء الشرق الاوسط... أو تبوأ قمتها مثل مؤسسة الاهرام، أو خلقها من عدم، مثل كلية الإعلام وزارة الإعلام، وغيرها الكثير.. حين انشأ التليفزيون المصرى عام ١٩٦٠، وصفه نجيب محفوظ بأنه قد نقل المواطن المصرى مائة عام إلى الأمام.

مؤلفاته ١٢ كتابا بالعربية، ومثلها تقريبًا بالانجليزية، وأما كتابه الاخير «ديمقراطية الإعلام والاتصال» فهو الذى حفزنى على أن اذهب إليه.

* حوار: سليمان جودة، جريدة الوفد بتاريخ ١٩٩٧/١/١٦ .

ما الذى يعينه د. حاتم بديمقراطية الإعلام والاتصال؟.. فى صدر كتابه وضع هذه العبارة: ديمقراطية الاتصال تنقى الديمقراطية السياسية من شوائبها وتخلصها من عيوبها، وتحقق أهم مبدأ من مبادىء الديمقراطية، وهو: حكم الشعب للشعب ولصالح الشعب.

وبعد صفحات عاد فقال: من ديمقراطية الإعلام التوسع فى امكانية الحصول على المعلومات، واحترام الحياة الخاصة، ومساندة الفرد أو الجماعة فى الاتصال العام، سواء على المستوى المحلى أو القومى أو الدولى، مساندته ايضًا فى حقوقه الاجتماعية، وحقه فى العمل والتغذية الصحية والتعليم.

إلى هنا، يبدو المعنى الذى قصده. حاتم واضحاً ولذلك نتركه إلى التساؤلات التى يمكن أن يثيرها هذا المعنى.. فالكتاب - فى النهاية - متاح لمن اراده، والاهم ان يضيف المؤلف شيئاً جديداً إلى ما قيل.

وأول شيء خطر لى، هو أن أسأله عن موقع المشاهد المصرى امام الشاشة، فى ظل المعانى التى يسوقها كتابه الجديد.

فاللافت للنظر، فى الفترة الاخيرة أن المصريين أمام الشاشة الصغيرة، فئتان: فئة تستقبل المحطات العربية والاجنبية، وتتجنب التليفزيون المصرى، وفئة أخرى - وهى القطاع الأكبر - لا تملك الا ان تتعرض للشاشة المصرية، ولا تقدر فى الوقت نفسه، على الوصول إلى ما تقدمه المحطات الأخرى.

فإذا أخذنا فى الاعتبار الاختلاف الكبير فى مضمون ما يقدم هنا وهناك اكتشفنا ان استمرار هذا الامر، من شأنه أن يكرس فجوة ثقافية بين الفئتين وهى فجوة موجودة فى الأساس، ويعمقها بدلاً من تضييقها.. فكيف ترى أثر ذلك على المدى البعيد؟.

- قال - ان الثقافة لها وطن أما العلم لا وطن له.. لذلك يجب ابراز سمات المجتمع المصرى - فالثقافة هى السلوك هى العادات والتقاليد والدين والتاريخ والمعرفة والتعليم والاسرة... الخ من حصيلة كل هذه العوامل تتكون ثقافة الانسان يعنى سلوك الانسان - فإذا نظرنا إلى الانسان المصرى نجد ان التعليم جعله إما انسانا على درجة كبيرة من

التعليم أو شخصا أميا لا يقرأ ولا يكتب وهنا نجد نسبة الأمية كبيرة نتيجة عوامل كثيرة.. وما تفعله مصر اليوم هو العمل على محو الأمية وسد منابع الأمية ومنع التسرب من المدارس.

لأن الفجوة الثقافية فى مصر فجوة بين المتعلمين وفجوة أخرى بين المتعلمين والاميين ـ والسبب سياسة «فرق تسد» فى التعليم التى غرزها الاستعمار، والحق أقول إن المجالس القومية المتخصصة منذ عشرين عاما تنبهت إلى هذه المشكلة الخطيرة فوضعت اساسا تعليميا قوميا مشتركا لكل شباب مصر منذ السنة الأولى فى التعليم سواء العام أو الخاص أو الأجنبى أو الفنى.

فإذا اردنا الاجابة عن سؤالك بخصوص هذا البث الفضائى أو هذا الزائر أو الضيف الذى يدخل كل بيت.. فإن كل مواطن يختار من مختارات البرامج ما يتلاءم مع ثقافته سواء برامج مصرية أو أجنبية.

ومن واجبنا فى الإعلام ان ندرس البرامج التى نذيعها بحيث تلاءم وتتفق مع ثقافتنا القومية.. لذلك فان سؤالك ذكى، ويجب ان تطور برامجنا باستمرار للقضاء على هذه الفجوات أو بالاحرى التقريب بين الثقافات. لأن العالم اليوم يريد ثقافة واحدة وهذا من الصعب أن يتم لكن علينا أن نفكر عالميا وننفذ محليا Think Global and Act Local وهذا مبدأ هام وهو الانفتاح الثقافى على العالم لنعيش فيه ونتعامل معه.

قلت: الا ترى ان ديمقراطية الإعلام والإتصال، والتى تنادى بها، مفتقدة، وغير موجودة، فى خريطة إعلامية مصرية، هذه هى تضاريسها؟!

ـ قال: ان ديمقراطية الإعلام والإتصال كما بينت فى كتابى، مكملة للديمقراطية السياسية.. بل فى رأيى المتواضع ان ديمقراطية الإعلام والاتصال تغطى سلبيات الديمقراطية السياسية وعيبها التى شرحتها بالتفصيل..

إن قسما كبيرا من المجتمع لا يعطى صوته فى الانتخابات ـ وكذلك نجد الأقلية البرلمانية التى لا توافق أو لاً تعطى صوتها فى اقرار القوانين التى تنظم الحياة فى

البلاد فكيف ـ بعد كل ذلك ـ نقول ان الديمقراطية السياسية هى حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب.

أنها فى الحقيقة حكم بعض ممثلى الشعب لصالح جزء من الشعب لأن بقية الشعب لم يؤخذ رأيه فى تشريع قوانينه.

قلت: هل تتساوى المجتمعات. فى قدرتها على التعامل مع ديمقراطية الاتصال والإعلام، وفى حاجتها إليها، وما الذى يؤهل مجتمعاً، دون آخر، لذلك؟!

ـ قال: الديمقراطية السياسية لا تتساوى حتى فى أعرق الدول الديمقراطية... فالديمقراطية فى انجلترا ـ مثلاً ـ تجعل السلطة التنفيذية والتشريعية فى يد الحكومة لو كانت حائزة على الأغلبية فى مجلس العموم وعليه ويمكن أن تغير كل شىء فى الدولة، وهناك مثل بريطانى يقول بسخرية عن هذه الديمقراطية، إن الحكم الديمقراطى فى انجلترا يمكنه ان يغير كل شىء عدا ان يجعل المرأة رجلا والرجل أمرأة!!

بينما فى المجتمع الامريكى وهو من أرق الديمقراطيات السياسية، نجد أن سلطة الرئيس محددة بمبدأ الرقابة والتوازن Check Balance فمثلا يمكنه أن يعين السفراء ولكن بعد اختيار فى الكونجرس.. الخ.

لذلك فان ديمقراطية الإعلام والاتصال فى المجتمعات فى العالم الثالث ـ مقيدة بأنظمة الحكم ولا يمكن أن تتساوى.

قلت: ما هى العلاقة فى رأيك، بين ملكية الدولة لوسائل الإعلام، وبين الدرجة المتاحة، أو التى يمكن أن تتاح من ديمقراطية الإعلام والاتصال؟!

ـ قال: الديمقراطية، دائماً، مطلب شعبى، وتختلف فى إساليبها، حسب ظروف كل مجتمع.. والاحزاب عندنا، تمتلك صحفها، ولا توجد رقابة على الصحف، ولذلك يمكنها ـ أى صحف الاحزاب ان تنهض بجزء من ديمقراطية الإعلام والاتصال.

قلت: وهل ترى افلات وسائل الإعلام، من قبضة الدولة، أمرا قريبا.. وإذا كانت المسألة، مسألة وقت ـ كما قيل ـ فما هى العناصر الحاكمة لهذا التوقيت سواء بعدا أو قرباً؟!

ـ قال: هذه مسألة سوف يحسمها الوقت مع التجربة، فالتجارب هى التى ستبين للرأى العام، الاتجاه السليم، سواء كان هذا الاتجاه هو امتلاك الدولة لوسائل الإعلام، أو انتقالها إلى القطاع الخاص.

الدعوة الاسلامية وأجهزة الاعلام*

إن نجاح الدعوة الأولى إلى الاسلام وانتشارها السريع والأساليب التى اتبعت فيها.. قامت على اساس مكين من نصوص القرآن الكريم.

ـ يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام المصرى الحديث، فى أحدث كتبه «الدعوة الاسلامية وأجهزة الإعلام» انه بعد ممارسة علمية وعملية استمرت أكثر من اربعين عاما فى مجال الإعلام اتضحت له حقيقة ناصعة وهى أن نجاح الدعوة الأولى إلى الاسلام وانتشاره السريع الواسع، والوسائل والاساليب التى اتبعت فى هذه الدعوة ـ قامت كلها على اساس مكين من نصوص القرآن الكريم ومن ثم فإن هذه الاساليب والوسائل القرآنية تمثل أفضل وأقوى وسائل الإعلام فاعلية وتأثيرا فى نفوس الجماعات والافراد والشعوب فهو يحثنا على الأخذ بالعلم والمنهج العلمى ويأمرنا بكل نافع فى مجال العقائد والمعاملات والسلوك والاخلاق.

ودعوة الاسلام متجددة لأنها دعوة إلى الحياة الكريمة فى الدنيا والآخرة ومن ثم فإن دورها هو البناء والتعمير بناء النفوس وتزكيتها وترشيد سلوكها وهدايتها إلى الصراط المستقيم وردها عن الانحراف ودعوتها إلى اتباع الأسوة الحسنة والقيم الكريمة وما يصلح به الأفراد ويقوم عليه المجتمع.

واذا كانت الدعوة بهذا المفهوم ضرورية فى كل وقت، ومتجددة بتجدد الزمان، فإن الظروف التى تواجه مجتمعنا اليوم تضفى على هذا الموضوع أهمية خاصة لما يتعرض له مجتمعنا من تيارات وأفكار متباينة تتعارض فى كثير من الاتجاهات مع قيمنا الدينية الأصيلة مستغلة طرق الاتصال الحديثة وما أكثرها، واستخدامها فى اختراق صفوف شبابنا الذين نعتمد عليهم فى بناء المستقبل ومن هنا فإن الطريقة المثلى هى تحصين نفوس ابنائنا وبناتنا بالتربية الدينية السليمة وبالقيم الأصيلة والفهم

* مصطفى غنيم : يوميات جريدة الأخبار، بتاريخ ١٩٩٧/٢/٢٣ .

الواعى لفكر الاسلام بحيث نعالج تطرف بعض فئات الشباب فى فهم الدين، او تعصب البعض الآخر تعصبا أعمى بسبب سوء فهم أحكام الدين والشريعة السمحة، أو التأثر ببعض المذاهب الهدامة المستوردة، أو انقياد أعمى لبعض المضللين الذين يتاجرون بالدين، أو إلى فراغ دينى لم يجد من يسده، مع ظهور بعض اتجاهات مناوئة للاسلام فى بعض الدول الاسلامية أو التى بها أقليات إسلامية، ضرورة التصدى لهذه الاتجاهات بتوضيح أحكام الاسلام ومفاهيمه السليمة.

ولما كانت رسالة الازهر الشريف لا تقف عند الجانب التعليمى فحسب، بل تتجاوز إلى حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره، فإننا نرى مضاعفة الاهتمام بالدعوة والدعاة لنقل رسالة الاسلام والعمل على اظهار حقيقته واثره فى تقدم البشر، ان تكون هناك خطة لاعداد الدعاة وتدريبهم على أسس علمية صحيحة.

ويجب ان تكون أهداف الدعوة هى ايضاح الطريق السليم أمام الأمة الاسلامية فى كل الاقطار بما يتلاءم مع مبادىء الدين الحنيف ويواكب التطور العصرى وحماية الشباب المسلم من الانحرافات المدمرة التى تحاول بعض الأجهزة المعادية تصديرها إلى الدول الاسلامية لإضعاف النفوس وتحطيم القيم الدينية ، وبهذا نعمل على تكوين الفرد المسلم والأسرة والشعب المسلم ومحاربة العادات التى لا تتفق مع الاسلام، وتوجيه الجماهير إلى المعاونة فى المشروعات الخيرية والمشاركة فى الجهود الذاتية لتحسين حياة المسلمين باقامة المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية.

مقبولون علي مباراة إعلامية بالغة الصعوبة*

ابناء دائرة عابدين والموسكى، لا يعرفون فى تاريخهم البرلمانى كله. الا شخصيتين فقط.. حلمى الغندور عم أحمد الغندور، ثم الدكتور محمد عبد القادر حاتم.. فالاثنان كان لهما فى حياة أبناء تلك الدائرة العتيقة.. ما للزعماء فى تاريخ الأمم.. لذلك وجدت نفسى أمام مشكلة حقيقية، حين اردت أن أقدم الدكتور حاتم للقارىء.. فما عندى عما فعله وأنجزه كثير، وقائمته طويلة، ويصعب جدا ان تحيط به فى حديث واحد.

* سليمان جودة : جريدة الوفد، بتاريخ ١٥/٢/١٩٩٦ .

هل نقول - مثلاً - انه حاصل على بكالوريوس العلوم العسكرية، ودبلوم الاقتصاد السياسى، وماجستير علوم الاستراتيجية، وماجستير علوم سياسية، ودكتوراه فى القانون، ودكتوراه فخرية من حكومة اكس - ان - بروفانس الفرنسية، وهى درجة لم يحصل عليها فى الشرق الاوسط الا الدكتور طه حسين!!

وهل نقول - مثلا ايضاً - انه يحمل أعلى وسام من اليابان ومن ايطاليا ومعهما ٤٠ وساماً من مختلف دول العالم؟!

أم نقول انه تولى رئاسة مجلس ادارة الاهرام، وتولى الاعداد لإدارة معركة حرب اكتوبر ١٩٧٣ وكان نائبا لرئيس الوزراء للثقافة والإعلام والسياحة لأكثر من عشر سنوات، ونائبا للسلدات فى رئاسة مجلس الوزراء فى حرب اكتوبر، واستاذا زائراً فى جامعات كمبردج، واكسفورد ودرهام ولندن، ومنشئا لوزارة الإعلام، ووكالة أنباء الشرق الاوسط. ومبنى التليفزيون، ومحتطى الشرق الاوسط والقرآن الكريم.. فهل بالغت حين قلت إن هناك مشكلة فى تقديمه؟.

مؤلفاته كثيرة.. بالعربية وبالانجليزية واليابانية، وفضله فى الحياة العامة، يعرفه كل الذين اقتربوا منه أو قرأوا أو كانوا بعيدين فسمعوا مما رأى وروى... ولو طاوعت القلم فى الاستطراد، لما انتهى، قبل ان يأتى على المساحة المخصصة لهذه السطور. لذلك. نكتفى ببعض ما يمكن ان يقال، باعتبار ان حديثه أو آراءه التى سنطالعها حالا، سوف تكون نوعا آخر من التقديم، وسوف تلاحظ ان الكلام كله، يدور حول محور واحد، هو «الإعلام» احد ميادين السباق فى حياة الدكتور حاتم، وأكثر ميادين العصر حيوية وحركة وتطورا.

والذين يتساءلون عن تداعيات ثورة الاتصال، التى يموج بها العالم، وتأثيراتها علينا، كشعب نسبة الامية فيه تزيد عن ٥٠٪.. هؤلاءحملت عنهم عبء التساؤل، وطرحت على د. حاتم، فقال:

- ثورة الاتصال تفرض علينا تحديات جديدة فى الارتقاء بمستوى الشعب، ليس اقلها مجابهة مشكلة الأمية لأنه هناك تسارعا فى معدلات التغيير يستلزم سرعة

العمل.. فالأمية فى عصر تقليدى عماده القراءة والكتابة تتضاعف وتتفاقم خطورتها فى عصر جديد عماده الكمبيوتر.

صحيح أن ثورة الاتصال لها جانبها الايجابى وهو انها تصل بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة إلى كل البشر فى كل أنحاء العالم، أى انها ستشكل حافزاً للمعرفة ودافعًا لتحسين المستوى الشخصى، غير أن هذا فى حد ذاته لا يكفى.. اذ لابد من عمل جماعى حاسم وسريع لتطويق مشكلة الأمية بالنسبة لقدامى الاميين ومنع حدوثها بالنسبة للأجيال الشابة والجديدة منعا باتا، اذ بدون هذا لن نستطيع التعامل مع عالم جديد لا توجد بيننا وبينه لغة مشتركة فضلاً عن ضياع مكاسب هائلة يمكن ان تحققها ثورة الاتصال لنا ولكل شعوب المعمورة.

فقد أدى التطور السريع والمتلاحق فى وسائل الاتصال والمعلومات وانتشار الاقمار الصناعية التى تبث وتنقل الحدث وقت حدوثه وعلى مدار الاربع والعشرين ساعة، إلى جعل العالم يبدو كقرية صغيرة.

ولا شك ان هذا التطور الهائل سوف يؤثر علينا من حيث انه سينقل الينا افكارا ومظاهر اجتماعية.. ولكن مما لا شك فيه أننا بالإعلام الجيد وأساليبه المتطورة يمكن ان نواجه هذه الامور الواردة عن طريق الفضاء.. بل بوسعنا ايضًا أن نكون مؤثرين بصورة أكثر ايجابية وليس فقط مستقبلين.. فعلى سبيل المثال ان ما يحدث من عمليات ارهابية بين الحين والآخر وتلصق بالدين الاسلامى فى محاولة لإثارة الرأى العام ضد الاسلام والمسلمين، فإن بوسعنا من خلال استخدام الاساليب العلمية والبرامج الهادفة الارتقاء بالتوجه الإعلامى والرسالة الإعلامية الواعية وبالتالى تغيير ما قد يعلق بالاذهان من محاولات التشويه وابراز وتأكيد حقيقة موقف الاسلام الذى لا يقر العنف ولا الاعتداء ويحترم الحرمات.

قلت: كيف ترى العلاقة بين النضج السياسى للشعب، وطريقة تفاعله مع تحديات إعلام العصر.. وهل تشارك الذين يخشون تعرضنا لما تبثه قنوات الارسال الخارجية.. هل تشاركهم الخوف من تأثيرات هذا البث؟!

ـ قال: انا من الذين لا يخشون تعرض المشاهدين المصريين لما تبثه قنوات الارسال الخارجية، فالخشية أو الخوف من المشاعر التى ينبغى الا تراودنا ونحن مقبولون على التحديات الجديدة، الأمر على العكس من ذلك، اننا يجب ان نعايش العصر بكل مؤثراته حتى نعرف كيف نتكيف معه فى نطاق قيمنا وتصورنا العريض للحياة.

ولا شك ان عدم الخشية من الوافد الجديد يرتبط بالنضج السياسى والمعرفى للشعب، فخلفنا تراث عظيم ممتد وحاضرنا يموج باليقظة والوعى والرغبة فى عدم التخلف عن العصر ومستقبلنا واعد ان طرحنا الخشية جانباً، ولا شك ان الوافدين الينا من سماوات العالم فيه من الأمور المجافية لقيمنا واخلاقنا، لكن علينا الا نفكر بأسلوب المنع وَالحظر لأنه غير ممكن لاسيما مع تقديم وسائل التكنولوجيا.

قلت: هل يؤهلنا إعلامنا الحاضر أو الحالى لدخول قرن مختلف نحن على اعتابه؟!

ـ قال: التعامل الإعلامى مع تحديات عصر جديد.. أولى مقتضياته هى الالتزام بالشفافية، فهى السلاح الأول فى معركة التنافس الإعلامى الجديد. إلى جانب المبادرة لا انتظار القيام برد الفعل. فالاستراتيجيات الإعلامية فى العالم تتسم بالجرأة والاقتحام والمبادأة لأن لديها تصورا تريد توصيله مهما كانت الواجهة التى تتخفى وراءها تتحدث عن حرية الرأى والايمان بالتعددية... إننا فى عصر Globalism أو العالمية كما يقول البعض، وهو عصر قد يتراءى للبعض فيه مدفوعا بقوة هائلة وتفوق إعلامى إلى فرض نمط للحياة تتوحد فيه الملابس والازياء وأنواع الطعام والشراب والافكار الا ان ذلك يجعل العالم سوقا هائلة تتعاظم من ورائها الارباح، وعالم كهذا لا ينفع معه موقف التردد الإعلامى، فنحن ايضاً أصحاب تصور رؤية نريد توصيلها لجمهور عريض من المشاهدين.. بالطبع مع اتقان وسائل العمل الإعلامى الحديث والسعى بقوة لان يكون وجودنا محفوظا فى السماء بأقمار صناعية متطورة، مع تدريب كوادر جديدة تتقن لغة الوسائط المتعددة وتطور ادائها ليجذب جمهورا واعيا متذوقا يقارن بين هذا الاداء وما يشاهده لدى الآخرين، اننا مقبلون على مباراة إعلامية بالغة الصعوبة والفوز فيها للاقدر والاكثر مبادأة وصراحة، والتواجد المستمر على الساحة، وهو ما اعتقد انَّ إعلامنا يدرك ابعاده.

عدت أسأل: هل يمكن ان تتقلص مساحة الإعلام المقروء والمسموع، مستقبلا أمام سطوة الإعلام المرئى.. وبأى درجة؟!

- قال: أتصور ان مساحة الإعلام المقروء والمسموع قد تأثرت بالفعل باتساع سطوة الإعلام المرئى ولكن اعتقد ان الممارسة الفعلية اثبتت ايضاً ان لكل وسيلة مقوماتها وخصائصها المميزة التى تتيح لكل منها فرصة اجتذاب جمهورها. بل إن جميع وسائل الإتصال يمكن ان تتكامل وظائفها وتتبادل تأثيراتها على أذواق واهتمامات مختلفة، فقد استطاعت هذه الوسائل - كل فى مجالها - ان تؤدى دورها بدرجات متفاوتة فى مواجهة الوسائل المستحدثة، كما حدث عند بدء ظهور الكاسيت والفيديو.. الخ، فقد ثبت أن كل وافد جديد ادى إلى تنشيط الوسائل السابقة وتطورها واستمرار المنافسة بينها فنحن على اعتاب عصر إعلامى جديد يهدد بجعل وسائل الإعلام تواجهه منافسة التطورات التكنولوجية السريعة فى وسائل الاتصال وخاصة الصحافة التى تشهد تطورات مذهلة كان آخرها الجرائد والمجلات التى نطالعها على شاشة الكمبيوتر، فلم يعد الامر مجرد تحديث فى وسائل وتحرير وطباعة وتوزيع الصحف وانما اصبح ثورة حقيقية تغير طبيعة العمل الإعلامى والمقروء والمسموع والمرئى.

اذن الإعلام التقليدى يواجه موقفا عسير المواجهة ان لم يكن مستحيلاً، غير انه يملك بعض الوقت على الأقل فى الدولة النامية التى لم تدخل بعد عصر المعلومات لتعديل اوضاع وتحديث رسالته واساليبه.

قلت: الخصخصة الاعلامية مصطلح يتردد السؤال حوله، على نحو واسع، بين الاعلاميين وغيرهم.. هل تراها مقبلة، ومتى، أو كيف إن كان لابد منها؟!

- قال: الخصخصة الاعلامية قادمة بحكم تطورات كثيرة على الصعيد العالمى.

كيف انتصرت مصر على اسرائيل؟*

قامت حكومة حرب اكتوبر بعمل جليل فقد اتبعت اسلوبا علميا مختلفا تماما عما حدث فى حرب ٦٧. فقد اختار الرئيس الراحل انور السادات، أن يرأس الوزارة

* جريدة الأخبار، محرر الأخبار الدبلوماسى، تاريخ ١٩٩٦/١٠/٩.

د. عبد القادر حاتم بالنيابة عنه ويكون وزيراً للإعلام، ويقوم باعداد الدولة للحرب. وكان د. حاتم يجتمع بمجلس الوزراء تسع ساعات، وهاجمت الصحافة د. حاتم على طول هذه الاجتماعات، ولكن لم نكن نعلم بأن هناك إعدادا للدولة للحرب فى سرية تامة... كان أول تصريح للدكتور حاتم فى أول اجتماع له: انه يرجوا ان يمنع أى تصريح لأى مسئول عسكرى أو مدنى عن موضوع الحرب بل اننا نعمل من أجل الحل السلمى، كما لا يمكن لدولة تريد تحرير ارضها والقيام باسترداد هذه الارض وقتال عدوها وهى لا تعرف أى شىء عنه ولا تعرف كيف يفكر ويعمل وظروف حياته وسياسته.. وكل المعلومات عنه.. فأصدر قرارا جريئًا يسمح بتداول كل الكتب التى تتحدث عن اسرائيل سواء طبعت فى اسرائيل أو فى خارجها وتترجم هذه الكتب وتكون فى متناول الجميع فنحن لا نحارب عدوا ونحن عنه فى ظلام لا نعرف عنه أى شىء.

وأصدر سلسلة «اعرف عدوك» وكتب فى مقدمتها عبارة ان العرب يقرأون يا ديان وستعرف ذلك!! وكان هذا ردا على ديان الذى قال - بعد حرب ٦٧ حينما سئل كيف تطبق خطة ضرب الطائرات المصرية وهى راقدة فى المطارات وهى نفس الخطة التى اتبعتها فى حرب ١٩٥٦- قال: إن العرب لا يقرأون.

- يقول د. حاتم فى مذكراته: كانت الحكومة بكل أجهزة الدولة تعمل فى سيمفونية رائعة.. خطة للإعلام قبل الحرب وأثناء الحرب وبعد الحرب.. لا تهوين من قوات العدو ولا تهويل لقواتنا.. فإن الدولة التى ستحارب لا تقول انها ستحارب فمن يريد الحرب لا يعلن انه سيحارب!!

شكل لجنة عليا برئاسته على أعلى مستوى تعمل فى سرية تامة هدفها وضع خطة للخداع والتنسيق مع الإعلام لمنع المعلومات عن العدو وخداعه... وقد كتب ايلى زعيرا مدير الستخبارات الاسرائيلية بعد محاكمته فى لجنة عليا اسمها لجنة اجرانات.. وصدر كتابه وقال فيه بالنص «لقد تبين فعلاً أن كل موضوع المعلومات والإعلام.. كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصرى أو شخص ما آخر بجانبه... فإن ذلك يعتبر أكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران».

وفى يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ تلقى د. حاتم محضر مقابلة وزير خارجية مصر د. الزيات مع كيسنجر، قال له انه لا يمكن الحديث عن الحل السلمى الا بعد الانتخابات الاسرائيلية فى أول العام.. ويقول د. حاتم ان هذا اليوم كان من أسعد أيام حياته.. فقد نجحت خطة الخداع.. فالولايات المتحدة لا معلومات لديها أن الحرب بعد ٢٤ ساعة.. وفى أثناء الحرب حدث أن اصدرت اسرائيل انذارا لجميع السفن الاجنبية فى البحر الابيض المتوجه إلى الموانىء المصرية بأنها ستوجه لها ضربات من طائراتها.

وكانت مصر لها بعض السفن متجهة إلى الاسكندرية وعليها انابيب البوتاجاز التى كانت فى حاجة اليها وكان الاحتياطى منها فى مصر لا يفى أكثر من ١٥ يوماً.. وتلقى د. حاتم هذا الانذار.. ولم يخطر الرئيس السادات الذى كان فى القيادة العسكرية. ولم ينتظر ما يقال دائمًا توجيهات الرئيس فقرر على الفور ان تعود هذه السفن إلى موانىء اليونان وتنقلها على سفن عليها أعلام أخرى وتتجه إلى بنى غازى فوراً وتنقل إلى مصر بالسيارات.

وبعد الحرب أعلن د. حاتم هذا الموضوع للشعب الذى كان على أعلى مستوى من المسئولية لأن حكومته أثناء الحرب كانت تصارحه بكل الحقائق وكانت صادقة معه فى كل بيان فشارك الشعب الحكومة فلا جرائم ولا طوابير تموين ولا أزمات.. أما الإعلام فكان هادئاً صادقًا.. لا مارشات عسكرية ولا افتعالات فى أناشيد وطنية بل نغمة هادئة حازت كل ثقة الرأى العام الداخلى والعالمى.

د. صدقى: وظيفتى الجديدة فى المجالس القومية امتداد للعمل الوطنى*

قال الدكتور عاطف صدقى المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بعد تعيينه أن الدور الذى لعبته المجالس طوال ٢٢ سنة الماضية خلال رئاسة د. محمد عبد القادر حاتم كان لها دور بارز وسوف يستعين بمختلف الدراسات التى أعدتها خاصة فى النواحى الاقتصادية. وقال إنه استفاد منها شخصيا طوال السنوات التسع

* جريدة الأخبار، بتاريخ ١٩٩٦/١/٦ .

الماضية خلال توليه رئاسة الحكومة. وقال ان الحكومة نفذت العديد من الدراسات التى اعدتها المجالس. ولم يترك د. حاتم مشكلة فى مصر إلا وضع لها حلاً.

حاتم .. ومعركة أكتوبر*

قبل أن تطلق الهند الحرب من عقالها فى ديسمبر ١٩٧١، لتفتيت الدولة الباكستانية، وإلحاق الهزيمة بقواتها المسلحة، كانت انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وقتذاك، تطوف العالم متدثرة بالسارى، الزى الوطنى التقليدى، ولا حديث لها إلا عن السلام، لكسب الانصار أو لتحييد القوى المناصرة للموقف الباكستانى على الأقل، ولو أن واحدا من القادة الذين التقت بهم تمعن فى ردائها الحريرى لاكتشف أنها تخفى بين طياته قرار الحرب.

فقبل أن تبدأ جولاتها كانت قد أتخذت قرار الحرب، وأصدرت تعليماتها للقيادة العسكرية لاستكمال التخطيط والاستعداد لبدء العمليات فى التوقيت السابق تحديده.

وفى التوقيت نفسه تقريباً كان السادات يدق طبول الحرب فى مصر، معلنا أن عام ١٩٧١، هو عام الحسم.

كان السادات يناور، ويطلق سلسلة متصلة من ستائر الدخان لامتصاص الغضب الشعبى، وكسب الوقت، وإخفاء حقيقة نياته.

وكانت الظروف قد فرضت عليه أن ينهج مثل هذا النهج، بعد أن تمكن خلال شهر مايو من عام ١٩٧١ من حسم الصراع على السلطة لصالحه. هذا الصراع الذى بدأ بعد وفاة الرئيس عبدالناصر مباشرة، ولم يتوقف إلا بعد التخلص من مجموعة الورثة الذين تصوروا أنهم الأحق بوراثة سلطة عبد الناصر، والذين عرفوا بمراكز القوى، وفى ظل هذه المستجدات التى صاحبت وسبقت وأعقبت جولة الصراع علس السلطة، كان على السادات أن يتعامل مع قضية الحرب مع إسرائيل ومبادرات السلام المطروحة فى الساحة بحذر شديد، فالرأى العام تجتاحه موجات غضب ويطالب بالحرب للثأر واستعادة الكبرياء، والطلبة يتظاهرون بتحريض من قيادة التنظيمات

* عبده مباشر: الأهرام بتاريخ ، ١٩٩٩/١٢/٥ .

اليسارية التى فجعت بالقضاء على المجموعة المناوئة للسادات، والتى كانت تمثل لها الأمل والحلم فى السيطرة الكاملة على السلطة، وبما يخدم تطلعات ومخططات كل قوى اليسار بكل ألوانه.

وكان على السادات أن يختار رجلاً يتحمل مسئولية إعداد الدولة للحرب ووضع استراتيجية للإعلام، ووقع اختياره على الدكتور محمد عبد القادر حاتم ليتحمل مسئولية رئاسة مجلس الوزراء بالنيابة عنه بالإضافة إلى مسئولية وزارة الإعلام.

وكان التكليف الأهم مواصلة إعداد الدولة للحرب بما فى ذلك وضع خطة للإعلام قبل وأثناء وبعد المعركة للقبلة.

وكان التوفيق حليفاً للسادات وهو يختار هذا الرجل لهذه المسئولية. فهو واحد من القلة بين مجموعة يوليو التى نهلت من بحار العلم والثقافة، واستظلت بالفكر الليبرالى.

ومع تعدد مسئوليات الدكتور حاتم منذ بداية حقبة يوليو إلا إنه كان حريصاً على المشاركة بقوة فى الحياة المدنية سياسيا واجتماعيا وثقافيا وارتبط بصداقات عميقة مع أهل العلم والفكر والقلم.

واكتشف الناس ان الرجل يجيد الاستماع مثلما يجيد الحوار. ويحسن طرح أفكاره وعرض وجهات نظره.

ومن خلال هذه العلاقات التى تشعبت وازدادت عمقا بالقيادات والقوى المدنية، اكتسب ثقة الجميع لسعة أفقه وسماحته وتواضعه وشخصيته الناضجة السوية واتزانه وقدرته على الإنصاف والانتصاف للحق والمنطق.

وكان اختيار الرئيس السادات للدكتور حاتم لتحمل مسئولية رئاسة مجلس الوزراء ومنصب وزير الإعلام المدخل لنجاح جديد وعظيم للرجل.

وكانت سياسة مصر الإعلامية خلال يونية ١٩٦٧ واضحة تماماً فى ذهن الرجل، كما هى فى فكر وذاكرة الرأى العام فمنذ الساعات الأولى لقرار حشد

القوات المسلحة فى سيناء فى منتصف مايو ١٩٦٧ والإعلام يتبنى سياسة الضجيج والصوت العالى مع الكثير من الاكاذيب وبلغت الأكاذيب مداها مع بدء المعركة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ والذين تابعوا أرقام الطائرات الإسرائيلية التى أعلنت البيانات العسكرية أن مصر قد تمكنت من إسقاطها، تبينوا أن القوات الجوية الإسرائيلية قد خسرت كل طائراتها وكان حاتم رافضاً ومعترضاً على هذه السياسة الإعلامية.

وعندما عرض حاتم على السادات استراتيجيته لتحقيق المفاجأة والسياسة الاعلامية التى ينصح بها أقره السادات على ما ذهب إليه، ومما ورد فى تقرير الرجل قوله: إن من يريد الحرب عليه ألا يتحدث عن نواياه وأن نبتعد تماماً عن مقولات أقوى قوة فى الشرق الأوسط.

وطالب السادات ألا يكرر مقولات عام الحسم وعام الضباب وما شابه.

وكانت سرية القرار وعناصر خطة المفاجأة هى العمود الفقرى لسياسات الرجل وبصفته رقيباً فقد منع تماماً نشر كل ما يتعارض مع الاستراتيجية التى وضعها والسياسات التى تبناها.

وعندما بدأت المعركة نهجت مصر نهجاً إعلامياً متزناً وهادئاً وموضوعيا ومنطقياً، وكان واضحاً منذ إذاعة البيان الأول أن مصر استوعبت الدرس تماماً. ولم تفقد وسائل الإعلام هذا الخط طوال فترة المعركة وما تلاها.

واستحق الدكتور حاتم هذا النجاح بخبرته وذكائه وفطنته وجاءت شهادة الآخرين تتويجاً للرجل وما صنعه من نجاح وهذه الشهادات وهذه السياسة وهذا النجاح تضمنته صفحات مضيئة **من كتاب الدكتور محمد عبد القادر حاتم الجديد الذى يحمل عنوان «المفاجأة الاستراتيجية فى حرب اكتوبر».**

وطوال السنوات الماضية وأنا أتساءل متى يكتب حاتم عن دوره الرئيسى فى معركة اكتوبر ١٩٧٣. وهاهو الرجل بعد ٢٦ عاما ينجز هذه المهمة. ومازلت انتظر من الرجل ان يدلى بشهادته كاملة عن أثر حقبة يوليو فى تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والعسكرى والاجتماعى.

أول من نادى بالتحرر الاقتصادى*

قال د. عبد القادر حاتم المشرف العام السابق على المجالس القومية المتخصصة: كنا أول من نادى بالتحرر الاقتصادى... وذكر د. حاتم ان الرئيس الراحل انور السادات قال له يوم ١٠ اكتوبر ١٩٧٣ وفى «عز» انتصارات مصر: سوف أحقق لك رغبتك فى ترك العمل التنفيذى بعد أن قمت بدور بارز فى اعداد الدولة للحرب وسوف تتولى مهمة جديدة لإعداد مصر للانطلاق نحو المستقبل. كنت وقتها رئيساً للوزراء بالنيابة عن السادات وكان يقصد رئاسة المجالس القومية المتخصصة.

حفل تكريم**

احتفل عدد من الكتاب والصحفيين والشخصيات السياسية يوم ٥ مارس بتكريم د. محمد عبد القادر حاتم الذى عمل ما يقرب من ٤٠ عاماً فى مجال الحقل السياسى والعمل العام.

حضر الحفل من الوزراء د. عاطف عبيد وزير قطاع الاعمال ود. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ود. محمد عبد الله رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب والمهندس حسب الله الكفراوى وزير الاسكان الاسبق ومصطفى كامل مراد رئيس حزب الاحرار، كما حضره عدد من الصحفيين والكتاب والفنانين.

تقليد حضارى رائع فى حفل التسليم والتسلم***

إنه من الانصاف والعدل والاشادة بانجازات وبصمات الدكتور عبدالقادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية . إن احدا لا يستطيع ان ينكر دور الدكتور حاتم فى انشاء وتأسيس هذه المجالس المتخصصة التى أصبحت دراساتها وابحاثها من أهم المراجع فى كل المجالات .

---

* جريدة الأخبار. بتاريخ ١٩٩٦/١/٢٤ .

** جريدة الشباب العربى، بتاريخ ١٩٩٦/٣/١١ .

*** جريدة اجلال دويدار : جريدة الأخبار ، بتاريخ ١٩٩٦/١/٧ .

إننا نتطلع ونأمل - فى اطار ما جاء على لسان الرئيس مبارك أن تستفيد الدولة من أعمال هذه المجالس والا يكون مصير محصلة اجتهاد وجهد اعضائها ... الاستقرار فى ادراج المسئولين عن العمل التنفيذى .

آخر فرسان يوليو*

ترك آخر فرسان ثورة يوليو منصبه فى الشهر الماضى عائدا إلى مرسمه وصومعته بعد حياة طويلة حافلة بالمهام والاعمال والانجازات .

وعبدالقادر حاتم هو فارس ثورة يوليو الوحيد الذى عمل مع الرؤساء الثلاثة جمال عبدالناصر وأنور السادات وحسنى مبارك، ورغم تشيع الذين شهدوا هذه العصور لرئيس من الثلاثة فإنه لا يذكر للدكتور حاتم أنه تشيع لرئيس دون الباقى ولا يذكر له أنه تعرض بكلمة أو عبارة ضد أى من الرؤساء انما على العكس ظل يحمل لهم كل مشاعر التقدير والاعتراف بدور كل منهم .

وقد بدأ حاتم حياته العملية مديرا لمكتب عبد الناصر عام ٥٢ فور قيام الثورة ومنذ ذلك الوقت عاش حاتم حياة حافلة ارتضى أن يقوم فيها بدور الجندى الذى يقوم بمهمته بصرف النظر عن السلاح الذى يوضع فيه حتى لو طلب اليه أن يجلس فى بيته .

وقد تميز عبدالقادر حاتم بطبيعة خاصة جعلته يقنع بكل ما يحصل عليه سواء كان المنصب الذى وصل إليه صغيرا أو كبيرا، وفى مسيرته فإنه أنشأ مصلحة الاستعلامات وأنشأ أول تليفزيون فى مصر وعهد إليه أنور السادات بأعباء الحكومة التى شكلها وتحقق نصر حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وبعد ذلك عهد اليه السادات بشئون المجالس القومية المتخصصة التى عمل مشرفا عليها منذ ذلك الوقت إلى أن خلفه أخيرا الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء المصرى السابق والذى كان من شواغل الرئيس مبارك البحث عن مكان يشغله واستشعر فيه أنه لقى تكريما خاصا من الرئيس بعد أن عمل مع الرئيس بأقصى ما يستطيع من جد واخلاص طوال ٩ سنوات .

---

* صلاح منتصر : جريدة العالم اليوم ، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٤ .

وعندما عين الدكتور حاتم مشرفا عاما على المجالس القومية المتخصصة قبل نحو ٢٢ عاما تصور البعض ان هذه المجالس عبارة عن منفى لا قيمة له، ولكن الدكتور حاتم استطاع ان يحولها إلى مجالس من الخبرات والكفايات التى خدمت مصر طويلا ثم حررها من أعباء الوظائف الرسمية ـ تطوعت دون مقابل مادى لتقول كلمتها فى حل مشكلات مصر وتقديم النصيحة خالصة لوجه الله والوطن .

وبهذا المفهوم ناقشت المجالس القومية كل تفاصيل مشكلات مصر ووضعت توصيات لحلولها بحيث يمكن القول إنها لم تترك جزئية واحدة بدون بحث .. وقد كان من عادة د . حاتم أن يعقد المجلس لمدة ساعتين بدون دقيقة واحدة مضافه . وفى خلال السنوات الطويلة كون حاتم من هذه المجالس كتيبة حب مخلصة من أجل مصر.. لقد أحب حاتم بلده باخلاص وأحبه كل الذين عرفوه فى أى موقع لنزاهته واخلاصه وقناعته .

القيادة بالحب*

رجل آخر استطاع ان ينفذ إلى قلوب العاملين فى الصحافة والإعلام. واحبه الصحفيون والإعلاميون وكان له فى نفوسهم مكان ومكانة . هذا الرجل هو الدكتور عبدالقادر حاتم. فقد كان صديقا واخا وابا واستاذا لكل من عملوا معه أو عرفوه فى بلاط صاحبة الجلالة ومبنى ماسبيرو والشريفين وهيئة الاستعلامات ووزارة الارشاد القومى والاعلام والثقافة، ورئاسة الحكومة وهو نائب أول رئيس الوزراء . كما كان صاحب الفضل فى انشاء مبنى ماسبيرو العملاق الذى بدأ ارسالنا التليفزيونى وعمق ارسالنا الاذاعى ، ومهد لانطلاقة الإعلام ودخوله عالم الاقمار الصناعية والفضاء وانفتاحه على العالم. كان ايضا صاحب الفضل فى انشاء المجالس القومية المتخصصة التى استطاعت ان تسهم بدراسات قيمة وتقارير هامة ومناقشات مفيدة فى مختلف مجالات العمل الوطنى . فأغنت وأثرت بفكرها وادائها ومقترحاتها .

* أحمد الجندى : يوميات الأخبار ، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٤ .

إن القيادة الناجحة هى التى تقود بالحب . وعندما تترك موقعها تجد لها مواقع كثيرة فى قلوب الناس .. مواقع دائمة لا تزول مع المنصب لأنها كانت ولم تكن بقرار. تحية لهذا الرجل .. الدكتور عبد القادر حاتم .

سر اذاعة أم كلثوم*

خمسون عاما فى السياسة .. هذه هى حصيلة دكتور عبدالقادر حاتم عندما ترك عمله الاخير كمشرف عام على المجالس القومية المتخصصة .. وعشرون وزيراً أو مسئولا وزاريا بينهم الدكتور الجنزورى تخرجوا فى مدرسة المجالس القومية منذ انشائها حتى الآن .

كانت أخر مهمة وزارية قام بها د. حاتم منصب نائب أول لرئيس الوزراء عام ٧٣ وتقديم خطة اعداد الدولة للحرب والتمويه السياسى والعسكرى المطلوب. وهى الخطة التى اعتمدها الرئيس أنور السادات وركزت على ابراز حالة الاسترخاء والاضطراب فى الجبهة الداخلية حتى لا تتصور اسرائيل ان مصر مقبلة على شن الحرب .. بعد الحرب انتقل للمجالس القومية التى ضمت حشدا هائلا من الخبرات فى مختلف المجالات وكانت تقدم التقارير الدورية لرئيس الجمهورية .

من أوراق الدكتور حاتم القديمة قصة انشاء إذاعة أم كلثوم وقصة انشاء هيئة الاستعلامات وقصة انشاء التليفزيون .

القصة الأولى والتى ظلت أم كلثوم تبحث عن سرها طيلة حياتها بدأت حين كان حاتم مسئولا عن الإعلام فى مكتب جمال عبد الناصر قبيل جلاء الانجليز .

اقترح حاتم على عبد الناصر انشاء إذاعة سرية اختار لها موقعا فى صحراء منشية البكرى، وقال: «سوف تكون المهمة التحريض ضد القوات البريطانية فى القناة.. بعيدا عن الاذاعة الرسمية».

بحث الانجليز عن المحطة فلم يصلوا لها ، سألته أم كلثوم والتى كانت أغانيها تحتل المحطة إلى جوار نداءات التحريض فلم يجبها : قال «لا أعرف».

---

* جريدة العربى، بتاريخ ١٩٩٦/١/٢٢ .

وانتهت قصة الانجليز واستمرت اذاعة أم كلثوم كما عرفها الناس .. اذاعة مجهولة لا يعرف سرها غير قليلين .

السؤال : هل يكتب حاتم مذكراته؟

مظاهرة حب*

فى جو مفعم بروح الوفاء والاخلاص والحب .. احتفلت مجموعة كبيرة من كبار الصحفيين والكتاب ونخبة من الإعلاميين والوزراء ورجال السياحة والسينما والمسرح بالدكتور عبدالقادر حاتم.. تكريما لرحلة عطائه الطويلة وبصماته فى مجالات الإعلام والثقافة والسياحة والسياسة وذلك فى حفل اقيم فى فندق شيراتون الجزيرة .

التف الجميع حول د. حاتم وشاهدوا شريط فيديو كليب يصور بعض انجازاته المشرفة فى التليفزيون فى مصر وسوريا، وانقاذ آثار ابى سنبل والنهضة المسرحية التليفزيونية التى كان خلفها ..

واليوم يحتفل أعضاء المجالس القومية بتكريم د. حاتم فى حفل شاى وكان عدد من الوزراء قد قاموا بتكريمه فى حفل أقيم بنادى التحرير .

وفى الصورة دكتور عبدالقادر حاتم امام تورته على شكل كتاب تمثل دوره بالنسبة للثقافة فى مصر وإلى جواره دكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم .

كلمات**

عشنا زمنا ماضيا طويلا نحتفل بالقادمين الجدد، وننسى الخارجين القدامى . فمن ذا الذى كان يجاهر بزيارة أو مجاملة شخص خرج من السلطة، ومن ذا الذى كان لا يبادر بتهنئة القادم الجديد واعلان الحب والتقدير والاحترام له. الآن أصبحنا نشعر بقدر كاف من الجرأة والحكمة عند تكريمنا لشخص خرج من السلطة. وأصبح مجردا

* جريدة أخبار اليوم، بتاريخ ١٩٩٦/٣/٩ .
* محمود عبد المنعم مراد : جريدة الأخبار ، بتاريخ ١٩٩٦/٣/٨ .

من الابهة والنفوذ .. الخ . مر على عقلى هذا الخاطر عندما تلقيت بالأمس دعوة من السيد الدكتور أحمد عبادة سرحان لحضور حفل شاى سيقيمه تكريما لرجل أحببناه واحترمناه وبادرنا جميعا إلى الاعتراف بفضله على الكثيرين من الناس. وأعنى به السيد الدكتور محمد عبدالقادر حاتم الذى ترك موقعه مشرفا عاما على المجالس القومية المتخصصة . ليتولاه السيد الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء السابق. وكنا قد شهدنا قبل ذلك أكثر من حفل تكريم للدكتور حاتم. منها ذلك الحفل الذى اقيم وحضرته مجموعة من كبار رجال الدولة والوزراء السابقين وأساتذة الإعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون، وكبار رجال السياحة والفندقة والسينما والمسرح. كلها مجالات ساهم الدكتور حاتم بنصيب فى انشائها أو دعمها أو تطويرها . فهو الذى أنشأ كثيرا من الفنادق متنبأ فى وقت مبكر بأهمية السياحة فى بلادنا وحاجتنا إلى توفير الأماكن اللازمة لإقامة آلاف السائحين الذين يزورون مصر، والذين سوف يتكاثرون بمضى الاعوام . وهو ما تحقق بالفعل. وكرمه الإعلاميون ، لأنهم لا ينسون فضله ورعايته للإعلام بكل فروعه .. وخاصة أنه هو الذى أنشأ التليفزيون المصرى عام ١٩٦٠ . كما أنشأ بعد ذلك تليفزيون سوريا الشقيقة أيام الوحدة بين القطرين وهو الذى أحاط السينما برعايته واهتمامه وهكذا بادر الكثيرون من قيادات هذه الفنون إلى حضور الحفل مرحبين به ومعترفين بأياديه البيضاء .

أما رجالات مصر من أعضاء المجالس القومية المتخصصة . فقد حرص الكثيرون منهم على حضور أكبر حفل تكريم له. معترفين بفضل رجل ترك موقعه العام ، ولكنه لم يبرح خواطرهم وعقولهم بل ظل جديرا بأن يذكره الناس بالخير، لا لشىء إلا لأنه كان صاحب قلب كبير وعقل خبير ونفس راضية شابة رغم كثرة التجارب وتعدد المسئوليات . ان هذا كله يعيد الينا ثقتنا بأنفسنا وإيماننا بأننا ندخل بالفعل عالما جديدا من الصراحة والاعتراف بفضل الذين خدموا مصر وأحبوا أبناءها وبذلوا الجهد المشكور لنهضتها ورقيها ورفع مستوى المعيشة فيها، وحسنا فعل السيد الرئيس حسنى مبارك عندما استقبل الدكتور حاتم وحياه واثنى عليه تكريما واعترافا بالجهد المشكور الذى اداه .

وكم يود المرء أن يسعد دائما بحرص الناس على الاعتراف بفضل الذين يؤدون خدمات خاصة للوطن العزيز . ولا يكتفون بتحية وتكريم القادمين الجدد. قبل أن يتيسر لهم الحكم على ما سيفعله القادمون ، أما المحاربون القدماء ، من عسكريين ومدنيين ، فهم أولى بالتكريم والاعتراف بالفضل دون أية مجاملة أو نفاق .

دقوا المزاهر*

إنطلقت سيارة «دقوا المزاهر» لتلحق بأحلى مناسبة تتجلى فيها علامات الوفاء والحب وفى قاعة رحاب بفندق شيراتون الجزيرة كان هذا الجمع الحاشد من كبار نجوم السياسة والإعلام والفن والصحافة والادب. الذين جمعهم الحب والاعتراف بالجميل للرجل العظيم الدكتور عبدالقادر حاتم الذى كان له الفضل فى انشاء التليفزيون المصرى الذى ولد عملاقا على يديه .. واجتمع هؤلاء على راى واحد دون سابق ترتيب ... وهو ضرورة الاحتفال بهذا الرجل العظيم الذى يترك موقعه فى المجالس القومية المتخصصة بعد أن أدى رسالته كاملة وقام بوضع أسس هذا الصرح العظيم الذى جمع صفوة العقول المفكرة وكبار العلماء والمفكرين فى مصر والذين اعطوا بسخاء لمناصبهم ومازالوا يعطون بعد تركهم لمواقعهم .

ويشهد الجميع بأن الدكتور عبدالقادر حاتم صاحب قلب مفتوح وعقل واع، كان لا يبخل طوال عمله بتقديم العون والفرصة لمن يستحقها.. وولد على يديه معظم النجوم الذين ملأوا حياتنا فنا وبهجة .

وأمام التورتة الضخمة التى صممت على شكل مبنى التليفزيون دمعت عينا الدكتور حاتم أمام هذه المفاجئة الجميلة التى أعدها محبوه وأصدقاءه ودعمتها إدارة فندق الشيراتون التى لم تبخل على هذا الاحتفال الكبير برجل عظيم .

---

* رمسيس : مجلة سيداتى وسادتى ، بتاريخ ١١/٤/١٩٩٦ .

تحية واجبة*

أشاد الدكتور عاطف صدقى المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة فى أول جلسة إجراءات للمجالس ، بما أنجزه د. عبدالقادر حاتم المشرف العام السابق على المجالس . قال د. صدقى إن د. حاتم لم يدع مشكلة فى مصر ، إلا بحثها ووضع لها الحلول، وأن فى أدراج المجالس حلولا جاهزة لمختلف مشكلات مصر تنتظر التنفيذ .

لمسة وفاء وتقدير*

على مدى ٤ اجتماعات متتابعة للمجالس القومية المتخصصة وفى جلسات إجرائية بعد صدور القرار الجمهورى بإعادة تشكيل المجالس ، حرص الدكتور عاطف صدقى المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة أن يستهل كلمته فى بداية كل اجتماع بالتنويه بالدور الكبير الذى قام به الدكتور عبدالقادر حاتم خلال اشرافه على المجالس القومية.

وأشاد بالانجازات التى قام بها بمشاركة علماء مصر من دراسات وبحوث .

وأكد الدكتور صدقى انه كان يتابع التقارير والدراسات المهمة التى قدمت حلولا علمية وعملية للكثير من القضايا .

وقد وافق أعضاء المجالس القومية الأربعة على تأييد ما اقترحه الدكتور صدقى فى ان يعبر باسمهم جميعا للدكتور عبد القادر حاتم من مشاعر التقدير لما بذله من جهد صادق فى خدمة الوطن .

---

* جريدة الوفد ، بتاريخ ١٩٩٦/٥/١٤ .
* الاهرام المسائى ، بتاريخ ١٩٩٦/٥/١٤ .

الإعلام فى حرب السويس *

أستضافت هيئة الإذاعة البريطانية (ب،ب،سى) الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة سابقا وسير انطونى ناتنج وزير الخارجية البريطانية الأسبق فى حوار نصف ساعة على الهواء مباشرة، بمناسبة مرور ٤٠ عاما على حرب السويس.

أجرت الإذاعة حوارها مع د. حاتم بإعتباره كان مسئولا عن الإعلام المصرى إبان مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر.. التى أعترف أطرافها بأن الإعلام المصرى هزمهم ونجح فى تهيئة الرأى العام العالمى بحق مصر فى تأميم القناة وكشف أبعاد المؤامرة رغم وجود ١١ محطة إذاعة سرية موجهة ضد مصر.

المعروف أن الوزير البريطانى سير انطونى استقال احتجاجا على هذا العدوان.

فى ذكرى مرور ٤٠ عاما على العدوان الثلاثى**

مضى أربعون عاما على حرب ١٩٥٦ ـ كانت الإمبراطورية البريطانية العظمى.. هكذا كان أسمها قبل حرب السويس ١٩٥٦ فأصبحت بعد الحرب المملكة المتحدة.. وهكذا ضاعت الإمبراطورية التى كانت لا تغيب الشمس عنها.

---

* نادية السيد: جريدة الجمهورية ١٩٩٦/٥/٢٠.

** جريدة مايو، بتاريخ ١٩٩٦/٥/١٤.

هذا ما قاله د. حاتم فى مناقشة على القمر الصناعى بينه وبين ٩ من كبار البريطانيين بينهم السيد انطونى ناتنج وزير الدولة الذى استقال احتجاجا على مهاجمة مصر ومعه ٣ قواد بريطانيين، كما شارك كبار الصحفيين وأيضا كان فى المناقشة عدد من كبار ساسة فرنسا .. **ويشرح د. حاتم الأوضاع:**

الموقف العام: قامت ثورة ٢٣ يوليو ومصر والسودان والبلاد العربية والإفريقية محتله.. وقعت مصر اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤.. وتم جلاء القوات البريطانية بعد إحتلال طويل منذ عام ١٨٨٢ - مصر تطالب شركة قناة السويس بحقوق مشروعه والشركة ترفض معتقده إنها دولة داخل الدولة - مصر تطلب سلاح من الولايات المتحدة بعد هجوم اسرائيل على غزة فى فبراير ١٩٥٥ - وترفض الولايات المتحدة - مصر تتجه لشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا - مصر تتجه الى باندونج ومؤتمر دول عدم الإنحياز - مصر تنادى بإستقلال الشعوب العربية والإفريقية من اذاعتها - مصر تساعد ثورة الجزائر ضد فرنسا - مصر تطلب من الغرب مساعدتها لإقامة مشروع السد العالى - يرفض البنك الدولى مساعدة مصر.

مصر تعلن فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تأميم شركة قناة السويس وتعلن تعويض المساهمين وتضمن حرية الملاحة فى قناة السويس - مستندة الى معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ وإن القناة مصرية فى أرض مصرية - بدأت معارك سياسية بين مصر وفرنسا وانجلترا - ثم الهجوم من دول العدوان الثلاثى اسرائيل - انجلترا - فرنسا - الإعلام المصرى يشرح القضية للرأى العام العالمى والعربى والداخلى - ونجح فى تأدية دوره الوطنى.

خلاصة الموقف السياسى: المصريون مصممون على التخلص من الإستعمار - فرنسا مصممة على ابقاء سيطرتها على القناة - المملكة المتحدة مصممة على العودة الى احتلال مصر - الولايات المتحدة تريد استبعاد فرنسا والمملكة المتحدة من الشرق الأوسط والحلول محلها - الإتحاد السوفيتى يريد استبعاد كل الغربيين من المنطقة والوصول إلى البحار الدافئة لنشر نفوذة - مصر تصر دائما على أن شركة قناة السويس شركة مصرية وأن القناة لمصر وليست مصر القناة - هناك تآمر استعمارى يريد نشر نفوذه فى الشرق الأوسط.

ذكريات عن دور الإعلام: لقد بدأنا نشرح للشعب العربى حقيقة الصهيونية وأصدرنا مجموعات من الكتب المبسطة التى كشفت القناع عن هذه الحركة لأول مرة أمام أعين الشعب العربى بطريقة علمية.

وبدأت الصحافة والإذاعة تسيران فى نفس الخط وانتشرت فى العالم العربى كله حقائق كانت مجهولة عن الحركة الصهيونية.

ومازلت أذكر أننا اجرينا حصرا للصحافة الصهيونية فى العالم فى ذلك الوقت فوجدناها تمتد فوق القارات الخمس، وبمختلف لغات العالم وكانت حركة الصهيونية تملك أكثر من خمسمائه جريدة ومجلة أو تسيطر عليها الى جانب محطات الإذاعة والتليفزيون وشركات السينما.

وكان من الواضح فى عام ١٩٥٦ أن إسرائيل دبرت عدوانها على مصر بعد الإتفاق مع بريطانيا وفرنسا اللتين لم تلبثا أن تدخلتا تدخلا عسكريا سريعا كان مدبرا من قبل للانقضاض على مصر، وكانت بريطانيا تهدف من ذلك إلى القضاء على الثورة المصرية التى الهبت المشاعر الوطنية فى العالم العربى كله وجعلته يثور على الإستعمار البريطانى ويهدد مصالحه.

وكانت فرنسا فى ذلك الوقت تحاول القضاء على ثورة الجزائر، وأدركت أن ثورة مصر هى مصدر الإلهام لثورة الجزائر وهى السند لها، فأرادت أن تحطم ثورة مصر حتى يسهل عليها تحطيم ثورة الجزائر.

إذا كان الإعلام فى الظروف العادية يحتاج الى يقظة بالغة فى معالجة المشكلات ومواجهة الصعوبات فإنه فى حرب السويس كان أكثر يقظة، لأن خطأ واحدا كان كفيلا بأن يفسد خطة إعلامية كاملة.

وقد قام المخطط الإعلامى الذى أعددناه على أسس ودعائم لا خلاف عليها، وهى:

أولا: الحرص على صلابة الجبهة الداخلية.

ثانيا: محاولة تحطيم نفسية العدو.

ثالثا: كسب الرأى العام العالمى، ومداومة الإتصال به فى كل مناسبة.

وحتى يمكن تنفيذ هذا المخطط بدقة وكفاءة كان لابد أن تكون أجهزة الإعلام المنفذة فى غاية الكفاءة والمقدرة وخاصة فيما يتعلق بالتوقيت.. ذلك أن التوقيت فى العمل الإعلامى يعتبر أثمن عنصر وهو لا يقل أهمية عن توقيت المعارك العسكرية ومسايرة خططها اثناء التنفيذ بالتعديل أو التغير أو الإستمرار وفق ظروف سير المعركة.

لذلك كان الإعلام يسير وفق خطط محدده على النحو التالى:

أولا: خطط طويلة المدى.

ثانيا: خطط قصيرة المدى.

ثالثا: خطط وقتية لمواجهة مواقف طارئة.

ولم تكن هناك عمليات إثارة فى الصحافة المصرية، بل أنها سلكت طريق سرد الحقائق المجردة مع تبريرها تبريرا منطقيا واقعيا.. فعندما انسحبت القوات المصرية من سيناء وبدأت مقدمات الغزو الأجنبى لبورسعيد تتضح، لم تخف الصحف هذا النبأ الخطير، بل انها نشرته وحللت عمليات الإنسحاب وشبهتها بعملية، دنكرك الشهيرة فى الحرب العالمية الثانية التى تعتبر نموذجا فى العلوم الإستراتيجية العسكرية.

وقد قدمنا للصحافة كل التسهيلات التى تمكنها من أداء رسالتها على الوجه الأكمل.. ولم تكن فى حاجة الى توجيهات متكررة أو إصدار تعليمات أو حتى فرض رقابة صارمة عليها.. بل على العكس من ذلك تحقق الإنسجام والتآلف بين جهاز الاعلام الرسمى وبين صحافة مصر التى أصبحت فى لحظة خلية واحدة مخلصة وفية لمبادى الوطن وأمنه.

ولقد وضعنا كل الأخبار والصور تحت يد الصحافة، بل أننا وضعنا جبهة القتال نفسها تحت انظار الصحفيين الذين مارسوا عملهم فى بورسعيد والسويس والإسماعيلية.

ولم يكن كل جهدنا منصرفا الى الصحافة المصرية، بل أننا وجهنا جهدا أكبر نحو الصحافة العربية والصحافة الأجنبية، وكان مراسلو الصحافة العربية والأجنبية على صلة دائمة بجهاز الإعلام المصرى، وقد وجدوا منه السند الأول فى عملهم الصحفى أو فى أعمالهم المتصلة بالصحافة كالإذاعة والتليفزيون.

وبينما كان العدو يكذب ويشوه الحقائق كان جهاز الإعلام المصرى يقدم الأخبار الصادقة والصور الفوتوغرافية للصحافة العالمية لتقف على حقيقة العدوان.

ولقد لعبت الإذاعة دورا كبيرا فى المعركة ونظرا لأن صوت الإنسان يكسب الحجة حياة ويقوى العقيدة ويزيد من حماس الجماهير ويقدمها بالحجة والمنطق. فقد لعبت الإذاعة دورا مهما فى المعركة.

وبالنظر الى أن سرعة الرد على الأعداء، وتلهف الشعب لمعرفة أخبار بلادهم ومتابعة ما يجرى فى العالم مسألة إعلامية مهمة، فقد قامت الإذاعة بدورها وكسبت معركة الثقة، بما كانت تبثه من أخبار أولا بأول عن تطورات الموقف.

كما أستجاب المؤلفون والملحنون والمطربون سريعا للأحداث وتحولت كلمات الكفاح الى أغنيات حماسية رددتها الجماهير، وكان أثر هذه الأغنيات والأناشيد عظيما فى إثارة حماس الناس وجمع شملهم فى العالم العربى كله.

كذلك كان استخدام اللغة المناسبة فى الإذاعة المصرية وفى الإذاعات الموجهة إحدى الوسائل المهمة التى استخدمتها أجهزة الإعلام.

فمثلا كانت اللغة العربية المبسطة هى التى استخدمت فى داخل مصر بينما استخدمت فى اذاعة صوت العرب اللغة العربية الفصحى، أما الإذاعات الموجهة فقد استخدمت أكثر من ٣٠ لغة أجنبية خصوصا للبلاد الافريقية والأسيوية من سواحيلى الى أوردى... الخ.

ومع ذلك كانت اللغة التى يخاطب جهاز الإعلام المصرى بها الجماهير سواء فى خارج مصر أو فى داخلها هى لغة واحدة بمعنى لغة الحقائق حيث أننا لم نأخذ اطلاقا بأسلوب الإستهلاك المحلى والإستهلاك الخارجى.

خلاصة القول أنه بالنسبة للإعلام فى مواجهة العدوان الثلاثى فإننى اعتقد أن العبارة التى قالها بن جوريون عام ١٩٥٦ لقد هَزَمَنَا الإعلام المصرى.. توضح بجلاء مدى فعالية الدور الذى قام به الإعلام فى معركة العدوان الثلاثى.

لقد اتبع الإعلام المصرى الأسلوب العلمى فى مخاطبة الرأى العام العالمى بالحرص على تحرى الدقة والصدق فى نشر الحقائق ودحض أكاذيب الدول المعتدية، يكفى أن تعلم أنه كانت هناك إحدى عشرة محطة إذاعة سرية تذيع البرامج والأخبار المليئة بالإفتراءات ضد مصر. فكان جهاز الإعلام المصرى يذيع الأكاذيب التى كانت تذكرها تلك المحطات ويكشف مدى زيفها والحقائق الدامغة عنها.. الى جانب أن الإذاعة المصرية لم تتوقف عن الإعلان عن تطورات الموقف الحقيقية أولا بأول.. وأذكر أيضا أسلوبا إعلاميا لجأنا إليه فى هذه الفترة وهو أصدار مجموعة من المطبوعات باللغات المختلفة تضم وثائق تاريخية عن قناة السويس وكلها تؤكد بالاسانيد القانونية حق مصر الواضح فى ملكية القناة وبالطبع حقها فى التأميم.

ولقد عملنا على التخطيط لتنمية الإذاعة وتطويرها.. فتم انشاء ٣ محطات اذاعية جديدة هى إذاعة القرآن الكريم وإذاعة صوت العرب وإذاعة الشرق الأوسط الى جانب الإذاعات الموجهة التى كان لها دور رئيسى فى تأييد حقوق الشعوب العربية والإفريقية فى التحرر من الإستعمار وكشف أساليبه وأطماعه.

كما أنشأنا وكالة أنباء الشرق الأوسط. وكانت أول وكالة أنباء وطنية كتعبير عن استقلال ارادتنا، ولكسر الإحتكار الأجنبى فى هذا المجال الإعلامى الحيوى ولقضايانا الوطنية.

دراسة التجربة: وفى مفكرة الدكتور حاتم ايضا عن حرب السويس سطور عن أهمية دراسة تجربة اعلام ١٩٥٦ لسببين رئيسيين:

١ - أمر حيوى من أجل مستقبل مصر لأن ما يحدث للقناة أو حولها وما يؤثر على أمنها واستمرارها وتطورها سيستمر هذا الموضوع لأن التجارة العالمية تنمو حاليا ومستقبلا وأن البترول فى هذه المنطقة له أهمية كبرى لدول العالم.

٢ - إنها تجربة إعلامية ناجحة وقف فيها الإعلام المصرى ضد إعلام ثلاث دول اسرائيل وفرنسا وانجلترا - أعلن بن جوريون بعد انتهاء العدوان وانسحاب الدول الثلاث من الأراضى المصرية.. لقد انتصر علينا الإعلام - وأعلن ايدن.. لقد أنفقنا ٢٥ مليون استرلينى على الدعاية البريطانية ولكن للأسف انهزمنا أمام الإعلام المصرى.

ويقول الدكتور حاتم إن الخطوات التى اتبعها الإعلام المصرى:

١ ـ الإلتزام بالصدق والموضوعيه وسرعة الرد.

٢ ـ وكان أمامه ١١ محطة سرية معادية لتشتيت الرأى العام المصرى وتأليب الرأى العام العالمى ضد مصر.

٣ ـ أقام الإنجليز محطة إذاعة الشرق الأدنى في قبرص ـ ولكن أمكن للإعلام المصرى أن يصفى هذه المحطة وأغلقت بعد أن أعلنت إذاعة القاهرة أن أى عربى يعمل فى هذه المحطة فهو من أعداء الأمة العربية، وأن إذاعة مصر تفتح ابوابها لكل المذيعين العرب بها فانسحب المذيعون العرب وانضموا لإذاعة مصر.

٤ ـ كشف الإعلام المصرى التواطؤ الذى حدث سرا بين ايدن وجى موليه وبن جوريون على أساس خطة عدوانيه ضد مصر، والخطة هى أن اسرائيل تهاجم مصر عبر سيناء وأن فرنسا وبريطانيا بعد أن تتيح للقوات الإسرائيلية الوقت الكافى لاستيلاء اسرائيل على سيناء ستوجهان أمرا الى الجانبين لسحب قواتهما من قناة السويس للسماح لقوة بريطانية فرنسية أن تتدخل وتحتل القناة بزعم انقاذها من التدمير بسبب القتال ـ وهكذا تتمكن الدولتان من الإدعاء بأنهما إنما يفصلان بين المتحاربين، ويطفئان نارا خطيرة ـ بينما يسيطران فى حقيقة الأمر على الممر المائى بأكلمة وعلى ميناءيه من الطرفين بورسعيد والسويس.

٥ ـ كشف الإعلام المصرى هذا التواطؤ وخصوصا أن الرأى العام العالمى كله كشف أسلوب فرنسا وانجلترا بأنهما منحازتان وليستا كما يدعيان لا يوجد اتفاق مسبق بينهما ـ وهذا التواطؤ خداع وغش ـ وعمل ضد ميثاق الأمم المتحدة.

٦ ـ بعد تأميم شركة قناة السويس كانت دول العدوان الثلاثى تكسب وقتا للاستعداد الحربى وبالتظاهر بالمفاوضات السلمية كما إن مصر كانت تكسب بأن يقوم الإعلام المصرى بشرح القضية للإعلام وكسب الرأى العام العالمى تحسبا لأى هجوم من الدول الثلاثة.

٧ـ كان هناك خطة إعلامية لمصر قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة واعتمد الإعلام المصرى (مصلحة الإستعلامات) على تخطيط علمى إعلامى.

٨ ـ كانت هناك مؤتمرات صحفية تعقد يوميا لشرح الموقف المصرى.

٩ ـ كانت الاف المطبوعات والصور عن الهجوم الثلاثى على مصر وضرب المدنيين والمساجد والكنائس.. توزع على جميع وسائل الإعلام.

١٠ ـ استخدمت أناشيد وطنية حماسية رفيعة بلا تشنج ولا عصبية.. كما استخدم نشيد الله أكبر فوق كيد المعتدى.

١١ ـ لما سحبت الدول الغربية المرشدين من شركة قناة السويس بعد تأميمها أعلنت مصر عن حاجتها لمرشدين ولكن لم ينشر الإعلان إلا فى صحيفة واحدة بريطانية هى المانشستر جارديان حيث رفضت الصحافة الفرنسية والإنجليزية نشر الإعلان واستثمر الإعلام المصرى الموقف ضد أجهزة الإعلام الإستعمارية.

١٢ ـ أعلنت أجهزة الإعلام المصرى أن اتفاقية القسطنطينية تتضمن حرية الملاحة وليس وضعا دوليا.. وان المادة ١٦ تقر بأن الشركة مصرية تخضع للقوانين المصرية.. أن التأميم لشركة مصرية هو عمل من أعمال السيادة ـ وان محاولة الدول الإستعمارية اقامة لجنة دولية لإدارة القناة ما هو إلا استعمار جماعى.. وإذا كانت الدول الاستعمارية تزعم بأن موقفها قوى وعادل فلماذا الحصار الإقتصادى والتهديدات العسكرية ضد مصر.. إن التأميم لم يؤثر على حرية الملاحة.. ان مصر لا تحضر أى مؤتمر دولى يؤثر على سيادتها.

١٣ ـ استثمر الإعلام المصرى جيدا ـ استقالة انطونى ناتنج الوزير البريطانى احتجاجا على سياسة رئيس الوزراء البريطانى.

١٤ ـ قام الإعلام المصرى بتحليل علمى للرأى العام العالمى فى كل دولة مبينا المعارضين للإعتداء على مصر ـ القوى المؤثرة فى الرأى العام الداخلى ـ الطوائف الإسلامية ـ الجاليات العربية ـ أحزاب المعارضة فى الدول المعتدية الثلاثة ـ ارسال الوفود المصرية التى قامت بشرح الموقف لدول العالم.

١٥ ـ أنشأنا وكالة أنباء الشرق الأوسط وذلك قبل العدوان لتقف أمام الوكالات العالمية.

١٦ ـ قام جهاز الإعلام المصرى بكشف كل أكاذيب العدو وكان الرد سريعا.

١٧ ـ لم يخف الإعلام المصرى شيئا عن الرأى العام المصرى فقد أنشأ برنامج أكاذيب وحقائق يوميا ليذيع كل ما تذيعه محطات الأعداء ويرد عليها بالحقائق.

١٨ ـ كان الإعلام المصرى يستخدم اسلوبا واحدا فى إعلامه فلم يكن هناك استهلاك خارجى واستهلاك محلى.

١٩ ـ حاولت دعاية الأعداء استخدام النكت ضد مصر ولكن فضح جهاز الإعلام هذه النكت بأنها ليست مصرية.

٢٠ ـ أنشأت مصلحة الإستعلامات معهدا علميا للرأى العام وكذا معهدا لتدريب رجال الإعلام بها ولذلك نجح جهاز الإعلام المصرى بواسطة خطته ورجاله الأكفاء والتنظيم الجيد.

٢١ ـ فى جلسة الجمعية العامة الفرنسية أثناء العدوان كذب جى موليه وقال إن القوات الفرنسية دخلت الإسماعيلية ـ وطلب من الجميع الهتاف، تحيا فرنسا ولكن أمكننا ارسال المسيو داردو رئيس الوكالة الفرنسية فى مصر الى الإسماعيلية فورا ليقول من هناك ان جى موليه كذاب لأنه لم ير العلم الفرنسى أو أى جندى فرنسى مما عاد على جى موليه بالخزى والعار.

٢٢ ـ الرد على مندوب انجلترا فى الأمم المتحدة.. فورا.. حينما قال فى مجلس الأمن.. لماذا تناقشون القضية الآن وتطلبون منا الإنسحاب؟ أن حكومة مصر أعلنت الآن أنها اعلنت الإستسلام.. وكان المستشار الإعلامى المصرى فى نيويورك على الخط التليفونى مع مصر فكذبنا الخبر فورا، وأعلنه قائلا اننى اتصلت بحكومتى وأخبرتها بما أعلنه مندوب انجلترا.. فقال أن هذا كذب وهذا يدل على يقظة جهاز الإعلام المصرى.

٢٣ ـ المصور العالمى اندرسون الهولندى المحايد ـ الذى نقل الصور عن بورسعيد للقاهرة عبر قبرص ـ وبها هدم المساجد والكنائس والجرحى من الشيوخ والأطفال والنساء تم طبع مجلة Scribe المصرية وكلها صور تحت عنوان: نتيجة العدوان الثلاثى على مصر ـ وارسالها الى زعيم المعارضة البريطانى جيتسكل فى مجلس العموم.

٢٤ ـ رفع شعار ارفعوا أيديكم عن مصر وتم طبعه على ملصقات.. فى كل بلاد العالم من الصين حتى الولايات المتحدة وكل دول عدم الإنحياز.. وتنظيم المظاهرات ضد العدوان الثلاثى.

٢٥ ـ حينما نزلت القوات المعتدية على بورسعيد ـ لم تخفه الإذاعة المصرية بل إذاعته بطريقة صادقة وعلمية وهو خبر نزول القوات ومقاومة الشعب المصرى لهذه القوات.

٢٦ ـ حينما ضرب العدو محطة ارسال صوت العرب قام جهاز الإعلام بتجهيز اذاعة فورا بدلها، والإيحاء لإذاعات الدول العربية بأن تقول انها اذاعة صوت العرب كذلك تم عمل اذاعات سلكية فى الميادين لإذاعة الأناشيد والبيانات العسكرية.

٢٧ ـ كانت هناك لأول مرة فى مصر قوافل للإستعلامات تذهب إلى كل قرى مصر وبها المواد الإعلامية لتوعية المواطنين.

٢٨ ـ نشطت الإذاعات الموجهة المصرية بكل اللغات وعددها ٣٤ لغة فى شرح العدوان الثلاثى على مصر.

٢٩ ـ لم تستخدم الإذاعة وجهاز الإعلام أى شتائم ضد دول العدوان.. بل وكان جهاز الإعلام يقول بأن الإستعمار يريد أن يعود ولن يسمح له شعب مصر ابدا بأن يعود.

٣٠ ـ كان هناك جهاز لتحليل كل الدعاية المضادة والإشاعات المضادة.. ويقوم بالرد الموضوعى عليها بموضوعية وسرعة.

٣١ ـ استغل جهاز الإعلام المصرى انسحاب دول العدوان وانهيار الإمبراطورية البريطانية التى كان يقال عنها انها لن تغيب عنها الشمس.. وكذلك سقوط جى موليه وبن جوريون على أساس أن هذا نصر للعرب جميعا فارتفعت هيبة مصر أمام الغرب جميعا.

٣٢ ـ كان جهاز الإعلام المصرى طوال المعركة وبعد المعركة يجمع كل الشعب المصرى والعربى ليكون الكل فى وحدة تامة من أجل استعادة حقوق العرب ووحدة العرب.

من أجل ذلك كله ومن أجل مصر يجب أن تعتمد مصر ذاتيا على قوتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا معتمدة على سلاحين أساسيين القوات المسلحة القوية وسلاح الإعلام الكفء وقبل هذا وبعد هذا.. على الإيمان بالله وجهد وولاء ابناء مصر لمصر.

جلسة ذكريات*

رغم مرور حوالى الأربعين عاما على العدوان الثلاثى الذى شنته كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر، فى عام ١٩٥٦، فإن الزمن لا يمكنه أن يمحو دلالات هذا العدوان، أو يخفف من الدروس والعبر التى يمكن استخلاصها منه، فهناك من يعتبر، وعن حق، أن هذا العدوان كان التحدى الجدى الأكبر الذى واجهه الرئيس التاريخى جمال عبد الناصر، وأن تعامله مع هذا العدوان، هو الذى فتح أمامه بوابة الزعامة العربية مما اعطى القومية العربية اندفاعتها الكبرى ومهد لقيام الجمهورية العربية المتحدة ولإنعاش كل الحركات الوحدوية والقومية التى قامت فى العالم العربى، من هنا فان استعادة وثائق العدوان الثلاثى، مع خلفياتها التاريخية سياسيا وعسكريا، تبقى خطوة هامة واساسية، خصوصا وان ما كان قائما يومها يشبه الكثير مما هو قائم حاليا على الأرض العربية وبالتالى فان دروس الماضى يمكن ان تصلح لعلاج ازمات الحاضر.. د. محمد عبدالقادر حاتم، الذى رافق ثورة ٢٣ يوليو منذ انطلاقتها قبل ٤٤ سنة، وكان مستشارا خاصا لعبد الناصر والمتحدث الصحفى باسمه، عايش العدوان الثلاثى خطوة خطوة، منذ ظهور بوادر التحضير له فى مطبخ السياسة الدولية وحتى انتهائه بالنصر المبين الذى أحرزته مصر والعرب. ومعايشة د. حاتم للعدوان لم تأت من موقع المتفرج ولكن من موقع المشارك فى الإتصالات والمطلع

* ألفت قطامش: مجلة العرب، بتاريخ ١٩٩٦/٦/٢٨.

على القرار الوطنى المصرى بحكم موقعه القريب جدا من الرئيس عبد الناصر، لذلك فان شهادته عن العدوان الثلاثى تكتسب أهمية خاصة، وهنا وقائع الجلسة التى عقدتها معه لهذه الغاية الزميلة الفت قطامش.

بدأ الدكتور محمد عبدالقادر حاتم كلامه عن العدوان الثلاثى باسترجاع سريع لشريط الذكريات مشددا على أهمية الإستفادة من تجارب الماضى فى حياة الناس والدول ليقول:

أن الدولة التى لا ماضى لها، لن يكون لها حاضر أو مستقبل والعالم كله والدول الكبرى دائما تدرس وتقيم الأوضاع، وتأخذ الدروس المستفادة، فما احرانا نحن أن ندرس ونذكر ونتذكر.. ما مررنا به من تجارب وحروب، لتكون عبرة للاجيال القادمة.. نتجنب السلبيات، أما الإيجابيات فتكون علامات مضيئة للاسترشاد بها فى المستقبل.

وحرب السويس التى مر عليها اربعون عاما اثبتت ان دولتين كبيرتين، ومعهما اسرائيل، قاموا بالعدوان على دولة صغيرة (مصر)، كان لهذه الدول الأسلحة بكل انواعها، وكل قواتها، ولم يكن لمصر سوى شىء واحد، هو ارادة شعبها، كما كانت تساندها البلاد العربية، وكل من يعمل على احقاق الحق فى العالم، ولو أن الإنذار البريطانى - الفرنسى الذى وجه لمصر، قد وجه لأى دولة صغيرة، لكان عليها ان تستسلم لكن شعب مصر رفض هذا، وقاوم وانتصر وكان من نتائج هذا النصر، أن انبهرت الأمة العربية بهذا الإنتصار الكبير على دولتين استعماريتين، لهما الآثار السيئة منذ الإتفاق الثنائى بين فرنسا وانجلترا لتقسيم العالم العربى والسيطرة عليه، كما نتج عن هذا الإنتصار الوحدة العربية وبداية التحضير لقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا.

والدكتور عبد القادر حاتم الذى كان نائبا لرئيس الوزراء يتابع كلام الذكريات حول اسرار هذه الحرب فيقول:

نعود الى عام ١٩٥٤ يوم تمت اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا، والتى تنص على جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد احتلال دام اثنين وسبعين عاما، غير أن

انجلترا لم ترض بالخروج نهائيا من مصر فحاولت الدخول اليها مرة أخرى، لكن من النافذة بطريقة أو بأخرى.

ويتم ذلك من خلال حلف بغداد. وهذا يذكرنا بما نحن عليه الآن، فهناك اتجاهات لقيام عدة احلاف فى المنطقة. فى هذه الأيام - مثل هذا الذى يقوم بين تركيا واسرائيل - ومصر فى ذلك الوقت، أى فى أوائل الخمسينات، رفضت أى حلف يضم جهة أجنبية تتولى قيادته، لذلك رفضت مصر حلف بغداد، بعد اتفاقية الجلاء.

كذلك رفضت مصر الحلف الإسلامى، الذى اقترحته الولايات المتحدة الأمريكية، عندما عرضه وزير خارجيتها، المستر دالاس، على الرئيس جمال عبد الناصر، كان مشروع الحلف يضم باكستان وايران وتركيا ومصر، لكن مصر رفضت الإنضمام اليه.

وتتوالى الأحداث، وتطلب مصر من الولايات المتحدة الأمريكية السلاح، من أجل الدفاع عن نفسها ضد أى عدوان عليها، لكن الولايات المتحدة رفضت اعطاء السلاح لمصر، بحجة أن السلاح قد يستخدم ضد اسرائيل.

يومها كنت المتحدث الرسمى - وكان الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرى - تحدثت موضحا أن مصر رغم انها تقوم بالتنمية، وتهتم بها، إلا أن المدارس والمستشفيات والمصانع، لا تستطيع الدفاع عن مصر أمام أى عدوان، لذلك يجب أن يكون لدينا السلاح، وعندما رفضت امريكا اعطاءنا السلاح المطلوب اتجه الرئيس جمال عبد الناصر الى الإتحاد السوفيتى الذى حدد له تشيكسلوفاكيا للتعامل معها بخصوص هذا السلاح.

ويضيف الدكتور عبدالقادر حاتم: هنا حدث فتور فى العلاقات المصرية - الأمريكية وعندما أراد عبد الناصر أن يمول مشروع السد العالى، بواسطة البنك الدولى، رفض المستر دالاس تمويل السد بل أراد أن يهين مصر بالإعلان عن أن أقتصادها ضعيف، وكان رد مصر، أن أعلنت فى تموز/ يوليو ١٩٥٦ تأميم الشركة العالمية لقناة السويس، وهى شركة مصرية كان ايرادها فى ذلك الوقت ٣٦ مليون جنية فى العام، يبلغ نصيب مصر منها مليونا واحدا فقط، والباقى يدخل الشركة التى

كانت ادارتها فرنسية. أممت مصر القناة مستندة الى معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والى أن القناة مصرية فى أرض مصرية، وان القناة لمصر، وليست مصر للقناة.

بعد إعلان التأميم حدث اضطراب كبير فى دول العالم المختلفة، انجلترا وجدتها فرصة لأن تهاجم مصر، وتعود الى احتلال ارضها خاصة أن ايدن اتهم عبدالناصر بأنه كان السبب فى طرد الجنرال جلوب البريطانى من الأردن، وكان جلوب قائدا لقوات الجيش الأردنى، وقائدا للقاعدة البريطانية هناك كما كان مسيطرا على القوات الأردنية بأسرها انذاك، هذا من جهة انجلترا. أما فرنسا فوجدتها فرصة للإنتقام من مصر، لأن إعلام مصر كان ضد الإستعمار الفرنسى فى الجزائر.

ويضيف مدير مكتب عبد الناصر والمتحدث الرسمى فى عهده ومستشاره الخاص بالقول:

وكانت مصر قد أوفدتنى فى مقابلة سرية مع وزير خارجية فرنسا (كريستيان بينوه) فى أوائل العام ١٩٥٦، على أساس أن أوضح له أن أجهزه الإعلام المصرية، وضمنها اذاعة صوت العرب تعمل من أجل تعبئة الشعور الوطنى فى كل مكان، لكن مسيو بينوه قال لى: إذا لم تسكتوا صوت العرب، فإننا سنضطر لاستخدام القوة ضد مصر.. وقال: إن الجزائر جزء من أرض فرنسا، بل هى احدى ولايات فرنسا.. وانتهى اللقاء دون ان نصل الى نتيجة، لذلك كان تأميم القناة فرصة لفرنسا لتنتقم من مصر.

وعندما عدت أخبرت الرئيس عبد الناصر بما دار بيننا، لكنه لم يهتم، بل أصر بعد هذا التهديد على الإستمرار فى طريقه.

أما اسرائيل فكان املها كبير فى التوسع، ولها اطماعها وتخطيطها الإستراتيجى الذى يركز على الدفاع عن اراضيها خارج هذه الأرض، أى أنها تريد أن تتوسع فى سيناء والبلدان العربية المختلفة، وكان رئيس وزراء اسرائيل يومها بن غوريون، واضع هذه السياسة التى تعبر عن العقيدة الصهيونية.

وكيف كانت الحسابات أمام الرئيس جمال عبد الناصر بعد تأميم القناة؟

رد الفعل الأول تجلى فى اعتقاد الرئيس عبد الناصر، انه قد يحدث حصار بحرى، وان رد الفعل سيكون شديدا جدا فى الأسبوع الأول بعد تأميم القناة، ثم يقل الخطر تدريجيا، وكلما مر الوقت، كان ذلك فى صالح مصر.

واذكر اننى قلت فى حديث لاذاعة بريطانيا، ان مصر فى ذلك الوقت اتبعت اسلوب مستر تشرشل الذى يقول Talk.. Talk.. Talk Better Than: War.. War أى أن المفاوضات السلمية افضل من الحروب، أما الدول الأخرى الثلاث، فكان شعارها معكوسا: الكلام الكلام الكلام، للاستعداد للحرب.. الحرب.. الحرب.

مواقف ايدن: ويضيف الدكتور عبدالقادر حاتم.

.. وفى ٨ آب/ أغسطس ١٩٥٦، أعلن ايدن فى خطاب له فى الإذاعة البريطانية، قائلا: أننا يجب أن نتخلص من عبد الناصر، لأنه ديكتاتور فاشيستى وشبهه بـ «هتلر» وأوضح ايدن أنه لن يكون مثل تشمبرلن الذى تساهل مع هتلر، مما جعل هتلر يعلن الحرب.

والواقع أنه قبل هذا الإعلان فى الإذاعة البريطانية، كان هناك اقتراح بتسوية المشكلة فى مؤتمر يعقد فى لندن، كان عبد الناصر ينوى حضوره، لكن طبعا، بعد ما قاله ايدن رفض عبد الناصر المشاركة فى هذا المؤتمر.

وكان الإعلان عن هذا المؤتمر، مجرد وسيلة لكسب الوقت من انجلترا وفرنسا واسرائيل حيث كانت الدول الثلاث، تعمل فى الخفاء وضمن مؤامرة تامة كاملة، بالتعاون العسكرى البحرى والجوى فى سرية تامة للضرب والهجوم على مصر، وبدون علم أمريكا.

وفى الوقت نفسه، وبعد رفض عبد الناصر الذهاب الى مؤتمر لندن، أرسلت دول المؤتمر مستر «مانديس» رئيس وزراء استراليا للتفاوض مع عبد الناصر لكن مهمته التى قدم من أجلها الى مصر انتهت الى الفشل.

وهنا بدأت مصر تضع تصورا للمعركة القادمة، وكان هذا التصور على الشكل التالى: إذا كانت القوات الموجودة فى الشرق الأوسط جاهزة مباشرة فإن دول العدوان ستقوم بالإعتداء فورا على مصر، ولم تكن مصر تضع فى إعتبارها الأول، إن

بريطانيا ستتعاون مع اسرائيل، لأن معنى هذا ان جميع الدول العربية ستقف ضد انجلترا، والتى لها مصالح كثيرة فى دول المنطقة.

أما التصور الثانى.. فيدور حول مكان وجود هذه القوات العدوانية، الصورة فى مالطة، حيث هناك قوات بحرية وحاملة طائرات بريطانية، أما الأردن ففيه فرقة مشاه بريطانية، وقبرص فيها بعض القوات المختلفة من كوماندوز ومظليين، وكان التصور أن الجنرال جريفاس، قائد القوات البريطانية فى قبرص، لا يمكن أن يقوم بعمليات حربيه ضد مصر، لأنه كانت هناك ثورة داخل قبرص ضد تواجد الانجليز فيها، كما كانت مصر تساعد مكاريوس الرئيس القبرصى، وكان من الصعب أن يقوم مكاريوس، بمساعدة القوات البريطانية للإعتداء على مصر.

مباشرة العدوان: ويتابع الدكتور عبدالقادر حاتم:

كما كان هناك مدمرات بريطانية فى البحر الأحمر بين عدن وبور سودان، كذلك بين مالطة والإسكندرية واسرائيل وقبرص، وكان تقدير مصر، انه من الصعب ان تتحرك قوات انجليزية، من القواعد الموجودة فى البلاد العربية، لأن الرأى العام العربى ضد كل هذا.

والجدير بالذكر أنه كان من المقرر أن يحدث اجتماع فى جنيف، بين السكرتير العام للأمم المتحدة والمندوب الأمريكى، وممثل مصر، ومندوب عن فرنسا وآخر عن بريطانيا لكن عشية اليوم المحدد للاجتماع، بدأت اسرائيل بالهجوم (مساء ٢٩ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٦) كما ارسل انذار بريطانى فرنسى الى مصر، بأن تبتعد قواتها عن قناة السويس مسافة عشرة اميال، ولخداع مصر والعالم ارسلت الدولتان صورةمن هذا الإنذار نفسه الى اسرائيل وبالطبع رفض مصر يعنى قيام الحرب.

وجاء التصور المصرى انهم قد يهاجمون مدينة الإسكندرية بضربها بالمدافع كما فعل الأسطول البريطانى ١٨٨٢م ايام أحمد عرابى باشا، أو الهجوم على بورسعيد وكان هذا أقرب التصورات للواقع والحقيقة.

وبالفعل نزلت القوات البريطانية والفرنسية فى بورسعيد وقام الإعلام المصرى - وكنت مسئولا عنه - بدور كبير وأعلنت مصر أنها ستعوض أصحاب الأسهم فى قناة

السويس حسب سعر السهم فى بورصة فرنسا فى ذلك اليوم، وإن القناة هى قناة مصرية فى أرض مصرية، والشركة هى شركة مصرية، ولو أن لها اسما عالميا.

ويضيف الدكتور حاتم: وممكن القول اننا كنا نعد الإعلام المصرى، ففى نيسان/ ابريل ١٩٥٦، انشأنا وكالة تسمى أنباء الشرق الأوسط حيث لم يكن فى مصر وكالات أنباء، إلا وكالة الأنباء العربية، وهى وكالة انجليزية، رئيسها مستر توم ليتل وكان يعمل فى جهاز المخابرات البريطانية ولم يكن لدى مصر أى تصور بإنشاء وكالة إلا أننى بصفتى مدير مصلحة الإستعلامات أنشأت هذه الوكالة بعد أن استأجرت لها شقة، فى ميدان سليمان باشا.. ودفعت إيجارها من مرتبى الخاص، وعينت فيها بعض المصريين، قامت هذه الوكالة بدور هام فى ذلك الوقت، واختـرت الأسم بعد أن استشرت الأستاذ مصطفى أمين، وعرضت عليه اسماء هى الوكالة المصرية، ووكالة العرب، لكنه اقترح تسمية الوكالة، وكالة أنباء الشرق الأوسط وتم بالفعل ذلك.

وهذه الوكالة إذا ربطنا بينها وبين الأحداث نجد أنها قامت بدور هام، عندما كنت المتحدث الرسمى للحكومة المصرية، كنا نرسل منها الأخبار الى كل البلاد فى جميع أنحاء العالم، ونتلقى صدى الأنباء منها ايضا.. كما كانت تعبيرا عن استقلال ارادتنا ولكسر الإحتكار الأجنبى فى هذا المجال الإعلامى الحيوى لقضايانا الوطنية.

ويروى حادثة طريفة عن تلك المرحلة الدقيقة فيقول:

حدث أن هاجمت الجمعية الوطنية الفرنسية الرئيس «جى موليه» رئيس الوزراء الفرنسى لأنه قام بالعدوان على مصر لكن موليه أراد تزيين ما فعلته بلاده واقناع مهاجميه بأن مصلحة فرنسا تقتضى هذا العدوان فقال: ايها الفرنسيون اعلن اليوم ان القوات الفرنسية احتلت مدينة الإسماعيلية والآن يرفرف العلم الفرنسى على المدينة.

وتلقيت هذا الخبر الغريب، واسرعت بإرسال عدد كبير من المراسلين الأجانب، الذين كانوا فى مصر ذهبوا بصحبة «مستر داردو» مدير الوكالة الفرنسية، وصلوا الى الإسماعيلية ولم يجدوا العلم الفرنسى مرفوعا كما قيل، فأرسلوا برقية يقولون فيها (يا للعار، رئيس وزراء كذاب.. كذاب.. كذاب) وتلقى هذا الخبر، مندوب وكالتنا م.ش.م. فى باريس وارسله فورا الى الجمعية الوطنية وكانت الخطب ما زالت مستمرة

فى تمجيد غى موليه وفرنسا.. وعندما قرأ رئيس الجمعية الوطنية هذا الخبر، قام على الفور وقال: أن رئيس الوزراء يكذب، لقد ذهب الصحافيون ومندوبو الوكالات العالمية الى الإسماعيلية ولم يجدوا العلم الفرنسى مرفوعا، وكانت صدمة قوية تلقاها غى موليه، وبعدها بمدة قليلة، سقطت حكومة العدوان الفرنسى.

هزيمة عسكرية وإعلامية: أما بالنسبة للعدوان البريطانى فقد دعيت بعد العدوان بمدة الى العشاء فى لندن، بدعوة من كريمة تشرشل، وكان يجلس معنا على المائدة الطبيب الخاص للمستر ايدن، قالت إبنة تشرشل: إن الدعاية المصرية هزمت الإمبراطورية البريطانية، وانت يا دكتور حاتم تمثل الإعلام المصرى، لقد أضاع مستر إيدن الإمبراطورية البريطانية، والسبب يعود لهذا الطبيب الخاص له، لأنه لم يقل للشعب البريطانى إن مستر ايدن مريض وان قراراته خاطئه، فكان سببا فى ضياع الإمبراطورية.

كما قال مستر ايدن فى مجلس آخر لقد رصدت ٢٥ مليون جنيه استرلينى للدعاية ضد مصر، وسلمتها للورد هيل مدير الدعاية، لكن رغم ذلك هزمتنا الدعاية المصرية.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تتدخل فى الحرب، لكنها أبلغت انجلترا بعد أن ارسل الإتحاد السوفيتى انذارا شديد اللهجة لاسرائيل وانجلترا وفرنسا، تهديدا بإستخدام القنابل الذرية، ان هى لم تنسحب من مصر.

وقد قال ايزنهاور ـ الرئيس الأمريكى آنذاك ـ اننى رجل مسن (كبير السن) وأركب الآن سلما موصلا للسماء. فأنا اليوم على درجات قليلة من السماء ولا أريد أن أقابل الرب، وأنا مسبب للعالم بالحرب الذرية ولذلك أطلب وبشدة، من انجلترا وفرنسا واسرائيل، الإنسحاب من الأراضى المصرية وقد تم ذلك بالفعل، وكان تعليق بن غوريون أن الإعلام والدعاية المصرية هزمتنا وقضت علينا.

ويختم الدكتور حاتم بالدعوة الى التشبه اليوم بما كان فى الماضى القريب لتعود وحدة الصف العربية إذ يقول:

وهكذا أقول أن مصر خرجت منتصره، بإرادتها على سلاح الغدر، والعدوان من دول ثلاث.. لقد أممنا القنال، وتم قيام الوحدة بين مصر وسوريا.. واشتعل الحماس

للقومية العربية.. وصار العالم العربى جميعه يدا واحدة.. وهذا هو ما نرجوه اليوم.. لنقف يدا واحدة، ضد أى معتدعلينا.

الحصانة.. الإعلامية*

أشرت فى الأيام السابقة الى كتاب عميد الإعلاميين المصريين والعرب وشيخهم الدكتور محمد عبد القادر حاتم، الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام.. الكتاب الذى ضمنه خلاصة خبراته الإعلامية العميقة طوال ٤٠ عاما، وعرضت ما حذر منه من أعداء الإسلام.. وقدم الوسائل المطلوبة للوقوف أمام أعداء الوطن وأعداء الإسلام ولفت نظرنا لنراجع أنفسنا ونبحث لحياتنا عن أسلوب جديد ولإعلامنا عن صيغة جديدة، وللدعوة الإسلامية عن وسائل وأساليب تدفع عن الإسلام ما يحاول الكثيرون من الأعداء الصاقه به.. وإن هناك واجبا حتميا يراه الدكتور حاتم وهو:

- ان نصحح أوضاعنا ونعرف شعوبنا بالمخاطر التى تحيط بالإسلام وما يكاد له وما يراد به.

- ان ننشط من خلال إعلام جاد فعال، رزين وصادق لنعيد تعريف العالم بمبادىء الاسلام ومدى ما يدعو إليه من رفيع الأخلاق وما يعتمد عليه من قيم السلام، المودة والعدل.

- ان نجلى لنا ولغير المسلمين حقيقة رفض الإسلام للإرهاب، سواء كان موجها الى المسلمين أو لغير المسلمين.

- أننا فى حاجة الى صحوة ونهضة تشمل جميع مجتمعاتنا تقوم على ما يأمر به الإسلام من حرية، عدالة، صيانه للإنسان فى مالة، ودمة، وعرضه، وعقيدته.

وأضاف الدكتور حاتم رائد الإعلام المصرى والعربى: إننا فى حاجة إلى إعلام مثقف ومثقف ليشارك فى ايقاظ قوى الإبتكار والإبداع حتى يمكن إعداد اجيال جديدة قادرة على التعامل مع أوضاع القرن الواحد والعشرين من خلال رؤية اسلامية عصرية، علما وعملا وسلوكا بعد أن إنتشرت الأقمار الصناعية.. وتزايدت قدرات البث التليفزيونى واتسع مداه حتى أصبح ارساله يدخل بيوتنا بلا استئذان ليؤثر

* جلال عيسى: جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٧/٢/٥.

على اسرنا، رجالا ونساء وشبابا وأطفالا، ومن ثم تبدو أمامنا ضرورة لازمة وهى أن تكون لنا حصانتنا الإعلامية فنصطفى ما هو نافع وخير لنا وندع ما يتمثل فيه الشر و الضرر.

وقال الرجل مع تقديرنا أن ما يأتى الينا ليس شرا كله ولكن علينا ان نضع أمام أعيننا وننتفع بالنص القرآنى، «خذوا حذركم».

إلى جانب أن هناك تكتلات عالمية عملاقة وكيانات اقتصادية وسياسية ضخمة توصى بأنه لم يعد هناك مكان للكيانات الصغيرة أو للقوى الممزقة، وهى للأسف صورة العالم الإسلامى فى وقتنا الراهن.

قيادة إعلام نصر أكتوبر*

نعيش هذه الأيام ذكرى أيام مجيدة، سجل التاريخ فيها لمصر والعرب أروع البطولات، ولا شك أن الذين عاشوا هذه الفترة يتذكرون كيف كانت الحالة والموقف ليس فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله قبل أكتوبر ١٩٧٣، وكيف كانت حالة الإحباط وشحوب الأمل فى استرداد الأرض واستعادة الحق.

هنا أتذكر كيف استطاعت حكومة أكتوبر استعادة ثقة الشعب فى الحكومة ووسائل الإعلام، ونذكر لأول مرة كيف استطاعت إعداد الدولة لحرب بالكتمان التام.. وعندما كلف الرئيس الراحل أنور السادات أحد رجال الثورة وهو الدكتور عبد القادر حاتم بأن ينوب عنه فى رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٧٣ لإعداد الدولة للحرب، كما تم تكليفه قبل الحرب مباشرة برئاسة لجنة العمل الوطنى العليا.. وهى أعلى لجنة لشئون البلاد تضم فى عضويتها رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والخارجية والداخلية ومدير المخابرات العامة وأمين التنظيم السياسى.

وتذكرت ذلك كله عندما سمعت الدكتور مصطفى خليل يتحدث فى التليفزيون عن معركة أكتوبر وقال.. إن إعداد الدولة للحرب قامت به حكومة أكتوبر برئاسة الدكتور حاتم الذى عمل فى صمت واستطاع ان يقوم بإعداد جيد لجميع مجالات

* عادل حسنى: كلمة X خبر: جريدة الجمهورية، بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٦.

العمل من تموين وإعلام ومواصلات وتحضير الإحتياجات الضرورية بوضع خطة استراتيجية لتأمين كل احتياجات الشعب أثناء المعركة.

أتذكر اجتماع الرئيس السادات مع الصحفيين وقوله لهم.. إن الدكتور حاتم قام بوضع خطة الإعلام قبل وأثناء وبعد المعركة.. وذلك أن الشعب كان لا يثق فى حكومته نتيجة لما حدث من أكاذيب مختلفة فى حرب ١٩٦٧، فكانت المظاهرات مستمرة ضد الحكومة مطالبة بإنهاء حالة اللاحرب واللاسلم.. وهنا قام د. حاتم عام ١٩٧٢، بوضع خطة إعلامية أساسها الصدق وإعلان الحقيقة، وبهذا كان الإعلام هادىء النبرة قبل الحرب وأثناءها وبعد الحرب، وتميز بمصداقية تامة فى الوقت الذى كانت فيه اسرائيل تذيع الأكاذيب المختلفة، كما كانت الأغانى بعيدة عن الصراخ والأناشيد المثيرة، وبدأ هذا المنهج الإعلامى بعد تشكيل حكومة ١٩٧٢ مباشرة.

نتذكر ايضا إن د. حاتم أنشأ أول وأكبر إذاعة عبرية من القاهرة تذيع الحقائق على الشعب الإسرائيلى لتظهر كذب إعلامهم وان مصر تريد تحرير أراضيها وليس الإعتداء أو الإستيلاء على أرض الغير.

ولأول مرة تم اصدار قرار من الدكتور حاتم عام ١٩٧٢، بالسماح لكل الكتب والمطبوعات التى تتضمن معلومات عن إسرائيل بدخول مصر وتقوم هيئة الإستعلامات بترجمتها، وكان هذا فى الواقع ردا غير مباشر على ما قاله موشى ديان فى أعقاب نكسة ١٩٦٧، إن العرب لا يقرأون، فلو كانوا قرءوا ما كتب عن حرب ١٩٥٦ لعرفوا كيف يواجهوننا. وكانت سلسلة هذه الكتب الإسرائيلية تحت مبدأ، أعرف عدوك، وهكذا كان الإعداد والتخطيط على أعلى مستوى علمى شاملا الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية والإعلامية.

وكان أول ما اتخذه ايضا الإعلام المصرى قبل حرب اكتوبر هو فتح الأبواب أمام وكالات الأنباء والصحف والإذاعات العالمية، ورفع الرقابة التى كانت مفروضة على المراسلين الأجانب، وما كاد هذا الإجراء يتخذ حتى سارعت وكالات الأنباء والصحافة العالمية الى إيفاد مراسليها لمصر، وهكذا بدأت أخبار مصر تظهر للعالم بأسلوب جديد يقوم على الحقائق.

أما بعد انتصار أكتوبر وبالتحديد يوم ١١ أبريل ١٩٧٤، فقد أعلن د. حاتم فى مؤتمر صحفى الغاء الرقابة لأول مرة منذ نصف قرن على الصحافة والمطبوعات المصرية، ولم تتوقف مجهوداته حتى فى مأزق تمويل اعادة فتح قناة السويس، عندما طلب الرئيس الراحل انور السادات من بعض الدول العربية أن تقدم قرضاً لإعادة فتح القناة إلا أنها قدمت قرضا ب ١٥ مليون دولار فقط بفائدة ١٦ ٪ وكانت اعادة فتح قناة السويس تتطلب ١٤٠ مليون دولار لا تملكها مصر فى ذلك الوقت، وهنا تقدم د. حاتم بطلب سفر لليابان حيث كانت علاقاته وثيقة بكبار المسئولين هناك، وفعلا سافر ونجح الدكتور حاتم فى الإتفاق مع الحكومة اليابانية على أن تقدم قرضا لمصر بالمبلغ المطلوب ١٤٠ مليون دولار بفائدة ٢ ٪ فقط، مع فترة سماح سبع سنوات يسدد على عشرين عاما من دخل القناة نفسها.

وفى نفس الوقت استطاع الحصول على قرض آخر بمائتى مليون دولار بنفس قيمة الفائدة ٢ ٪، وكانت مصر فى ذلك الوقت تحتاج إلى هذه الأموال لإصلاح اقتصادها.

هكذا كانت مصر كلها فى سيمفونية رائعة مع قواتها المسلحة، ونسور الجو تقوم بضربة النصر الأولى بقيادة الرئيس مبارك، وقواتنا العسكرية تعبر القناة لاستعادة الكرامة والعزة لمصر والعرب.

وهكذا انتذكرالوقائع التاريخية التى يجب الا ننساها لرجال وابطال حققوا النصر والكرامة وأول مبادىء السلام.

الإحتفال بذكرى مرور ٢٥ عاما على حرب أكتوبر*

نستقطر ذكريات وحكايات من الذين خدموا فى بلاط أكتوبر، وشاركوا فى صنع سيمفونية الأداء القتالى، والتقنى، والسياسى والشعبى، لهذه الأيام المحفورة فى عقولنا وقلوبنا.. والتى نهفو إليها حين نشكو قلة حيلتنا، وضعف قوتنا، وهواننا على الناس!!.

* د. عمرو عبد السميع : حوار من لندن : مجلة الأهرام العربى، بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٣ .

نعم.. نتذكر ـ جميعا ـ ملامح مصر فى قلب أتون هذه الحرب.

نعم.. نتذكر أنها كانت مصر بجد.

نعم.. نتذكر كيف كان الناس على قد مقام البلد.

نعم.. نتذكر أن جماعات التكفير الوطنى لم تكن قد ظهرت بعد على الساحة، فكان الوطن أجمل، ولم تكن نخبته جريحة.. إذ ما أتعس وطن تكون نخبته جريحة!

كانت مصر سبيكة وطنية واحدة.. على الربابة تغنى، وتعبر، وتهدر.. كنا نلتقى بعضنا البعض فى الشارع، وأى منا لا يعرف الآخر، فنتبادل نظرة طويلة، ملؤها هذا الكود الوطنى، والعاطفى، الذى يغنيك عن الثرثرات الفارغة الطوال التى تفقد بعد لحظات مبررات وجودها، وتستحيل استنساخات رخوة، تعكس معانى البلادة وفقدان الهدف.

فى «الأورينتال كلوب»، وهو أحد النوادى العريقة المهمة فى العاصمة البريطانية، كان لقائى مع المسئول الأول عن وزارة إعداد الدولة للحرب، الدكتور محمد عبدالقادر حاتم ومعه كان حوار طويل أنشر بعض فصوله اليوم، متذكرا، وداعيا لكم أن تتذكروا بعض ملامح الزمان الجميل لمصر المحروسة.

وهذا نص الحوار:

حين كلفك الرئيس محمد أنور السادات برئاسة مجلس الوزراء كنائب له، وان تكون مسئولا أمام مجلس الشعب، وذلك فى مرحلة إعداد الدولة للحرب.. هل كنت تشعر ـ فعلا ـ بأنه مقدم على إتخاذ قرار القتال، بعد كل الحديث عن عام الحسم.. ثم التراجع عنه.. وماذا كانت بنوده وحدود التكليف بالنسبة لك؟

* دعانى الرئيس انور السادات فى أوائل عام ١٩٧٣، قائلا: اننى اتخذت قرار الحرب ولو أن الكثيرين يشككون فى ذلك، وقد اخترتك، وكنت ـ وقتئذ ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام ـ لترأس مجلس الوزراء بالنيابة عنى، وتقوم بإعداد الدولة للحرب، وسأصدر قرارا بأن تكون مسئولا عن هذه المهمة، أمام مجلس الشعب، وترأس جلسات مجلس الوزراء، وقد اطلعت على تقدير الموقف، والتخطيط السياسى

والإعلامى، الذى وضعته لما قبل، وفى أثناء، وبعد المعركة، ووجدت أن تقوم - أنت - بتنفيذ ذلك.. وسوف يتوفر لى بذلك الوقت اللازم لمباشرة مهمتى كقائد أعلى للقوات المسلحة والشئون السياسية الخارجية، فقد جاء وقت التحرك، وخصوصا بعد أن طردت الخبراء الروس.. ولقد اتخذت قرارالحرب وهذا قدرى!!

استمعت لهذا التكليف لأول مرة، وبدت على الدهشة، فإذا بالرئيس يردف قائلا: قبل أن تجاوب عليك أن تفكر وتعود لى بعد ٤٨ ساعة برأيك.

وفعلا - بعد هذا الحديث - ذهبت الى المنزل محاولا استجماع فكرى، لاتخاذ قرار، وجدتنى أقلب وأراجع، كل مالدى من كتب ووثائق، عن نظرية الأمن الإسرائيلى.. وكل تقارير تقدير الموقف التى سبق وضعها، وكذلك تقرير الرأى العام الداخلى.. الذى فقد الثقة فى الحكومة، وعبرت عنه مظاهرات صاخبة تهاجم الحكومة من كل زاوية لأن الحكومة - من وجهة نظر هذا الرأى العام - لم تفعل شيئا فى مواجهة الموقف البالغ الخطورة بالنسبة للحرب مع إسرائيل، واسترداد الأرض المغتصبة وكانت البلاد - كذلك - تموج بشائعات وتصريحات منذ هزيمة ١٩٦٧ المروعة - وقد مضى عليها - فى ذلك الوقت - ست سنوات بينما الرأى العام المصرى والعربى والعالمى فاقد الأمل فى أن تقدر مصر على استرداد أرضها، بينما اسرائيل تعبث فى سيناء الحبيبة، وجنودها فى استفزاز مستمر على الضفة الشرقية للقناة.

وضعت أمامى كل الأوراق، وخصوصا نظرية الأمن القومى الإسرائيلى التى وضعها بن جوريون عام ١٩٤٨، والتى لم تتغير حتى عام ١٩٧٣، وهى مبنية على الأسس الملخصة التالية:

١ - إن الطبيعة الديموغرافية لإسرائيل تجعلها فى وضع ضعف سكانى امام العرب.

٢ - طبيعة اسرائيل الجغرافية تمنحها نطاقا ضيقا وصغيرا للحركة.

٣ - أى مهاجم لتل أبيب يمكنه إصابتها - بسهولة - من الحدود حتى بمدافع الهاون.

وعلى ذلك فإن دعائم الدفاع عن اسرائيل هى:

- اتباع سياسة الهجوم على البلاد المجاورة حتى تتسع رقعة الأرض الإسرائيلية وأن تكون حدود اسرائيل هى أخر ما يستطيع الجندى الاسرائيلى أن يصل اليه.

- أن يكون الشعب الإسرائيلى كله هو جيش إسرائيل بمعنى أن يكون هناك تجنيد كامل للشعب وكل فرد يعرف مكانه فى وحدات الجيش ولكن لا يتم تعبئة الشعب كله إلا فى حالة الإنذار بالحرب حتى لا تتعطل البلاد اقتصاديا واداريا.

وعلى ذلك تكون هناك قوة نظامية من الجيش وهذه كانت فى مواقع استراتيجية عام ١٩٧٣، ومنها خط بارليف، وباقى الشعب فى أعماله العادية.. وإذا أعلنت التعبئة العامة تكون مستعدة فى ٧٢ ساعة فقط.

- نظام انذار قوى لكى تتم التعبئة فى حالة الخطورة، وهو مبنى على: سلاح جوى متفوق على نظرائه العرب + نظام مخابرات قوى والمهمة الأساسية لهذا النظام الإنذارى، التنبيه المبكر لأى هجوم.. متوقع على إسرائيل، بحيث تستطيع إسرائيل توجيه هجوم عسكرى شامل لو حدث أى تهديد وبعد التعبئة الشاملة فى ظرف ٧٢ ساعة، وأن تقوم القوات الجوية، والقوات النظامية بتعطيل أى هجوم على أرض أسرائيل حتى تتم التعبئة العامة.

واعتمدت اسرائيل - فيما يخص الجبهة المصرية على خط بارليف - حتى يقوم باستيعاب أى هجوم، والانتظار لمرور ال ٧٢ ساعة اللازمة للتعبئة الشاملة.

ويستطرد د. حاتم: وضعت بعض الخطوط الرئيسية، وعرضت الأمر على الرئيس السادات وأخبرته بما قمت به فى ٤٨ ساعة، ثم قلت له: إن قرار الحرب خطير.. وقد بينت سيادتكم بأن هذا قدرك.. وأقول لك إن هذا هو قدر مصر كلها، وقدر الأمة العربية.

- سوف أقاطعك - هنا - يا دكتور حاتم، لأننى أحاول استرجاع جو هذه المرحلة فى ذهنى.. ودعنى أسألك انطلاقا من هذا، هل كان الرأى العام، أو الناس فى بر مصر، يأخذون الرئيس السادات أو يأخذونك بجد - فى هذا التوقيت - حين جرت الألسنة بتعبير: إعداد الدولة للحرب؟

* قطعا لم يأخذنا أحد بجد لأن الناس كانت قد فقدت الثقة فى النظام، وفى الحكومة منذ ١٩٦٧.. وعلى أية حال ربما أفادنا هذا الوضع فى التمويه والخداع وادخلته ضمن التخطيط فى اتباع سياسة المفاجأة الإستراتيجية.. وأعود الى اللقاء

الثانى مع الرئيس السادات الذى أخبرته فيه بقبولى المسئولية.. إذ بينت فى هذا اللقاء بعض الخطوط الرئيسية منها:

١ - مادامت هناك مسئولية، فإن النجاح فى تنفيذها يتطلب المركزية فى أتخاذ القرار، بمعنى أن تعرض على السيد الرئيس كل الخطوط الرئيسية بعد مناقشتها فى مجلس الوزراء، وتراعى السرية التامة والمركزية - مرة أخرى - لتلافى ما حدث فى حرب ١٩٦٧، مع استبدال خطة الكتمان والمفاجأة.. إذ أن المبدأ الحاكم - هنا - أن من يريد الحرب لا ينشر إعلانا فى الجورنال ليقول هذا.

٢ - استثمار الوضع المتدنى لشعور الرأى العام ضد الحكومة وإشاراته الى انها لن تحارب، لصالح الهدف الرئيسى فى الخداع والتمويه، وإظهار أن مصر غير قادرة على الحرب، كما أنها لا تميل الى تحمل اهوالها.

٣ - ان تقوم مصر فى اجهزتها الاعلامية الداخلية والخارجية، بتأكيد عدم قدرتنا على الحرب، وتطالب - باستمرار - بالسلام العادل. وهذا البند من أصعب ما يمكن، فإن الشعوب تريد أن تسمع بأنها تمتلك أقوى قوة حربية، لذلك فإن سياسية عدم قدرتنا على الحرب - لا تذاع ولكن يكون هناك ايحاء بها لدى الإذاعة المصرية التى تذيع بالعبرية لإسرائيل.

٤ - البعد عن المبالغات والتهويل، والحديث عن ان مصر لديها اقوى الجيوش فى المنطقة، أو التهوين من قدرة اعدائنا.

٥ - إنشاء محطة إذاعة عبرية قوية فى القاهرة، تبين أن سياسة مصر هى السلام وتحرير الأرض وليس العدوان والحرب مع شرح أهوال الحروب.

٦ - اتخاذ خط فى إعلامنا، وسياستنا الخارجية يؤكد أن الشعب اليهودى يميل الى السلام، ولكن هناك نفرا من المؤسسه العسكرية، أصبح سياسيا مدنيا، مازال محتفظا بأماكنه فى الحكومة، منذ عهد بن جوريون، وحتى الآن، من مصلحته التهديد بالحرب.

٧ - منع أية تصريحات غير مسئولة من عسكريين أو مدنيين عن موضوع اسرائيل والحرب.

٨ - السماح بكل الكتب والمطبوعات الإسرائيلية للدخول الى مصر تطبيقا لمبدأ اعرف عدوك، وقد تم تأليف كتاب حول ما جاء فى بعض هذه المطبوعات، وكتبت فى مقدمته: باديان.. لقد قلت ان العرب لا يقرأون حينما هاجمت الطيران المصرى عام ١٩٦٧ على أرض المطارات، وكنت اتبعت نفس هذه الخطة لك عام ١٩٥٦، فلما سئلت عن ذلك، كنت تفاخر بأن العرب لا يقرأون، ولكننا نقول فى عام ١٩٧٣، إننا سنصحح لك معلوماتك فالعرب - اليوم - يقرأون، وستعرف ذلك جيداً فى المستقبل.

٩ - وضعت خطة للتموين والأكتفاء الذاتى والإحتياطى الإستراتيجى لكل محافظة، وكل مادة من التموين.

عرضت الخطوط العريضة وتقدير الموقف لإعداد الدولة للحرب، على الرئيس السادات، وعقدت أول جلسة بمجلس الوزراء، وطلب منى الرئيس أن أشرح بيان الحكومة الذى أعددته لألقائه فى مجلس الشعب، وقد تضمن هذا البيان عبارة أن رئيس الجمهورية يرى أن تحرير الأرض المغتصبة بعد هزيمة ١٩٦٧ هو قدره، وأضفت بعدها.. وإذا كان الرئيس يرى أن هذا القرار الخطير هو قدره، فإنه قدر مصر وقدر الأمة العربية كلها.. ثم أضفت الآية الكريمة:«كتب عليكم القتال وهو كره لكم».

وبعد أن القيت البيان فى مجلس الشعب، اتصل بى الرئيس السادات، وقال: الآن وضح الأمر.. ابدأ فى تنفيذ إعداد الدولة كما تم الإتفاق.

أما بشأن مسألة عام الحسم فبعد تكليفى بهذه المسئولية لم تستخدم عبارة عام الحسم ابدا، وكان التراجع عن ذكرها من الخطة المتفق عليها مع الرئيس السادات.

- ذكرت أنك أقترحت أن يكون العمل وقت الحرب مبنيا على مبدأ المركزية والسرية، فهل كنت تقصد العمل الوطنى للجنة العمل العليا برئاستك؟

* تأكيد لمبدأ المركزية والسرية فى وقت الحرب أصدر الرئيس السادات عام ١٩٧٣ قبيل ٦ أكتوبر مباشرة، قرارا يقضى بانشاء لجنة العمل الوطنى العليا، وتعتبر مجتمعه طوال ٢٤ ساعة، برئاستى كمسؤل عن الحكومة.. وأعضاء اللجنة رئيس مجلس الشعب، ونواب رئيس الوزراء ووزير الحربية ووزير الخارجية ووزير الإعلام ومدير المخابرات والأمين العام للتنظيم السياسى ومستشار الأمن القومى، وتعرض

على هذه اللجنة كل شئون الدولة وقت الحرب، وتتخذ القرارات اللازمة لكل حالة، مع إيجاد شبكة معلومات سريعة لكل مجالات العمل في الدولة، وهذا نظرا لأن الرئيس سيتفرغ للعمل في قيادة القوات المسلحة ومتابعة مقتضيات المعركة والسياسة الخارجية.

وكان هذا التنظيم للدولة نموذجا لسرعة عرض المشاكل والأزمات وعرض كل الآراء واتخاذ القرارات اللازمة، وكان مقر اجتماع هذه اللجنة العليا في مجلس الوزراء، وكان لها اجتماع دوري من الساعة ٦ مساء وحتى منتصف الليل برئاستي، يعرض فيه الموقف العسكري وموقف البرقيات الخارجية التي تبين اتجاهات دول العالم وموقف الإعلام والاقتصاد والتموين، وكذلك اتجاهات الرأي العام الداخلي والخارجي، وظللت رئيسا لهذه اللجنة المهمة حتى انتهت الحرب.

- ربما كانت حالة فريدة للعاملين في مجال الإعلام الذين اتيحت لهم فرصة تطبيق أفكارهم النظرية العلمية المنشورة، على أرض الواقع، بالدور المهم، الذي لعبته في صناعة القرار السياسي، وتشكيل القرار السياسي في بلاط النظام المصري لفترة طويلة.. فمؤلفك - عن الرأي العام - يجيء في هذا السياق، ورسالتك للدكتوراه «الاعلام وتأثيرة في الاستقرار الداخلي وتحقيق السلام العالمي».. وكذلك رسالتك للماجستير «اقتصاديات الحرب في اسرائيل» كل هذا ربما خلق لديك نظرية خاصة للإعلام. أعطتها فرصة وجودك في هذا المناصب المهمة مجال التطبيق على نطاق واسع.. على عكس المسئولين عن اتخاذ قرار الإعلام في مجتمعات أخرى، والذين - عادة - مايكتبون تجاربهم، بعد انتهائها، أي انهم ينظرون بعدما يطبقون، على عكسك حين قمت بالتنظير قبل التطبيق.. ما ملامح تجربتك في هذا الاطار، وكيف استفدت منها في التخطيط الاعلامي لحرب أكتوبر؟.

* الاعلام علم وفن. وليس مهنة من لامهنة له، وفكرتي لإعلام الحرب، كانت تستبعد «الخبط والرزع» وتستبدله بإعلام له ايقاع هادئ ومنطقي

ومنظم... دراستي - طوال عمري - كانت استراتيجية... في البداية حين حصلت على ماجستير كلية أركان الحرب، وهي أعلى دراسة عسكرية، ثم درست الاقتصاد السياسي في لندن للماجستير، والدكتوراه في الاعلام، ومن هنا كانت الخلفية الاستراتيجية للتخطيط الإعلامي وللتطبيق الإعلامي في تجربتي.

أذكر هذا بعد أن تركت الخدمة العامة ومدتها ٤٥ عاما، وهي أطول مدة خدمة سياسية في مصر، ولم يحدث في التاريخ الوزاري أن مكث مواطن على قمة العمل السياسي ومع رئاسة ثلاثة رؤساء للجمهورية... وترك العمل وعمره ٨٠ عاما... رجل الإعلام يجب أن يكون متعدد الثقافات لأنه يتعامل مع أقوى سلطة في أية دولة وهي الرأي العام.

لقد اختارني الرئيس عبد الناصر مديرا لمكتبه للإعلام، ثم انشأت مصلحة الاستعلامات على أسس علمية وبمعهد متخصص، ودخلنا معركة إعلامية عاتية عام ١٩٥٦ ضد الدعاية الصهيونية، التي كان لها ٨٩٠ صحيفة ومحطة اذاعة في العالم. وذلك بالاضافة إلى وسائل الإعلام الانجليزية والفرنسية. ولكننا نجحنا - بمنطق إعلامي مدروس - في استقطاب الرأي العام العالمي لصالحنا، ولعبنا دورا مهما في انسحاب قوى العدوان الثلاثي من مصر، وليس غريبا - في هذا السياق - أن كلا من بن جوريون وانطوني ايدن وجي موليه أشاروا إلى اثر الإعلام المصري في هزيمة العدوان الثلاثي.

لقد كانت المقولة التي تخيم على الساحة هي أن مصر تكذب وذلك تحت تأثير رصيد من الاخفاق عام ١٩٦٧، حين قلنا - مثلا - إننا اسقطنا ٢٥٠ طائرة في يوم واحد، ثم اتضح ان هذا كله غير صحيح، وقلنا إننا أقوى قوة ضاربة في الشرق الاوسط، وهللنا وهولنا، وهونا من قدرات أعدائنا،

ومنا من قال - عبر الجهاز الإعلامي، إننا سنصل إلى إسرائيل، واننا سنلقيها في البحر، وإذاعة مصر أذاعت أن أم كلثوم ستغني في تل ابيب، وسمعنا صيحات ٥ يونيو تقل «اين انت يا.. ديان»!!.

لقد كانت أمامى وقتها مشكلة، اذ كيف سيصدقنا العالم بعد ذلك وكيف يمكن أن ندخل حربا مع إسرائيل وهذه حالتنا، والشعب المصرى كله لايثق فينا.. والحقيقة أنه كان هناك تضارب كبير فى القيادات العامة، انعكس على جهاز الإعلام الذى أصبح عاجزا تماما، فلجأ إلى الاكاذيب، وكانت هذه السياسة هى التى أفقدت مصر مصداقيتها وهى أشد مايبتلى به أى نظام حكم فى العالم.

لم أكن، فى ذلك الوقت، فى منصب حكومى ، اذ انشأت وكالة أنباء الشرق الأوسط ووزارة الإعلام، والتليفزيون العربى، ثم تركت منصبى، وجاءت حرب يونيو- «هزيمة الكارثة».

وبعد ذلك رأى الرئيس السادات تكليفى بأن أكون رئيسا للوزراء بالنيابة ومسئولا عن حكومة أكتوبر أمام مجلس الشعب.

ووجدت الرأى العام ثائرا والمظاهرات فى الشوارع من كل الاتجاهات، ولامصداقية للحكومة.

وأوقفت ترديد كل التصريحات التى كانت تقول: «سنحارب - سنة الحسم - الحرب ستكون مرعبة.. الخ».

واستهدفت التهدئة الكاملة للرأى العام ووضعت خطة للتعتيم الإعلامى، والكتمان والمفاجآت لجميع الجهات، بالتنسيق مع كل المؤسسات العسكرية والسياسية والتنظيمية والشعبية.

وفى يوم ٦ أكتوبر جمعت كل العاملين فى الاذاعة والتليفزيون بعد أن تم اعداد البيان الأول.. وطلبت أن تجرى أمامى تجربة لالقاء البيان بهدوء تام وبلا انفعال، فنحن لانصنع الحوادث كإعلاميين، بل ننقل الاخبار، لاهجوم على أحد، لاخطابة لا إثارة.

- وماذا عن الاغانى.. لقد كانت «قومى إليكى السلام» و«أنا على الربابة».. و «رايحة فين ياعروسة» و«صبرنا وعبرنا» و«عبرنا الهزيمة» هى الموجه الأولى من أغانى الحرب. وقد لاحظت، وقتها كنت فى الصف الثانى بكلية الإعلام،

كما لاحظ غيرى، أنها جميعا ذات منطق وأداء هادئين.. فهل كنت تتدخل فى صوغ هذا الشكل من أشكال التعبير، أم اقتصرت مهمة الإعلام على النشرات والتعليقات والبرامج السياسية؟

* لقد استخدمت جميع الأدوات فى صياغة إعلام أكتوبر، بما فيه الأغانى.، وبما فيه الجوانب الدينية.. وكانت سياسة الإعلام مركزة تماما حتى لايفلت الأمر.

وقد كان توجيهى بالنسبة للأغانى. هو ذات توجيهى لمعدى ومقدمى النشرات والبرامج السياسية.. لاتصعيد.. لااثارة، فقد كنت أريد ان أرسخ مفهوم ان عصر «ولايهمك ياريس» و«اضرب» قد انتهى.

لقد حدث هذا كله فى هدوء والجميع لايصدق أن هذه هى الحرب.

- سؤال.. فى الحرب كيف كان أداؤنا الإعلامى، وكيف كان أداء اسرائيل؟!

* لقد أخذت إسرائيل ترتكب ذات أخطائنا القديمة، وقالت أنها كسرت القوات المسلحة وهشمت المواقع المصرية، بينما هى فى هزائم مستمرة.

وحين سئلت جولدا مائير، بعد الحرب عن ذلك الازعاج الدعائى الكاذب، ، قالت إننا إضطررنا إلى ذلك لرفع الروح المعنوية!!.

أما من جانبنا فقد حدثنى المشير أحمد إسماعيل - رحمة الله عليه - تليفونيا، وقال لى أن مدرعاتنا هشمت ٧٥ دبابة إسرائيلية فى معارك الدبابات الكبرى التى أعقبت العبور.. وهنا أذعنا خبرا يقول ان إسرائيل خسرت ثلاثين دبابه فقط فى المعركة، فعاد المشير يتصل بى منزعجا قائلا: «انهم ٧٥ دبابة».. فأخبرته بأن لى غرضا فى هذا وسأشرحة لك بعد ذلك.. وبعدها بساعات عرف المشير طبيعة الكمين أو الفخ الإعلامى الذى نصبته لاسرائيل، اذ كانت اسرئيل قد اذاعت انها خسرت ٤٠ دبابة، ومن ثم حين اذعنا نحن انها ثلاثون، حققنا «ثغرة الثقة»، وأدرك العالم كله اننا الاصدق والاكثر دقة، رغم أن الحقيقة المجردة كانت أن إسرائيل خسرت ٧٥ دبابة، وليس اربعين أو ثلاثين!!

ومن ضمن استعداداتنا الإعلامية للحرب، أننى منعت ظهور المذيعات لإلقاء بيانات أو معلومات عن تطور العمليات لأن الحرب من الطبيعى أن تشهد تطورات دراماتيكية، قد لاتحتملها السيدات الشرقيات بالذات، ومن ثم فأنا لاأريد أن ينقلن مشاعرهن المتوترة أو الدافقة إلى الناس الذين استهدفت أن أجعل اعصابهم فى ثلاجة.

وقد قرأت - بعد الحرب - فى مذكرات مدير الاستخبارات الإسرائيلى - بعد عشرين عاما من محاكمته وطرده من الخدمة لفشلة فى معرفة يوم الهجوم على إسرائيل «الا فى الساعة السادسة صباحا يوم ٦ أكتوبر»، أنه قال: «اعترف أن بجوار الرئيس السادات جهازا إعلاميا أنجز مهمته وخدعنا»!!.

أسعد.. وأخطر!

- هذا ليس سؤالا من الاسئلة الصحفية اللزجة التى تلقى على أسماع المصادر فى مثل هذه المناسبات لتسألهم عن «أسعد لحظة» و «أخطر لحظة» مرت بهم فى أثناء حرب أكتوبر.

ذلك أن اللحظات هنا، ومعانى السعادة، أو الاحساس بالخطورة، إنما تأخذ أبعادا واعماقا شديدة التعقيد، وتتبلور فيها ضفيرة إحساس هو خليط بين العام والخاص، بين المهنى والوطنى، بين الحماسة والرزانة.. هى لحظات يبلور فيها العمر بأكمله.. وهكذا عشناها وأظنك عشت معنى «العمر لحظة» الذى انضجته الحرب فى نفوسنا جميعا..

كيف كان ذلك؟

يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ كان واحدا من أعظم اللحظات فى حياتى، فقد طلبت من وزير الخارجية وقتئذ «د. محمد حسن الزيات» بعد موافقة الرئيس السادات أن يعمل على مقابلة الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ليخبره بأن مصر على أتم الاستعداد للتفاوض السلمى لاسترداد الأرض.

وبالفعل قام الدكتور الزيات بذلك، وقابل كيسنجر واخبرنى بنتيجة المقابلة بتأثر، لأنها كانت سيئة للغاية، فقد قال كيسنجر له: «هل تريد أن تختار الوقت الذى تريد للحل السلمى.. إن مصر ليست لديها القوة، ولست فى مركز يسمح لى أن اطلب من القوى وهو إسرائيل. أن يملى عليه الضعيف شروطا..أرجو أن نتقابل فى أوائل السنة المقبلة بعد الانتخابات..

لم يكن الدكتور الزيات يعرف أن ساعة الصفر للهجوم على إسرائيل هى الساعة ٢ من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر، وكان متأثرا جدا من نتيجة المقابلة ولكنى كنت فى منتهى السعادة، وأخبرت الرئيس السادات بأن معنى هذه المقابلة أن الولايات المتحدة الامريكية ليست لديها معلومات نهائيا عن ان مصر ستهاجم غدا «٦ أكتوبر»، ومعنى ذلك أن إسرائيل - أيضا - ليس لديها معلومات عن يوم الحرب.. وبذلك فإن خطة الخداع والتعتيم الإعلامى نجحت تماما وموهت على جهازى مخابرات قويين جدا: المخابرات المركزية الامريكية.. والموساد الإسرائيلى.

أما عن أخطر واصعب أيام الحرب بالنسبة لى، فإن لذلك قصة، لقد وضعنا استراتيجية لأن يكون لدينا احتياطى من كل الاحتياجات للشعب، وكذا احتياجات القوات المسلحة، وكانت كلها موجودة.

وقبل ٦أكتوبر كانت كمية ضخمة جدا من البوتاجاز محملة على سفن فى البحر المتوسط فى طريقها إلى الاسكندرية، وكان موعد وصول هذه السفن هو يوم الأول من أكتوبر وحدث شىء غير متوقع، إذ وردت برقية من وكالات الأنباء العالمية، بأن العدو سيقوم بضرب اية سفينة مصرية أو أجنبية تتجه إلى الموانى المصرية.

وكان وقع هذه البرقية خطيرا على نفسى، إذ كيف تدخل البلاد بشعبها وقواتها المسلحة حربا، من دون توفر البوتاجاز، وكان الرئيس السادات مشغولا فى القيادة العسكرية، ولا يجوز إزعاجه، وشاء الله أن يهدينى إلى قرار لم أعلنه حتى لايثير ذعرا فى القيادة أو الشارع.

فقد أرسلت برقية إلى هذه السفن المحملة بالبوتاجاز بالرجوع إلى اليونان، ثم يتم تأجير سفن أخرى تحمل البوتاجاز وتبحر بسرعة إلى طبرق فى ليبيا.. وقد تم ذلك بسرعة تامة، ثم ارسلت «قولا» من العربات من الإسكندرية إلى طبرق لنقل هذه الحمولات.. ووجدت بعد ذلك أنه يجب الحفاظ على احتياطينا من البوتاجاز فأصدرت قرارا بانقاص حجم الغاز فى الانابيب التى يشتريها الاهالى. من دون الاعلان عن ذلك، وبعد انتهاء الحرب وتحقيق النصر، أعلنت عما جرى، مع الاعتذار لكل من اشترى انبوبه.. فى أثناء الحرب!!

ولامليم*

فى جلسة هادئة واعدة مع الدكتور عبد القادر حاتم الذى ترجع معرفتى به إلى عام ١٩٥٥ حين كان مديرا لمصلحة الاستعلامات وكنت وكيلا بالنيابة بها.

الحديث عن معبد أبو سمبل وكيف كانت مشكلة لمصر بعد أن أقامت بنجاح السد العالى وستغمره المياه وحدث التفكير فى نقله من مكانه إلى مكان آخر مع الاحتفاظ بشكلة.

قال لى الدكتور حاتم إنه كان أيامها وزيرا للثقافة وعرض الأمر على الروس، لكنهم رفضوا الاشتراك لسببين أنهم بنوا السد العالى، والثانى أن موضوع المعابد ضد معتقداتهم.

الأمريكان أعدوا مذكرة لصالح العمل واقترحوا عدة ملايين لهذا العمل الكبير.

قال لى الدكتور حاتم إن فرنسا كان لها رأى.. أن يظل المعبد كما هو وتغمره المياه ويشاهده الناس من خلال غواصة. أثناء الاجتماع لدى الأمريكان تساءل رئيس اللجنة الأمريكية من هو مستر - أبو سمبل - الذى يحتاج إلى هذه الملايين.

* جلسة مع الدكتور حاتم : مجلة أكتوبر ، بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٩٩ .

فى ختام الجلسة مع الدكتور حاتم سألته سؤالا جرئيا.

ـ كم كنت تتقاضى أثناء عملك كمشرف على المجالس القومية؟

.. ولا مليم واكتفيت بمعاشى.

ـ معقول:

.. نعم.

كلمات*

الدكتور محمد عبد القادر حاتم رجل غنى عن التعريف فهو عميد الإعلاميين وشيخهم ورائد الإعلام المصرى والعربى، وأول من أنشأ وزارة الاعلام وتولى اعداد الكوادر الإعلامية فى العالم العربى، وهو الذى كان مسئولا عن الوزارة التى تولت حرب اكتوبر المجيدة.

وهو مولع بحب مصر وشديد الاعجاب باليابان، زارها أكثر من سبع مرات وقابل أكثر من خمسة رؤساء لوزاراتها، وتربطه صلات وثيقة بأربعة منهم وهو من سنوات طويلة يرأس جمعيه الصداقة المصرية اليابانية، وهو الرئيس لجمعية الصداقة العربية اليابانية فى «طوكيو»، والجمعية الاقتصادية المصرية اليابانية.

وبمناسبة مرور ربع قرن على رئاسته للجمعية الأولى اصدر كتابا ضخما فى قرابة ألف صفحة من القطع الكبير عنوانه «أسرار تقدم اليابان» قدم من خلاله بايجاز شديد كما يقول.. قصة شعب استطاع أن يحذف كلمة مستحيل من قاموسه.. شعب تعرض لأسوأ هزيمة عسكرية في التاريخ الحديث فلم يستسلم للبكاء على اطلال الحرب والدمار الذى خلقته هذه الحرب، ولم يجعل من حاضره ساحة يحاكم فيها الماضى حتى لايفقد حاضرة ومستقبله، وانما استطاع هذا الشعب بجهود ابنائه وحبهم لوطنهم أن يصنع فى فترة زمنية محدودة، اربعين عاما، ماتعجز بعض الامم عن انجازه فى مئات السنين.

* محمود عبدالمنعم مراد: جريدة الأخبار، بتاريخ ١٦/١/١٩٩٨ .

ماهى أسرار تقدم اليابان ؟

لقد طرح المؤلف هذا السؤال على عديد من رؤساء الوزراء وكبار المخططين والخبراء فاشترك كثير منهم فى ذكر الأسباب التالية:

التعليم والتعليم ثم التعليم.. ولهذا وضع المؤلف كتابا خاصا عن التعليم فى اليابان ثم الادارة اليابانية، وكذلك وضع عنها كتابا مستقلا، ثم يجئ بعد ذلك الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى ثم تاريخ وتقاليد اليابان وإحياء فكرة اليابان العظمى أو اليابان الأمة المقدسة التى جاءت من نسل آلهة الشمس.

ثم يجيء دور المرأة اليابانية ثم الدولة التى لاتعتمد على القوة الحربية ثم الصناعات الصغيرة بجانب الصناعات العملاقة والمساواة بين أفراد الشعب ووحدة المجتمع والانتماء والولاء والتقييم المستمر للتجارب والاستطلاعات المستمرةللرأى العام حتى تساير السياسة متطلبات واحتياجات الشعب.

والتصدير أولا، والادخار والانتاجية اليابانية والترابط الاسرى والتعاون بين الجميع وروح الفريق فى كل عمل واسلوب اتخاذ القرار، وعدم الدخول فى مشاكل العالم وعدم ضياع وقت المسئولين فيها، والمشاركة الشعبية واستخدام الاساليب التكنولوجية الحديثة بالتقليد والابتكار، واخيرا المجتمع التنافسى الذى يتنافس فيه الجميع من أجل الأفضل. •

هذه نقاط لاشك تجيء بعدها أو معها نقاط أخرى كثيرة وفى كل نقطه منها يطول الشرح والبيان. وكثيرا مانتساءل لماذا تقدمت اليابان بالسرعة المذهلة كالصاروخ ونمشى نحن على مهل؟ أو كنا كذلك حتى سنوات قليلة مضت. وقد يستطيع القارىء الحصيف أن يعرف السر بعد قراءة الكتاب الضخم الزاخر بالتجارب والدروس والعبر، وقد نعرف السر ونتعلم الكثير.. ولكن المهم هو العمل .

صباح الخير*

جلست اقلب صفحات كتاب.. «حياتى فى المسرح» للمخرج المسرحى المعروف جلال الشرقاوى، واستوقفتنى الصفحة التاسعة عشرة من الكتاب.. فقد احتلتها صورة اعلان قديم عن ٩ مسرحيات تقدمها فرق التليفزيون المسرحية فى الفترة من ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ حتى ٢٩ يناير ١٩٦٣.

وجاء فى الاعلان عنوان كبير.. تقول كلماته: فرق التليفزيون المسرحية تقدم كل ٥ أيام مسرحية جديدة على مسرح التليفزيون، ثم اشار الاعلان إلى أسماء المسرحيات وكتابها ومخرجيها.. وجاء فى نهايته، الاسعار: ٢٥ قرشا و١٦ قرشا وتسعة قروش ونصف قرش!

وعادت بى الذاكرة إلى تلك الأيام.. أيام الستينات.. يوم كان فى مصر مسرح محترم.. يحترم عقول الناس.. وتحترمه الناس! ويوم شهدت مصر نهضة مسرحية كبيرة قادتها الدولة من خلال فرق التليفزيون المسرحية، التى قام برعايتها وتشجيعها الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والاعلام فى ذلك الوقت.. والتى كانت من وراء مولد العديد من نجوم المسرح الكبار.. الذين وجدوا انفسهم وحصلوا على فرصتهم من خلال المسرحيات العديدة التى كانت تقدم فى ذلك الوقت.

كلمات *

لابد من كلمة تحية أوجهها إلى الدكتور محمد عبد القادر حاتم، بمناسبة تركه لمنصبه الذى تولاه من بعده الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء الأسبق، وأعنى منصب المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة، وهو منصب غير تنفيذى ومحصور نشاطه فى إعداد الدراسات اللازمة لسياسة الدولة فى مختلف المجالات، ورفع هذه الدراسات إلى السيد رئيس الجمهورية شخصيا، بلا

* سعيد سنبل : جريدة الاخبار ، بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢ .
* محمود عبدالمنعم مراد: جريدة الأخبار، بتاريخ ١٩٩٦/١/٧ .

مرور على السلطة التنفيذية ولا غيرها من السلطات الأخرى، وفى السنوات الأخيرة كان لى شرف المشاركة فى نشاط هذه المجالس وشرف الحديث عنها بين آونه وأخرى.. وقد تعلمت أكثر مما أفتيت، ووجدت مواد للكتابة - اليومية فى هذا المكان، جعلتنى أتابع قضايا الوطن الذى أنتمى إليه وأقف إلى حد كبير على مختلف وجهات النظر فى هذه القضايا. وكان الدكتور حاتم يتفضل بدعوتى للمشاركة فى نشاط معظم المجالس اضافة إلى المجلس الأصلى الذى كنت عضوا فيه. وهو المجلس القومى للثقافة والفنون والآداب والإعلام.. وقد افادتنى أيضا الموسوعة التى أصدرتها المجالس القومية، شاملة للتقارير التى أعدتها المجالس فى مختلف القضايا الهامة، منذ بدء انشاء هذه المؤسسة البحثية الضخمة، فكان قوام هذه الموسوعة عشرون مجلدا كبيرا اعتبرها كنزا، واذا اضفت إليه ما أصدره مجلس الشورى من سلسلة التقارير التى اعدتها اللجان المختلفة، كان أمامى وتحت يدى كل ما أريد معرفته عن قضايا بلدى المعاصرة، وكيف نعالجها، من الآن وحتى سنة ألفين.. التى أصبحت قريبة.. ولم تكن شخصية الدكتور حاتم بعيدة عنى، فقد عرفته منذ بدء عمله رئيسا لهيئة الاستعلامات فى عهد الرئيس عبد الناصر، ثم تدرجه حتى وصل إلى نائب رئيس الوزراء فى عهد السادات.. وفى أيام حرب أكتوبر، ثم تكررت اللقاءات بعد ذلك فى السنوات الأخيرة التى كنت استمتع فيها بلقاءاتى معه هو وأعضاء المجالس وعددهم بالمئات، وهم من خيرة المثقفين والخبراء فى هذا البلد.

وكان الدكتور حاتم يحرص حرصا شديدا على حضور الجلسات فى الساعة العاشرة من الصباح بالدقيقة والثانية.. وكان ينتهى أيضا فى الثانية عشرة بالضبط.

وكان مع الأعضاء يؤلف كوكبة من المهارات.. والخبرات.. والعقليات البارزه والمتعددة الاتجاهات المختلفة الرؤى مما كان يساعد على أن يكون

التقرير النهائي لأي موضوع شاملا لمختلف وجهات النظر، مغطيا لكل الزوايا.. معبرا عن الرأي الجماعي المستخلص من مناقشات ديمقراطية هادئة ومهذبة وأخوية.. وكان الدكتور حاتم هو الأخ الكبير المحيط بمختلف المسائل والموضوعات والمشكلات.. وكان كثيرا ما يشكل لجانا خاصة تضم نخبة من الخبراء والمتخصصين في شتى فروع المعرفة، تجمعهم اللجنة الخاصة رغم عضويتهم في مختلف لجان المجالس، لتكون الدراسة جامعة شاملة.. وفي هدوء وصمت، كانت المجالس القومية تؤدي خدمة كبرى تتمثل في أن تضع تحت يد الرئيس دراسات وأبحاثا وتقارير في شتى الموضوعات القومية، فتحية له واعترافا بفضله، ودعاء إلى الله أن يوفق خلفه الدكتور عاطف صدقي في تحمل المسئولية.

عبد القادر حاتم والنجاح الحاسم*

حينما نتكلم عن الدكتور عبد القادر حاتم إنما نتكلم عن رجل سياسة وعلم، فهو جزء لايتجزأ من تاريخ ثورة ٢٣ يوليو، واستطاع خلال اربعة وابعين عاما هي عمر هذه الثورة أن يشق طريقه في مجالات عديدة وأن تكون أعماله في كل ما شغله من مناصب نقطة مضيئة في تاريخ مصر الحديث سواء كان ذلك في الإعلام أو السياحة أو تحت قبة البرلمان أو في مجال الحكومة التي رأسها نائبا عن الرئيس الراحل أنور السادات في أحلك الظروف وأصعبها، واستطاع بجدارة وبقدرة فائقة أن يمسك بزمام الأمور في فترة حرب أكتوبر المجيدة، فكان يواجه الصعاب والعقبات والصدمات بصدر وعقل مستنير ومرونة سياسية فائقة الحد مكنته من أن يستوعب كل ماصادفه من معوقات وما قابله من مشكلات.

بدأ عبد القادر حاتم حياته ضابطا لامعا في الجيش ثم مالبث أن إلتحق بمعهد العلوم السياسية بعد حصوله على درجة الماجستير في العلوم العسكرية «أركان

* مصطفى كامل مراد : جريدة الأحرار ، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٧ .

الحرب» وقد شاءت الظروف أن أزامله فى معهد العلوم السياسية فى أوائل الخمسينات، ثم مالبث أن حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية، وعهدت إليه الثورة بمصلحة الاستعلامات فأنشأها وطورها وادخل عليها كل جديد فى مجال الإعلام، ثم مالبث أن اختاره الزعيم جمال عبد الناصر ليتولى مسئولية وزاة الإرشاد فكان أول من أدخل التليفزيون فى مصر وبنى له ذلك الصرح الكبير الذى نشاهده حتى اليوم، ثم مالبث التليفزيون المصرى أن أصبح على قمة الإعلام المصرى والعربى، ثم كان مجاله واسعا فى السياحة واستطاع أن يطور هذه الوزارة وأن ينشيء أكبر عدد من الفنادق شهدتها مصر فى ذلك الوقت ثم مالبث أن عهد إليه (الرئيس السادات) بأعمال مجلس الوزراء فى أصعب وقت وادق ظرف، وبعد أن انتهت مهمته فى رئاسة مجلس الوزراء عهد إليه بإنشاء المجالس القومية المتخصصة وكانت فكرة جديدة على مصر، واستطاع عبد القادر حاتم فى العشرين عاما الأخيرة أن ينشيء مجالس قومية فى مختلف المجالات الاقتصادية والانتاجية والاجتماعية والثقافية نبعا للفكر المصرى العميق فى كل المجالات، وأصبحت تقاريره نبراسا تسترشد به الحكومات المتعاقبة فى جميع المجالات، ولو أخذت بها كلها لحلت مشاكل مصر المستعصية.

لقد قدم حاتم لبلاده كنزا كبيرا من البحوث العلمية والتطبيقية فى كل مجال قد يخطر على بال الحكومة، وتميزت البحوث التى قدمتها هذه المجالس بالعمق والمقارنة والاستقراء بطريقة لم يسبق لها مثيل، واستطاع عبد القادر حاتم ببراعته وفراسته أن يختار مجموعة ممتازة ونخبة عظيمة من رجالات مصر فى مجال العلم والبحث والتنفيذ، وأن يخرج لمصر مجلدات ضخمة من الابحاث فى كل نواحى الحياة المصرية فى الماضى والحاضر والمستقبل.

وخلاصة القول أننا لايمكننا أن نحصى أعماله المجيدة والبناءة سواء فى مجال الوزارة أو فى مجال البحوث، ولكننا نشير إليها اشارة سريعة لنبرز الصورة الحقيقية لهذا البرلمانى القدير والسياسى المتمكن والباحث العميق الذى يعتبر

نموذجا لكل من أراد أن يحذوه فى هذه المجالات المتعددة .. لقد كان عبد القادر حاتم عدة مدارس متنقلة يتخرج فيها رجالات الدولة فى كل المجالات.

فكرة*

فى سنة ١٩٧٤ كلف رئيس الجمهورية أنورالسادات الدكتور عبد القادر حاتم بمهمة انشاء المجالس القومية المتخصصة ، فاختار ثلاثة من علماء الاقتصاد وهم الدكتور عبد الجليل العمرى والدكتور على الجريتلى والدكتور عبد المنعم القيسونى ، وطلب منهم الاشتراك فى وضع تصورهم لهذا الجهاز ، وسألوه هل سيسمح لنا بالحرية التامة فى تسجيل رأينا فى القطاع العام؟ فقال الدكتور حاتم فى الحال انتم احرار فى كتابة ما ترون .. سألوه وهل سيسمح لنا بكتابة رأينا فى القطاع العام؟؟ قال حاتم : اكتبوا ما ترون أنه من مصلحة مصر ، واكتبوا تقريرا ينادى بالحرية الاقتصادية .. ووضعوا توصيات بتصفية القطاع العام . كان علماء مصر وكبار خبرائها أعضاء فى المجالس القومية المتخصصة من كافة الأحزاب والاتجاهات يتناقشون فى كل الموضوعات . وكانت النتيجة بعد المناقشة هى الاجماع بلا تصويت أو معارضة لحبهم وإيمانهم بمصر .. وكان الرئيس حسنى مبارك يرأس هذه المجالس فلم يفرض رأيه يوما على حاتم أو على المجالس القومية المتخصصة، وكان حاتم يقول دائما: هذه المناقشات فى المجالس القومية بلا قيود أو حدود، ولذلك كانت التوصيات الناجحة والآراء السليمة تصدر بما تمليه مصلحة البلاد، وكان الأعضاء يحرصون على حضور الجلسات مع أنهم كانوا لا يتقاضون مرتبات أو مكافآت شهرية أو سنوية، كانت مكافآتهم ٤٠ جنيه تخصم منها الضرائب، وكان الدكتور حاتم وعدد كبير من الأعضاء يتنازلون عن استلام هذا المبلغ!

وفى السبعينات طلب رئيس الجمهورية من حاتم أن يحضر له أحد كبار المتخصصين لاستشارته فى موضوع فنى، فإذا بالزائر الكبير يجيب عجبا

* مصطفى أمين : جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٦/١/٨.

«ياسيادة الرئيس ما هو رأيك حتى أكتبه ليكون رأيي مؤيدا لرأى سيادتكم؟ وانتفض الرئيس السادات واقفا وقال «إن رأيي سأقوله للدكتور حاتم ليقوله لك».

شعور أعضاء المجالس القومية بالحرية العلمية وعدم تدخل الرئيس مبارك فى فرض رأيه عليهم هو السبب فى نجاح هذا التجمع العلمى الرفيع، وفى الانجاز العلمى الضخم للتقارير التى تصدرها المجالس القومية المتخصصة والذى سيكون سجلا موثقا لكل اصلاح فى بلادنا.

ان من يقرأ مقترحات المجالس القومية منذ عشرين سنة يذهل لأنه يجد أنها طالبت بكل ما فعلناه فى بلادنا بعد عشرين سنة!

وهذا هو الدكتور حاتم!.

وجهه نظر.. رجل وتاريخ *

عشرون عاما مضت على قيام أول جهاز على أعلى مستوى علمي وثقافى وبحثى فى مصر، عندما كلف الدكتور عبد القادر حاتم بإنشاء هذا الجهاز الأول من نوعه فى مصر ليضم افضل الخبرات العلمية المصرية بتاريخها الطويل فى الفكر والدراسة والبحوث، وليستمروا فى تقديم هذه الخبرات لمشروعات مصر ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية والانتاجية، وجمع معهم البحوث والدرسات التى أجراها علماء مصر، ولم تتمكن حكومات متتالية من تنفيذها لقصور مادى أو موانع أخرى.. وظل جهاز المجالس القومية المتخصصة يعمل بعلمائه الذين كانت لهم كل الحرية فى تقديم آرائهم وأبحاثهم لتخرج فى النهاية بتوصيات ناضجة يقدمها المشرف على المجالس كل فترة إلى رئيس مصر، لتكون عونا للجهاز الحكومى فى وضع كل السياسات لمصلحة المواطن المصرى، وتاريخ الدكتور محمد عبد القادر حاتم كمواطن مصرى عهد إليه بمهام كثيرة طويل وحافل بأعمال مجيدة انجزها فى صمت دون جلبة إعلامية.. وإذا أردنا حصر هذه الأعمال فإن ذلك يحتاج إلى كتاب.. ولكن هناك نماذج مضيئة.. أولها

* محمد مصطفى البرادعى : جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩٩٦/١/٨ .

دوره كنائب لرئيس الوزراء، وكان فى الحقيقة هو رئيسها المسئول إبان معركة الشرف المصرية عام ١٩٧٣، فقد استطاع هو والرجال الذين كانوا معه تهيئة الجبهة الداخلية وتأمينها ماديا ونفسيا للاستعداد للمعركة وخلالها حتى جاء إلينا النصر.. وإذا ذكرنا بعضا من أعمال الدكتور حاتم.. منذ كان مديرا لمصلحة الاستعلامات وتطويره لها ليصبح لها دورها المهم فى الإعلام الداخلى والخارجى والرد على افتراءات كثيرة ضد مصر.. وكان ممثلا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى مباحثات سرية وطنية قبل وخلال حرب ١٩٥٦.

والتليفزيون المصرى العملاق بما يضم من ثروة بشرية إعلامية وتكنولوجية حديثة يشهد على انجاز هذا المواطن المصرى الذى أنشأه فى شهور ليتحول إلى عملاق ضخم فى الشرق الأوسط، والطفرة الثقافية فى الكتاب والنشر فغمر المكتبة المصرية بكل نوعياتها بآلاف الكتب التى هيأت لكل مواطن أن يقرأ وبقروش قليلة.. ويتحدث المسرح المصرى عن جهود هذا الرجل الذى أخرجه إلى الحياة مرة أخرى وكان مولد فنانين مصريين نعتز بهم فأصبحوا علامات فى ميادين الفن المصرى.. وحتى فى ميادين السياحة والفندقة كانت له بصمات بإنشاء الفنادق الكبرى التى لم يكن لدينا منها إلا عدد أصابع اليد الواحدة.

إن المواطن المصرى محمد عبد القادر حاتم حقا علينا بعد هذه السنوات الطوال من العمل المجيد أن نقدم له تحية واجلال كل مصرى وأن يكتب عنه من عمل معه أو عرفه عن قرب ما يشرف كل مواطن مصرى وكل عامل فى بلدنا، وهو اليوم يسلم الراية بعد عمر مديد إلى عالم وعلم من أبناء مصر الدكتور عاطف صدقى ليكمل مشوار المجالس القومية المتخصصة بدراساتها وآرائها، ونحن ندعو له بالصحة والتوفيق فى مهمته بعد أن أدى لمصر كل ما فى وسعه بعلم وعمل وجهد وسهر الليالى.. وكانت كلمات الرئيس حسنى مبارك له معبرة عما فى صدر كل مصرى، ولنقل جميعا.. إن مصر تعتز برجالها العظام وهم كثيرون.

صباح الخير*

كلف الرئيس حسنى مبارك الدكتور عاطف صدقى بالاشراف على المجالس القومية المتخصصة.

وقد انشئت هذه المجالس فى عام ١٩٧٤، عندما طلب الرئيس الراحل أنور السادات من الدكتور عبد القادر حاتم الذى كان قائما بعمل رئيس الوزراء فى ذلك الوقت.. العمل على تشغيل مجموعة من المجالس القومية المتخصصة.. تتولى رسم السياسات القومية المستقبلية للبلاد.. وترفع تقاريرها إلى رئيس الجمهورية مباشرة.. وكلفه بالاشراف عليها.

واختار الدكتور حاتم مجموعة من ألمع وأشهر العقول المصرية.. بالإضافة إلى أصحاب الخبرة فى المجالات المختلفة المتخصصة.. وشكل منهم المجالس القومية المتخصصة.

وخلال العشرين سنة الماضية.. وضعت المجالس أصابعها، على أمراض المجتمع المصرى فى المجالات المختلفة من اقتصاد، وتعليم، وخدمات، وثقافة، وعلوم.. وغيرها.. وغيرها.. وقامت بتشخيصها وأعدت تقارير مطولة عنها.. ولم تكتف بالتشخيص..

إنما وضعت روشتات العلاج لهذه الامراض..وهى روشتات يجرى تطبيق وتنفيذ العديد منها فى الوقت الحاضر.

لقد عاشت هذه المجاس نحو عشرين سنة متواصلة فى الظل.. وعملت فى الظل.. وتوارت العديد من تقاريرها الهامة فى الظل.

وقد لا يعرف الكثيرون من أبناء هذا الجيل.. الدور المؤثر الذى لعبه الدكتور عبد القادر حاتم فى الإعلام المصرى. .ويكفى أن التليفزيون المصرى، ولد، وظهر إلى الوجود على يديه فى عام ١٩٦٠، وعلى يديه ايضا تم إقامةالمبنى

* سعيد سنبل : جريدة الأخبار، بتاريخ ١٩٩٦/١/٩ .

الضخم المطل على النيل، والذى ضم مختلف استوديوهات التليفزيون والإذاعة.. وأصبح أحد الرموز الإعلامية فى مصر.

والذين عايشوا أحداث ٥يونيو ١٩٦٧ عندما كان الدكتور حاتم بعيدا عن الإعلام المصرى.. وعايشوا أحداث ١٩٧٣ عندما تولى حاتم مسئولية الإعلام من جديد.. يدركون على الفور مدى الهوة الكبيرة التى فصلت بين التاريخين، والحدثين!

فى ٥ يونيو.. تحول الإعلام إلى بوق للأكاذيب والبطولات الكاذبة. والتى سرعان ما انكشف امرها، وتسببت فى انهيار سمعة هذا الجهاز! بينما ارتفع أداء الإعلام المصرى فى ظل معارك ٦ أكتوبر إلى مستوى القمة.. وكان إعلامنا صادقا ومحترما.. هادئا وموضوعيا، وخاليا من االتشنجات.. مما جعله يستعيد ثقة الناس والجماهير، وكان الفضل فى ذلك للدكتور حاتم، الذى كان يرأس الجهاز الإعلامى فى ذلك الوقت.

إنها كلمة حق.. يستحقها رجل خدم بلاده فى مواقع مختلفة.. وترك بصماته فى كل موقع..

نبضات*

المجالس القومية المتخصصة، لقد أشرف عليها الدكتور محمد عبد القادر حاتم منذ عام ١٩٧٤، وقد نجح فى ادارتها واستطاع أن يجعل منها نبعا يضم صفوة المجتمع المصرى فى كل مجالات العلم والثقافة والفن والمعرفة، وفاض النبع وتدفقت منه التقارير والمجلدات التى تضم الدراسات والابحاث التى حددت المشاكل وشخصت الامراض وقدمت العلاج، ولم تحظ مصر فى تاريخها الحديث بمثل هذا النجاح فى الاداء وفى العطاء.

عبد القادر حاتم وبنك العقول**

لم يشهد التاريخ الوزارى رجلا أحبه الناس والعاملون معه مثل ماحدث للدكتور عبد القادر حاتم، فكان حاتم صديقا لكل العاملين فى قطاع الإعلام،

* د. نعمان جمعه : جريدة الوفد، بتاريخ ١٩٩٦/١/١١ .
** الرأى للجميع : جريدة الأهرام المسائى، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٣ .

استمرت هذه الصداقة سنوات طويلة حتى بعد أن ترك العمل الوزارى وأصبح مشرفا على المجالس القومية المتخصصة، وكان للدكتور حاتم سمة غريبة وهى أنه لايزال الوسط الصحفى والإعلامى يتذكر أياديه البيضاء رغم المدة الطويلة التى مرت على خروجه.

علامات استفهام*

للدكتور محمد عبد القادر حاتم تاريخ طويل فى خدمة البلد. فهو رائد الإعلام المصرى الحديث.. وكمسئول عن المجالس القومية المتخصصة استطاع توظيف أكبر العقول والخبرات فى إيجاد حلول للمشاكل فى كل المجالات.. مشكلته.. هى أن أجهزة التنفيذ لم تستفد من هذه الدراسات...

همسات **

يستحق الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة تحية تقدير على جهوده التى بذلها فى هذا المنصب، الذى استكمل به مسيرة عطاء مخلص قدمه للوطن على امتداد أكثر من ٤٠ عام

المجالس القومية المتخصصة***

قليلون من يعرفون أن المجالس القومية المتخصصة جزء من نظام الدولة فى مصر، فقد انشئت طبقا للمادة ١٦ من الدستور وتقضى بأن تنشأ مجالس متخصصة على المستوى القومى تعاون فى رسم السياسة العامة للدولة فى جميع مجالات النشاط القومى وتكون هذه المجالس تابعة لرئيس الجمهورية، ويحدد تشكيل كل منها واختصاصاته قرار من رئيس الجمهورية.. وجاء وضع هذه المجالس فى سلم توزيع السلطة التنفيذية فى الفرع الرابع.

---

* مجلة أكتوبر، بتاريخ ١٤/١/١٩٩٦ .

** محمد باشا : همسات ، جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٥/١/١٩٩٦ .

*** د . صليب بطرس : جريدة العالم اليوم ، بتاريخ ١٧/١/١٩٩٦ .

وفى سنة ١٩٧٤ أصـدر رئيس الجمهورية القرار رقم ٦١٥ بتكوين هذه المجالس وتحديد اختصاصاتها، وتم اختيار الدكتور محمد عبد القادر حاتم ليكون أول مشرف عام عليها وظل كذلك خلال عقدين حققت فيهما نجاحا ضخما.

وفى أثر ذلك استطلع المشرف على المجالس أراء ثلاثة من رجال الاقتصاد المصريين فى الخطوط العريضة التى تجب مراعاتها فيما يكون عليه الدرب الذى تسير فيه هذه المجالس.. وكان الثلاثة هم عبد الجليل العمرى وعلى الجريتلى وعبد المنعم القيسونى.. وعرف عن ثلاثتهم أنهم ممن يعتنقون سياسة الحرية الاقتصادية برغم أن الأخير منهم اشترك اشتراكا فعليا فى تنفيذ المرحلة الشمولية التى تجرعها الاقتصاد المصرى فى الحقبة الناصرية، وقد طرحوا على الدكتور حاتم فى أول لقاء لهم معه سؤالا عن مدى مساحة الحرية المسموح للمجالس القومية أن تمارس نشاطها فيها.. وقد أذهلتهم الاجابة التى تلقوها وتحمل بين طياتها رغبة صادقة فى العودة باقتصاد مصر إلى الحظيرة الليبرالية.. فنصحوا وبوضوح باتخاذ خطوات واسعة فى إلغاء القطاع العام.

وعلى يد المجالس المتخصصة عرفت مصر استشراف المستقبل بحثا عن ركائز الاقتصاد الحر فى الزمن الطويل وطريقة ممارستها بكفاءة تامة .. ومما أكدته هذه المجالس ضرورة الاعتماد على الحصر الشامل لموارد الاقتصاد المصرى على أسس حقيقية موضوعيه علمية.

ومما يتعين ذكرة كمثل يضرب فى هذا المجال أن المجالس المتخصصة صححت معلومة عن الأسس التى يستند إليها تقدير ما يمكن استصلاحة من الأراضى القابلة للزراعة.

فقد كان الشائع أن هذه المساحة تبلغ ٢,٨ مليون فدان حتى سنة ٢٠٠٠ ... وفجرت المجالس قضية مدى كفاية الموارد المائية لتحقيق هذا الرقم.. وأعيد البحث وتبين أن هذه الموارد المتاحة لا تكفى إلا لاستصلاح ١,٦ مليون فدان فقط.. وثمة أمثلة أخرى كثيرة.. ويكمن نجاح هذه المجالس فى تأدية دورها فى

الاشتراك فى توجيه ادارة الاقتصاد إلى طريقة اختيار الأعضاء.. فهم من علماء مصر واصحاب الخبرة والتجربة شيوخا وشبابا.. إنهم فئة عزفت عن الكسب المادى وأحسن اختيارهم.

سماعى*

لابد من كلمة أمينه تقال عن د. عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة. فقد (بنى) حاتم هذا الكيان عبر سنوات طويلة من الجهد والعمل المضنى، واستطاع أن يخرج من عقول مصر بنتائج بحوث هى غدة عقل الدولة وساعدها الأيمن فى عبور المشكلات، فإذا تولى اليوم د. عاطف صدقى المهمة.. فهو يجلس على دفة مركب مبحر منذ سنين .

اقتراح.. وكلمة واجبة**

كلمة واجبة.. وحق يجب أن يقال.. ففى الوقت الذى يترك فيه الدكتور محمد عبد القادر حاتم عمله فى المجالس القومية المتخصصة.. لابد من كلمة تقدير واجلال لما قام به.. ولما التزم به من أجل مصر وفى سبيل مصر.. وأشهد أن الرجل فى عمله.. كان يحيى فى مصر.. مثاليات افتقدناها..واقف عند امرين هما من أخلاقيات الإسلام وأولوياته.

أولها: حسن اختيار المعاونين والمشاركين وانزال كل واحد منهم قدره ومركزه..واعتبار أنه من المشاركين فى مجال المجالس القومية.. أمناء يعطون لمصر ما وهبهم الله من علم وخبرات وأن ينقلوا إلى الدراسات ما علمهم الله.. والإسلام يحرم احتكار العلم.. ومن هنا كانت اختياراته للأعضاء غاية فى التوفيق.

---

* مفيد فوزى: مجلة صباح الخير، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٨.
** صلاح عزام : جريدة المساء ، بتاريخ ١٩٩٦/١/١٩ .

وثانى هذ ه الأمور.. الدقة فى المواعيد.. فقد كان يحدد لكل شعبة وقتا تنتهى فيه من الدراسة.. وكانوا جميعا عند صدق الوعد.

بل أذكر وبكل تقدير جلسة السبت من كل اسبوع للمجالس القومية.. التى أعادت الينا احترام الوقت والوفاء به.. ويضرب مثالا افتقدناه فى كل المجالات، اذ كانت الجلسة تبدأ مع دقات الساعة العاشرة صباحا وهو يعلن بداية الجلسة بسم الله الرحمن الرحيم

... وتنتهى فى تمام الثانية عشرة بقوله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبنظام رائع.. يجعل العضو ملتزما بأى ميعاد سابق أو لاحق..

وشكرا لله.. وللدكتور محمد عبد القادر حاتم.

نصف كلمة*

شغل الدكتور محمد عبد القادر حاتم مناصب عديدة لكن يبقى له على الزمان فضل انشاء التليفزيون. وهو الذى أقام هذا المبنى الضخم، وهو الذى أتم تجهيزه، ولا أقل من اطلاق اسم د. حاتم على أكبر ستوديوهات ماسبيرو تكريما لرجل قدم الكثير لبلد قيل عنه: كل شىء فيه ينسى بعد حين.

رئيسا فخريا لجمعية محبى الفنون

قرر مجلس ادارة جمعية محبى الفنون الجميلة تعيين الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية سابقا.. رئيسا فخريا مدى الحياة تقديراً لدوره الكبير فى رعاية الفنون.

صورة عن قرب ***

لاسم عبد القادر حاتم رنين خاص فى الساحة الإعلامية والسياسية المصرية، بدأ فى الخمسينات ولايزال له وقعه حتى الان، والصورة التى نحاول رسمها عن

* أحمد رجب، جريدة الأخبار ٢٣ فبراير ١٩٩٦ .
** جريدة الجمهورية، بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٩٦ .
*** مجلة الشرق الأوسط بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٩٦ .

قرب لرحلة تمتد فى نهر الحياة لسبعة وسبعين حولا من الجهد والانشغال بالإعلام والثقافة، تحتاج لحوار دقيق أطول من تلك المدة الزمنية التى أتاحها وقت الرجل من خلال انشغالاته الدائمة فى المجالس القومية المتخصصة، والتى تعد الفناء الخلفى لأروقة السياسة المصرية ومعمل التغذية لصانع القرار المصرى.

فى مكتبه فى المجالس القومية المتخصصة على كورنيش النيل بالقاهرة كان اللقاء مع الدكتور محمد عبد القادر حاتم. وبرغم أعبائه الكثيرة إلا أنه آثر أن يخصص هذا الجزء من وقته ليجيب عن كل تساؤلاتنا.. وهذا نص الحوار:

لاشك فى أن نضج الشخصية، يكون له مقدمات منذ الطفولة .. فهل يمكن أن نمر مرورا سريعا على طفولة الدكتور «محمد عبد القادر حاتم».

- ولدت فى سبتمبر ١٩١٨ فى مدينة الاسكندرية العزيزة على قلبى.. وقضيت مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية فيها، ثم التحقت بعد ذلك بالكلية الحربية فى القاهرة، وتخرجت فيها برتبة الملازم فى عام ١٩٣٩.

ولاشك أن نشأتى الأولى كان لها تأثيرها فى اختيارى للكلية الحربية بعد ذلك، حيث كنت فى المرحلة الابتدائية طالبا بمدرسة العطارين الابتدائية، وكان الرئيس «عبد الناصر» والمرحوم النائب «عبد العزيز كامل» فى نفس المدرسة، وكانت هناك مظاهرات كثيرة ضد الانجليز، ومن هنا يمكن القول أن نشأتى سمحت لى منذ طفولتى بمعايشة الأوضاع السياسية فى تلك الفترة والتأثر بها، ثم بعد ذلك التأثير فيها، وفى الإسكندرية كان الأجانب لهم صولجان.. الشرطة رئيسها حكمدار انجليزى، المحلات الرئيسية عليها الاسماء باللغات الاجنبية، وإذا دخلت لشراء أى شىءتجد الاجنبية تحدثك بالفرنسية أو الايطالية، ومع ذلك الفنون والمعارف منتشرة كل يوم، واذا دخلت السينما تجد كل أبناء البلد فى ناحية والاجانب فى ناحية أخرى. كذلك اذا حدثت مشاجرة بين ابن البلد

ومالطى أو قبرصى أو أى أجنبى، تجد الامتيازات الاجنبية تحمى الأجنبى، ولايقبض عليه بالرغم من أنه هو المذنب.

إذا ما انتقلنا إلى فترة الشباب فى حياتك.. هل يمكن أن نتوقف عن أهم المعالم الواضحة للشاب المتفتح المثقف وآماله العريضة فى المستقبل؟

- لاشك أن مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية والمظاهرات الوطنية، ساعدت على نمو النزعة الوطنية عندى، حتى إننى بعد أن تخرجت فى الكلية الحربية وجدت أن ذلك ليس كافيا حيث أن الكلية الحربية تخرج ضابطا متخصصا فى فنون القتال والأعمال العسكرية، بينما معركة مصر فى تلك الفترة فى اعتقادى لم تكن عسكرية فقط، بل سياسية وثقافية واجتماعية أيضاً، من هنا كان على أن أزود نفسى بثقافات كثيرة منها أننى التحقت بكلية الحقوق لمدة عامين، ثم بمعهد الاحصاء لمدة عامين، ثم بدأت فى كتابة مقالات فى المجلات والصحف عن الاقتصاد السياسى وتبسيطه للقراء، فكانت مقالات مجلة روز اليوسف التى مكثت خمس سنوات اكتب بها باسم «عبد القادر حاتم» ولا أحد يعرف أننى ضابط فى الجيش، وكان يكتب فيها «إحسان عبد القدرس» والرئيس الراحل «محمد أنور السادات»وكان سليم اللوزى رحمه الله سكرتيرا للتحرير، وفى يوم ركب معى سيارة الجيش المخصصة لى، وكانت الطامة الكبرى حيث كان مراقبا من القلم السياسى، واستدعيت إلى القلم السياسى بوزارة الداخلية، وكاد مستقبلى يضيع، لولا أننى قدمت كل مقالاتى وكلها عن الاقتصاد السياسى، كان رئيس القلم السياسى المصرى اسمه سليم بك زكى، وكان سؤاله الهام: لماذا تكتب فى الصحف؟ ألا تعرف أن ذلك ممنوع.. فأخبرته بأننى أحاول أن ازود علمى بثقافات وعلوم مختلفة، فحصلت فى عام ١٩٤٧ على دبلوم فى الاقتصاد السياسى من لندن، ومارست الكتابة، وهى وسيلة لخدمة وطنى بهذه الثقافة، ثم قلت له يمكنك أن تبلغ الجيش عنى!! وهنا سيضيع مستقبلى.. فرأيته يقوم ويوصلنى إلى خارج المبنى قائلا: إنك صادق وفعلت ما لم يفعله غيرك من الشباب الذى يقضى وقته فى اللهو.

بعد ذلك، حصلت على ماجستير العلوم الاستراتيجية من كلية أركان الحرب عام ١٩٥٢، ثم على ماجستير العلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠، وكان موضوع الرسالة «الإعلام لتحقيق الاستقرار الداخلى والسلام العالمى».

وكان نصب عينى فى كل هذه الدراسات احتياجات الوطن، وأن المرحلة القادمة هى مرحلة كفاح سياسى وثقافى إلى جانب الكفاح العسكرى ضد الاحتلال فى ذلك الوقت، وقد كانت نظرتى صحيحة، فقد ساعدتنى هذه الدراسات إلى جانب قراءاتى فى جميع أفرع الثقافة فى مراحل عملى المختلفة منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ ـ وحتى الآن لا أتوقف عن القراءة والاطلاع على كل ما هو جديد سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

أحلام الرواد هى التى تحدد معالم طريق كفاحهم.. فماذا كانت أحلام الدكتور حاتم فى فترة نضجة؟

ـ نحن جيل حمل أعباء كثيرة، فقد جئنا فى وقت كانت مصر محتلة ونظامها السياسى يسير فى أغلب الأحيان فى ركاب المحتل، وأحزاب تتصارع على الحكم ومجتمع يئن تحت أعباء الفقر والجهل وعلينا أن نحمل عبء التغيير فى جميع الاتجاهات.. لذلك كان حلم كل مصرى مخلص لوطنه أن يراه وقد تغيرت أوضاعه إلى الاستقلال واستقرار النظام السياسى، ومحاربة الفقر والجهل، حتى تأخذ مصر مكانها اللائق بها.

والحمدلله أننى عشت لأرى كثيرا من أحلامى وقد تحققت، وأحمد الله أيضا أننى الآن فى موقع مسؤول عن رسم السياسات المستقبلية لمصر فى جميع اوجه النشاط وهو مايتيح لى أن استمر فى عطائى من أجل رفعة هذا البلد.

متى بدأ التخطيط للمستقبل فى حياتكم الحافلة وهل لعبت الأقدار دورها فى تحقيق معالم هذا التخطيط أم غيرت الاقدار مسار هذا التخطيط؟

ـ لم أرسم حياتى، بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذى رسمها لى، كل الذى فعلته أننى لم أضيع وقتى فى شبابى فى اللهو، بل فى القراءة المستمرة وحضور

المحاضرات وتحصيل العلم فى معاهد العلم.. هذه كانت هوايتى فى حياتى.. بل كنت دائماً أحاول إذا كلفت بعمل أن أبذل فيه الجهد المتفانى.

وعندما قامت الثورة وكلفت أن أكون مديراً لمكتب الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، كنت أمكث فى المكتب حتى الساعة ١٢ ليلاً، وسرت هكذا حتى وصلت إلى منصب رئيس الوزراء ثم مسئولاً عن الحكومة، وكان زملائى من الشباب يقولون دائمًا إن الحظ كان معى، وكنت أرد عليهم بأننى كنت أمكث حتى منتصف الليل فى العمل يومياً، وكان علمى فى خدمة عملى، وكان عملى مكملاً لعلمى.. بينما أنتم قضيتم أمتع الأوقات فى شبابكم فى الأندية المختلفة، ولكنى حرمت منها، وتمتعت فى النهاية بثمرة العمل والعلم، «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً».

مصر ماذا كانت بالنسبة لكم؟

ـ لقد كانت مصر بالنسبة لكل وطنى مخلص هى الحياة هى الأم، هى الأسرة، فقد كنا فى ذلك الوقت لايشغلنا شيء عنها، فنحن فى نضال مستمر من أجلها ضد المستعمر، نضال من أجل تغيير الحياة، ومن هنا كان اختيارى للكلية الحربية، وكانت دراساتى السابق ذكرها وقراءاتى المستمرة، حتى أكون على المستوى الذى يؤهلنى للمشاركة فى التغيير الذى يمكن أن يضع مصر فى مكانتها الصحيحة، والحمد لله فقد وفقنى الله لذلك.

وعند بدء الثورة، كلفت بعمل حملة حرب سيكولوجية ضد الاستعمار البريطانى الرابض فى قناة السويس، وقمت بإدارة محطة إذاعة سرية كانت مخصصة للملك السابق كاحتياطى له فى حالة الطوارئ، استخدمت هذه المحطة فى مكان سرى لا يعرفه أحد، وكانت تذيع مسلسلات إذاعية باللغة الإنجليزية، وكنت فيها مع اثنين وسيدة هى شقيقة أحدهم وهو المرحوم «شريف كامل» تذيع باللغة الانجليزية حملة إعلامية ضد جنود القوات الانجليزية فى القناة، على أساس أنه لافائدة من وجودهم، وهم عرضة للهجوم عليهم من الفدائيين، مع إثارة الرعب فى نفوسهم والتهديد المستمر.. وقد حاولت كل

الجهات الأمنية الأجنبية معرفة مكان هذه المحطة دون جدوى!!

لكم اسهام كبير فى مجال الإعلام.. أضاء الطريق لكل من جاء بعدكم فى هذا المجال الخطير والمؤثر.. هل يمكن أن نتوقف عند هذه الاسهامات؟

- كما قلت قبل ذلك.. لقد كان موضوع رسالة الدكتوراه هو «الإعلام لتحقيق الاستقرار الداخلى والسلام العالمى»، وكانت كلمة «الإعلام» غير معروفة فى العالم العربى، حتى اننى كنت بعد ذلك وزيراً لوزارة الارشاد القومى، وقررت تعديل الاسم، لأن كلمة ارشاد تعنى أن الحكومة ترشد الشعب بينما العكس هو الصحيح، وحدث فى هذا التغيير مناقشات، فمنهم من قال إن كلمة وزارة الإعلام «الهمزة على الألف» ضرورية لأن علم الدولة هو رمزها، فأخذت أشرح الكلمة «بكسر الألف» أى من حق الإنسان أن يعلم حسب الاعلان العالمى لحقوق الإنسان، وكانت أول وزارة للإعلام فى العالم العربى، وبدأت الدول العربية بعد ذلك تأخذ بتنظيم هذه الوزارة وتنشىء وزارات للإعلام.

كذلك قررت انشاء كلية الإعلام، وقبل ذلك كنت قد أنشأت مصلحة الاستعلامات، «الهيئة العامة للاستعلامات» وكذلك أول وكالة أنباء الشرق الأوسط، وذلك حتى يكون هناك وكالة وطنية تبث أنباء مصر والوطن العربى دون تحريف أو مغالطة كما كانت تفعل الوكالات الأجنبية، وحينما قررت انشاء هذه الوكالة، لم تخصص الدولة أى بند مالى للمكان أو للعاملين فدفعت مرتبى ايجاراً لشقة وسط القاهرة، وأتيت بموظفين من مصلحة الاستعلامات التى أنشأتها وكلفتهم بالعمل فى هذه الوكالة، وأنا سعيد الآن حينما اسمع اسم هذه الوكالة على المستوى العالمى.

أما التليفزيون المصرى فهو عزيز على، فقد بنيته أنا ونخبة من أخلص الشباب حماساً، طوبة طوبة، وطابقاً طابقاً، وكنت مع أبنائى ليل نهار، لا يعوقنا أى إجراء روتينى، ولا نعرف كلمة المستحيل، وقد بدأت العمل فى انشاء التليفزيون فى أواخر عام ١٩٥٩ على أن يبدأ البث بثلاث قنوات فى يوليو

١٩٦٠ من القاهرة، ثم ينشأ تليفزيون ثان فى دمشق، وثالث فى حلب، ولم يكن لدينا فى مصر أى كتاب للتليفزيون أو خبراء أو مخرجين أو مصورين أو خبراء اضاءة، وقد تحدد للتليفزيون ميزانية لاتزيد على ٢٥٠ ألف جنيه. كما أنه لم يكن لدينا أى أجهزة فنية نظراً لاحتياجها للعملة الصعبة، وفى الحقيقة كانت هناك عقبات كثيرة تكفى واحدة منها أو اثنتان لإجهاض أى مشروع، ولكننى بالصبر والاستمرارية والايمان استطعنا أن نبنى التليفزيون، وكنت أثناء بنائه قد أرسلت بعثات لفرنسا لدراسة العمل التليفزيونى، وما أن تم البناء حتى كان هناك الفنيون والعاملون الذين قام التليفزيون على أكتافهم بعد ذلك، وتم الافتتاح فى الموعد المحدد ٢١ يوليو عام ١٩٦٠.

كما قمت بعد ذلك بإنشاء عشر فرق مسرحية للتليفزيون، تخرج فيها قمم الفن المصرى الآن، وقد وجد كثير من الفنانين فرصتهم فى الشهرة والانتشار من خلال هذه الفرق وكونوا الجيل الجديد من الممثلين المثقفين.. والحقيقة أن انشاء التليفزيون هو النهضة الثقافية فى حياتنا بصورة عامة، وفى المسرح والسينما والكتاب بصفة خاصة، فقد وصل التليفزيون إلى أولئك الذين كانوا محرومين من المتع الثقافية وأصبح نافذة نطل منها على العالم.

السياسة والعمل السياسى كان لهما مساحة مضيئة على خريطة مشواركم.. هل نتعرف على هذه الفترة؟

- فى الحقيقة لقد كانت بداية عملى كمستشار للرئيس الراحل جمال عبدالناصر، ومدير لمكتبه الصحفى، أثره فى استكمال مسيرتى كمتخصص فى المجالات الإعلامية، حيث كلفنى الرئيس الراحل بعد ذلك بإنشاء مصلحة الاستعلامات وكنت أول رئيس لها، وقد لعبت مصلحة الاستعلامات فى ذلك الوقت دوراً إعلاميًا هامًا، مؤثراً خاصة أثناء حرب ١٩٥٦، كما أنشأت أول وكالة أنباء وطنية فى مصر كما ذكرت، بعد ذلك قمت بإنشاء وزارة الإعلام وعينت نائبًا لرئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام والسياحة أكثر من عشر سنوات، وقد قمت خلال تلك السنوات بإقامة التليفزيون العربى فى القاهرة

والتليفزيون العربى فى دمشق وحلب، كذلك تأسس شركة اسطوانات صوت القاهرة، وإنشاء محطة إذاعة القرآن الكريم، ومدينة الإعلام، كما قمت بإنشاء وزارة السياحة لأول مرة فى مصر، ومشروع الصوت والضوء فى الأقصر.. وإنشاء أربعين فندقاً جديداً فى مصر، وإعداد مشروع إنقاذ معبد أبو سمبل وإنشاء شركة الدار القومية للتوزيع والنشر.

وقد واجهتنا أثناء هذا المشوار الطويل كثير من الصراعات والمعوقات التى كانت دافعاً لنا وليس معوقاً، فكلما كثرت أمامك العراقيل فاعلم أنك على الطريق الصحيح، حيث إن طريق الفشل سهل، أما طريق النجاح فهو الطريق الصعب.

كانت المجالس القومية المتخصصة فكرة عملاقة فى حياة مصر، كيف بدأت هذه الفكرة، وكيف كان هذا المشوار المتجدد المستمر حتى اليوم فى عطائه لمصر؟

- لقد كان انتصار أكتوبر نقطة تحول لجميع المصريين، وكان أولهم القائد الراحل أنوا السادات، فقد رأى الرئيس الراحل النصر أنه يجب أن تقوم الحياة السياسية فى مصر على المؤسسات حتى لاتعتمد على الأفراد، فطلب منى إنشاء مجالس قومية متخصصة تعاون رئيس الجمهورية فى رسم السياسات المستقبلية لجميع الأنشطة فى الدولة.

وفعلاً، فقد أنشأت أربعة مجالس قومية هى: المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا، المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية، المجلس القومى للخدمات، المجلس القومى للثقافة والإعلام، ويضم كل مجلس عدداً من الأعضاء العلماء فى مجال اختصاصه، يقومون بإعداد الدراسات واستخلاص النتائج ووضع توصياتهم لما يجب أن يكون عليه الوضع تعليمياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو إعلامياً أو خدمياً.. وترفع لاتخاذ القرار الصالح لتطور وتقدم المجتمع. وقد شاركت المجالس القومية منذ إنشائها عام ١٩٧٤ وحتى الآن فى عديد من القرارات الهامة، مثل الإصلاح الاقتصادى، وإنشاء سوق المال، وإحياء البورصة، وتطوير التعليم العام والفنى.. ومازلنا حتى الآن نعمل من أجل مزيد

من الإصلاح، واضعين أمام أعيننا مصلحة الوطن ومحاولة وضعه على الطريق الصحيح للقرن الواحد والعشرين.

كم نتمنى أن نقترب أكثر من الإنسان فى حياتكم، اهتماماتكم الخاصة وهواياتكم المفضلة، أحب الأدباء إلى قلبك، أهم القراءات. وأحب الكتب؟.

- فى الواقع تأتى القــراءة والإطلاع على كل مــاهو جــديد، على رأس اهتماماتى الخاصة، حيث يمكن أن تقول عنى إننى نهم فى القراءة فى كل فروع المعرفة، فإنى أقرأ فى السياسة والتاريخ والاجتماع وتجارب الدول اقتصاديا أو ثقافيا.. وغيرها.

أما أحب الهوايات إلى نفسى فهى الرسم فى وقت الفراغ، وأحب الأدباء إلى قلبى هو الأديب أو الكاتب الذى يستطيع أن يشدنى للقراءة له ويضيف إلى جديداً.

حفلت المكتبة العربية والمصرية بمؤلفاتكم.. فهل يمكن أن نلقى الضوء عليها؟.

- فى الحقيقة، هناك مؤلفات كثيرة باللغة العربية وأخرى باللغة الانجليزية، ومن الصعب حصرها جميعًا هنا، لذا فسأذكر بعضها: الرأى العام، الدعاية والإعلام، التقاليد البرلمانية فى العالم، الإعلام فى القرآن، الأخلاق فى الإسلام (عربى/انجليزى)، أرض العرب (انجليزى)، الإعلام والقضية العربية (انجليزى)، بلاد الشمس المشرقة (باللغة اليابانية) مصر أمس والغد (باللغة اليابانية).

وتوجد رواية واحدة كتبتها وأذيعت فى الإذاعة هى «روميل فى سيوة» عن فترة الحرب العالمية الثانية ودخول روميل فى سيوة.. وكنت ضابطاً فى هذه الواحة وخرجت منها قبل دخول روميل، وبعد انسحاب روميل عينت مرة ثانية فيها، فكتبت هذه الرواية التى تقص حياة أهالى سيوة أيام الاحتلال الأجنبى والألمانى.

هل يمكن أن نتعرف على أسرة رائدنا الكبير؟

- أنا متزوج ولى ثلاث بنات متزوجات وابن واحد متزوج ويعمل أستاذا بالجامعة الأمريكية وحاصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة، وهوايته أكاديمية خالصة، ويرفض أن يدخل فى السياسة أو أى عمل تجارى أو أى عمل حر، وقد حصل على بكالوريوس الهندسة ثم الماجستير فى الإدارة العامة ثم الدكتوراه فى إدارة الأعمال.

ما أهم أحلامكم بالنسبة لمستقبل مصر والوطن العربى؟

- فى الحقيقة من الصعب فصل أحلامى لمصر عن أحلامى للوطن العربى، فأحلامى لمصر والوطن العربى أن أراهما وقد أخذا وضعهما اللائق وقد صفيت جميع الخلافات وحل مكانها التعاون والتنسيق وقد توحد هدفهم وهو العمل على رفعة شعوبهم وتقدم الأوطان.

وماهى أمانيكم بالنسبة للإعلام العربى، والإعلام المصرى؟.

- أن يسابق الزمن من أجل التطور، وملاحقة أحداث العصر السريعة، وأن يكون على مستوى العصر الذى نعيشه، فالعالم بثورة الاتصالات أصبح القرية الصغيرة، تنتشر فيها الأخبار والمعلومات بسرعة كبيرة، كما أن هناك ثقافات جديدة سترد إلينا ويجب أن نكون على استعداد لهذه الثقافات، لذلك يجب أن نكون على مستوى الإعلام فى الدول المتقدمة، حتى يمكننا أن نؤثر فيهم ولا نتأثر بهم فقط.

ما أهم أمانيكم الشخصية؟.

- الستر.. ولاشيء غير الستر، وهو من رضاء الله، فلم يبق من مشوار حياتى إلا القليل.. وحمداً لله كل الحمد، فقد أبقانى فى الدنيا مستوراً عزيزاً مكرماً خادماً لوطنى حتى هذه اللحظة.

ندوة بالقمر الصناعى مع سير انتونى ناتنج *

هيئة الإذاعة البريطانية (B.B. C.) سجلت عبر الأقمار الصناعية ندوة عالمية شارك فيها د. عبد القادر حاتم فى حوار مع سير انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى خلال حرب السويس والذى استقال احتجاجا على ايدن، وثلاثة من القادة الفرنسيين الذين شاركوا فى العدوان الثلاثى.. وذلك بمناسبة مرور ٤٠ عاما على ذكراه، موضوع الندوة كان عن هزيمة قوات العدوان الثلاثى على مصر، وكيف كان الإعلام المصرى ناجحا وشارك بفعالية فى انتصار ١٩٥٦، رغم أن البريطانيين وضعوا مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرلينى للدعاية للعدوان الثلاثى.

تناولت الندوة مناقشة نجاح مصر فى إدارة قناة السويس وأسباب العدوان الثلاثى، وكيف أن قرارات ايدن وتحالفه مع فرنسا وإسرائيل كانت خاطئة... وعندما سئل د.حاتم فى الندوة عن رأيه الشخصى فى ايدن قال «لقد كان رجلا مريضا كما قال طبيبة الخاص... وكان أحد أسباب ضياع الامبراطورية البريطانية.

مظاهرة الوفاء **

مظاهرة الوفاء التى استمرت على مدى الأشهر الأربعة الماضية لتكريم الدكتور محمد عبدالقادر حاتم لم يشهد مثلها من قبل .. ففى كل أسبوع كانت هناك مجموعة

---

* جريدة أخبار اليوم، بتاريخ ١٨ مايو ١٩٩٦ .

** محمد مصطفى البرادعى : وجهة نظر : جريدة الأهرام، بتاريخ ١٨ مايو ١٩٩٦ .

من الرجال ممن تحملهم قافلة عمل واحدة يكرمون الرجل الذى عمل على مدى ٤٠ عاما وترك مقعده بعد كل هذا الجهد المشرف.

لقد جمعت حفلات التكريم علماء ومثقفين ورجال فكر وإعلام وفنون وسياحة وإدارة، من كل من بيدهم أمور مصر طوال النصف الثانى من هذا القرن، ولم نعهد من قبل مثل هذا التكريم المستمر وطوال هذه الفترة، فالكل كان يتسابق ليعبر عن مشاعره الفياضة لرجل ترك المنصب، وكانت كلماتهم وسعيهم إلى هذا التكريم تعبيرا عما فى قلوبهم وصدورهم من مشاعر صادقة لنموذج رفيع من أبناء مصر وأحد الذين قدموا لها الكثير وفى كل الميادين.

وعندما عهد إلى الدكتور عاطف صدقى بمسئولية المجالس القومية المتخصصة التى جمعت خلاصة الرجال ذوى الفكر والتجربة والمشورة السديدة بدون هوى، كانت أولى اجتماعاتهم هذا الشهر منبرا للحديث عن الرجل الذى أسس وأسهم فى هذا العمل الكبير فأصبح لهذه المجالس بصمات فى مسيرة الحياة المصرية فى كل القطاعات الرئيسية. وتحدث كل واحد عن الدكتور حاتم بكلمات صادقة ليس فيها رياء، فهم رجال لهم مكانتهم وسيظلون على ما شبوا عليه.

وكان للدكتور عاطف صدقى فى بداية اجتماعات المجالس القومية كلمات عبر فيها عما يكنه كل أبناء مصر للدكتور حاتم من تقدير وإعزاز لدوره البناء فى كل الأعمال التى تولى مسئوليتها، وكانت لها بصمات طيبة فى مسيرة الحياة المصرية، وقال إن هذه المجالس كانت وستظل مدرسة على أعلى مستوى فى البحث والمشورة الراجحة بإسهام خيرة علماء مصر فى كل الميادين .. وقد تخرج فى هذه المدرسة ٢٧ وزيرا خلال السنوات الماضية.

وإذا كان الوفاء سمة من سمات شعب مصر الذى يقدر ويعتز بكل من عمل بإخلاص لخدمته، فإن هذا الشعب لا ينسى أبدا مثل هؤلاء الرجال، وسيظل كل المؤمنين بوطنهم هم حملة راية العمل المخلص، وستبقى بصماتهم باقية وذكراهم دائمة لا تنساهم الأجيال ويبقون فى التاريخ.

حاتم والإعلام المصرى ٦٧/ ١٩٧٣*

فى مصنفة العلمى الكبير: الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب، يتحدث الدكتور محمد عبد القادر حاتم، عن التجربة الإعلامية المصرية، التى رادها نظريا، وتطبيقيا فى سيرته العلمية والفكرية، مؤمنا منذ البداية، بأن «تحقيق الأمل الكبير المعقود على الإعلام إنما يتوقف على قوة عزيمة الناس وأمانتهم ونزاهتهم، وهذه أمور تتحقق عن طريق الإعلام ذاته».

يذهب د. حاتم إلى أن الإ علام بمعناه الحديث فى مصر، يرتبط بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ذلك أن قادتها أدركوا أن التغيير الاجتماعى المنشود يتطلب فى المحل الأول إعلاما حديثا قائما على أساس تبادل الرأى بين الحكام والمحكومين. وأشاد الميثاق الوطنى بأهمية برامج الإعلام، التى تستهدف تهيئة منابر الرأى للشعب، واستمدت البرامج الإعلامية حيويتها من حماسة قادة الثورة وإيمانهم بالتغيير الاجتماعى كوسيلة للتنمية، وأنشأت الثورة، ولأول مرة فى تاريخ مصر - وزارة تجعل الشعب يساير الأحداث وهى وزارة «الارشاد القومى» فى نوفمبر ١٩٥٢، التى شملت الإذاعة والفنون الجميلة والسياحة، وأنشأت مصلحة الاستعلامات.

ويشهد الإنجاز الإعلامى للثورة افتتاح التليفزيون المصرى عام ١٩٦٠ والدور الملحوظ للصحافة فى إعلام الشعب وتنويره، وما تتمتع به من حرية يشهد لها الرأى العام العالمى، ومن ذلك قول (مانسفيلد) ليس من الانصاف أن نقول إن هذه الصحافة تسيطر عليها الدولة سيطرة قابضة، إذ أنها تتمتع بحرية أكبر مما تتمتع به صحافة كثير من الدول الأوروبية.

ولقد كان الدكتور حاتم صادقا دون شك حين قال فى مجلس الأمة فى يونيو ١٩٦٤: إنه لا سيطرة للحكومة على الصحافة.

ويتحدث الدكتور حاتم عن خطته الإعلامية أثناء عمله نائبا لرئيس الوزراء ووزير الإعلام فيقول: إن اسرائيل وضعت خطتها الإعلامية منذ المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى بازل عام ١٨٩٧، وتتسم تلك الخطة بصفة الاستمرار، من أجل تعميق

* سندباد : شوارد ، جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٩٩٦/٦/٧ .

المفاهيم الصهيونية فى العالم، فى حين اننا فى مصر لم نأخذ بالتخطيط لإعلامنا إلا بعد ٢٣ يوليو وإلى ماقبل نكسة ١٩٦٧، ثم استؤنف الأخذ بالتخطيط الإعلامى مرة أخرى فى عام ١٩٧١، ومن ذلك يتضح - كما يقول : أن المدى الزمنى للخطة الإعلامية قصير جدا بالقياس إلى خطة إسرائيل، وإذا كان البعض يتهم الإعلام العربى فى حرب ١٩٦٧ بأنه كان «أفشل محام لأعدل قضية»، فإن د. حاتم يرى أن الموضوع أولا وأخيرا هو التخطيط السليم.

ولذلك يذهب إلى أن البداية العلمية للتخطيط الإعلامى إنما انبثقت أساسا من أخطاء الإعلام المصرى فى معركة يونيو.

وتتضمن مبادئ التخطيط: تحديد معنى التعبئة الإعلامية - عدم الإعلان عن الإعلام - حق المواطن فى أن يعلم - القضاء على الشائعات بالمعلومات - تحليل الرأى العام - حق المواطن فى أن يعرف عدوه - تأصيل العقيدة وتأكيد الشعور بالانتماء إلى الوطن، ودعم المثل الأخلاقية والدينية. وعلى مستوى الرأى العام العالمى تتضمن مبادئ التخطيط الإعلامى: رفع الرقابة على البرقيات الصحفية، استراتيجيات لكل دولة، رفع التشويش عن الإذاعات، التحرير بدلا من الحرب، الانفتاح الإعلامى على الخارج، بناء رأى عام قوى - الأمر الذى ظهرت آثاره الإيجابية فى النصر العسكرى والإعلامى فى أكتوبر ١٩٧٣.

حمل على كتفه أعباء الإعلام*

عبد الناصر كانت لديه أكثر من فكرة خاصة بالإعلام كالاستعلامات وإذاعة القرآن الكريم وإذاعة الشرق الأوسط وآخرها التليفزيون.

بنجاح حمل هذه الأثقال على كتفيه الدكتور محمد عبد القادر حاتم، وقام بتنفيذها على أوسع نطاق واختار من معاونيه من يستحق، وكانوا كثيرين، وكانت مهمة ثقيلة وفى ظروف صعبة، وانفتح على العالم على أوسع مجال.

* المستشار عبدالحميد يونس: مجلة أكتوبر ، بتاريخ ٩ يوليو ١٩٩٦

الاعلام فى القرن الحادى والعشرين*

من الشعر المنسوب إلى الأمام على كرم الله وجهه:

ومن كـرمت طبـائـعـة تحلى .. بآداب مـفـضلة حـسـان

وإن أولاك ذو كرم جميلا ... فكن بالشكر منطلق اللسان

ومن شعر الرصافى:

فكل بلاد جـادها العلم أمـرعت

رباها وصارت تنبت العز والعشبا

ومن شعر شوقى:

بالعلم ساد الناس فى عـصـرهم

واخـتـرقـوا السبع الطباق الشداد

ومن شعر أبى الأسود الدولى:

العلم كنـز وذخـــــر لا فناء له

نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

ويحسب السندباد، أن هذه الأيات تتصدر رسالة العالم المفكر الكبير د. محمد عبدالقادر حاتم، للقرن الحادى والعشرين فى طبعته الجامعة لمؤلفه الموسوعى: الرأى العام وتأثره بالإعلام والدعاية، والذى كانت طبعته الأولى عام ١٩٧٤، فى كتابين صدرا مؤخرا فى مجلد كبير.. نتوقف اليوم أمام دراسته الرائدة: علم المستقبل ودراسة المأمول، وهى الدراسة التى تتم عمله البحثى الكبير فى الرأى العام، والذى لا يتوقف البحث فيه عند القياس بل يتعدى ذلك إلى التنبؤ بما سيكون عليه هذا الرأى العام فى المستقبل، الأمر الذى يساعد على وضع خطط مسبقة كفيلة بتحقيق أمانى الجماهير وتطلعاتها.

---

* سندباد : شوارد ، جريدة الأهرام ، بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٩٦ .

ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الدور الذى يلعبه قياس الرأى العام، فى هذا السياق، إنما هو مجرد جزء من أدوار أكبر وأشمل ينهض بها علم جديد اصطلح الباحثون والعلماء المحدثون على تسميته، «علم استطلاع المستقبل» من حيث هو العلم الذى يتكفل إذا ما تحققت الوسائل والأدوات اللازمة لتطويره وجعله علما حقيقيا بمعنى الكلمة، برسم صورة دقيقة وشاملة عن عالم المستقبل اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

ثم يقول د. حاتم إن موضوع «علم استطلاع المستقبل» إنما هو استقرار حالة العالم الحاضرة فى المستقبل، ويعنى ذلك ماتؤول إليه، تمييزا لما لابد منه اليوم عما يمكن السيطرة عليه غدا، ويشير إلى المجال الذى حظى بالاهتمام وهو التنبؤ التكنولوجى، فكم من وسائل اخترعت واختبرت وحللت، ثم طبقت على مشكلات كثيرة، كالنقل والاتصال وغير ذلك.

أما لفظ «المأمول» فيعنى كما يقول د. حاتم دراسة المتوقع أو التخطيط المسبق، وهو لفظ فرنسى صاغه الفيلسوف «جاستون بيرجر» وهو لا يعنى اتخاذ القرارات الحالية لوضع قائم فحسب، أو لمواجهة حاجات حاضرة فحسب، بل لمواجهة نتائج طويلة المدى. أما المستقبل فهو الوقت الذى يجب أن تنجز فيه أشياء معينة على عكس الماضى. وينشأ المستقبل نتيجة لكل القرارات التى تتخذ اليوم، وهى قرارات يتم تحديدها فى ضوء فكرة المرء عن المستقبل. ولذلك يذهب الدكتور حاتم إلى أن تعبير «علم استطلاع المستقبل» تعبير عام من دراسة المأمول أو المتوقع، لأن هذه الدراسة تتطلب فى الغالب نظرة فلسفية إلى الغد.

الحرب والسياسة

٤٠ عاما على تأميم قناة السويس*

عبد القادر حاتم: هزمنا ٥٠٠ صحيفة و١١ إذاعة سرية - أغلقنا محطة الشرق الأدنى فى ساعتين ببيان من الإذاعة المصرية - ضربوا محطة أبو زعبل بالقنابل فواصلنا الإذاعة من محطة سرية - مهمة خاصة فى فرنسا كلفنى بها عبد الناصر.

* جريدة العربى الكويتية، بتاريخ ١٩٩٦/٧/٢٩ .

الكلمة كانت على خط القتال الأمامى فى قناة السويس، وعبد القادر حاتم كان هناك مستشارا صحفيا لعبد الناصر، ومؤسسا لهيئة الاستعلامات، مكلفا من عبد الناصر بقيادة حرب الإعلام، لم تكن المعركة متكافئة، رغمها تحققت «معجزة النصر» ضد آلة الإعلام الجبارة التى حاولت تشويه عبد الناصر ووصفته بأنه «هتلر الجديد».

د. عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء الأسبق، يتحدث لأول مرة ويكشف أسرار حرب الكلمة فى أعظم دراما مصرية وعربية.

لم يكن قرار التأميم سهلا بل وراءه إيمان عميق من جمال عبد الناصر بأن شركة قناة السويس شركة مصرية.. ومع ضراوة المعركة سياسيا كان لابد من منهج إعلامى قومى، وهو ما قام به الدكتور عبد القادر حاتم الذى كان يعمل آنذاك مديرا لمكتب الرئيس لشئون الصحافة والمتحدث الرسمى باسم الحكومة.

رجعت بالدكتور حاتم إلى الوراء قبل قرار التأميم وقلت له: قبل القرار بثلاثة شهور كلفك عبد الناصر بالسفر إلى فرنسا فى مهمة سرية رغم الأجواء العدائية منها تجاه مصر.. فما هى طبيعة هذه المهمة؟

- وأجاب الدكتور حاتم: اختارنى عبد الناصر كمسؤل عن الإعلام والتحدث الرسمى باسم الحكومة المصرية لمقابلة «كريستيان بينو» وزير الخارجية الفرنسى، بعد أن علمت من مصر أن بينو يشكو من حدة الإعلام المصرى وتسببه فى إحداث إثارة وتحريض للشعب الجزائرى ضد فرنسا.. وحين إستقبلنى بينو قال لى إن الجزائر إحدى الولايات الفرنسية، وأن الفرنسيين دخلوا منذ حوالى عام ١٨٣٠.. وبتعنت شديد أخبرنى بأننا سنظل فى الجزائر.

قلت له: إن الشعب الجزائرى شعب عربى وماتسميه إثارة هو تعبير عن الرأى.. فرد بينو: أنتم تثيرن ضجة واضحة فى الجزائر وفى أفريقيا عن طريق الاذاعة المصرية، وهدد بأنه فى حالة استمرار الإعلام فى تلك الإثارة سيكون لفرنسا موقف آخر ضد مصر.

ملحـــوظة: قال لى الدكتور حاتم فى عام ٥٦ كنت أشغل منصب المستشار الإعلامى للرئيس جمال عبد الناصر.. فيما بعد اختارنى الرئيس الفرنسى ديجول لنيل درجة الدكتوراه الفخرية من أقدم جامعة فرنسية «جامعة اكس ان برفانس».

وفى الاحتفال المقام أشاد الجميع بالعبارة التى رددت بها على بينو والتى أثبتت الأيام صحتها.

وأسأل الدكتور حاتم: أعلن عبد الناصر قرار التأميم فى ٢٦ يوليو وهاجت الصحافة الغربية عليه واتهمته بأنه هتلر الجديد، وكانت الأجواء كلها تنذر بقيام حرب فى المنطقة ومابين قرار التأميم والحرب شهرين.. كيف قام الإعلام المصرى بدوره خلالها؟

ـ يقول عبد القادر حاتم: قبل التعرض للحملة الإعلامية المصرية لابد من التنويه إلى ما قام به الغرب إعلاميا أثناء الشهرين خاصة وأنهم كانوا بحاجة لمزيد من الوقت للاستعداد للعمل الحربى وتحرك القوات، فالقوات البريطانية البحرية كانت فى مالطة، والمدرعة فى ليبيا، وقوات المشاه فى الأردن، بالإضافة لبعض المدمرات البحرية فى البحر المتوسط وفى عدن.. فحاولوا استهلاك الوقت فى الهجوم الإعلامى على قرار التأميم وعقد المؤتمرات وشكلوا ماسمى بهيئة المنتفعين بقناة السويس، ومن خلالها تقدموا بعروض مختلفة إلى مصر، وأن يكون لهم حق إدارة القناة وتكون لهم السيطرة عليها، لكن هذا العرض قوبل بالرفض من عبد الناصر.. لجأ الإعلام الغربى إلى استخدام بعض الصحف اللبنانية التى تدعى الوطنية والحرص على القومية العربية للهجوم على مصر، حتى إن احداها قالت «إن تأميم قناة السويس هو انتحار وليس انتصارا، مما دفع أجهزة الإعلام المصرية لمصارحة الرأى العام العربى بموقف هذه الجريدة وماضيها ضد إرادة العرب، مما أثار الرأى العام فى بيروت فقامت المظاهرات ضد هذه الجريدة.

ويضيف حاتم: لجأ الغرب إلى عقد مؤتمر لندن وفكر عبد الناصر فى حضوره لشرح وجهة النظر المصرية وقانونية قرار التأميم، إلا أن ايدن رئيس وزراء بريطانيا أخذ فى الهجوم على شخص عبد الناصر وأمسك بيده ورقة سوداء وقال وهو يشير

إليها: إن هذه الورقة هى سجل عبد الناصر، مطلقا عليه اسم (النازى الجديد)، وكان يصاحب ذلك دعايات معادية تقوم على التشويه، فكانت صحف «الديلى اكسبريس» و«الديلى ميل» تنشر مانشتات ضخمة تقول فيها: عبد الناصر سرق القنال.. أو الدكتاتور الصغير.. أو السويس هى ميونخ جديدة.

قلت للدكتور حاتم: ما هو موقع الإذاعات السرية فى هذا الهجوم؟

- أجاب: وجدنا أن هناك ١١ محطة سرية تعمل ضد مصر بعضها من عدن ولبنان تمولها بعض الجهات الأجنبية ألتى تستخدم بعض المصريين الذين كانوا ضد الثورة وفروا من البلاد، وكانت إذاعة «مصر الحرة»، ومحطة «صوت الحق» أبرز هذه الإذاعات.. وكانت محطة الشرق الأدنى التى تذيع من قبرص من أقوى المحطات من حيث الارسال والمضمون، حيث كان الإنجليز يسيطرون عليها ويمدونها بالأخبار.. حتى إننى قمت بتحليل للمواد المذاعة منها ووجهت الدعوة لرئيس المحطة فى مكتبى بهيئة الاستعلامات وقلت له: إن محطتكم تذيع أكاذيب كثيرة ضد مصر ورجوته أن تتوقف المحطة عن الاستمرار فى بث مثل هذه السموم.. وسألنى عن الصفة التى أحدثه بها؟ فقلت له أنا «بكلمك بصفتى مسئولا» عن الإعلام المصرى وأنتم بهذا الأسلوب «بتشوهوا» صورة مصر ومن سمات الإعلام الصحيح أن يبنى على حقائق.. علق رئيس المحطة القبرصية بأن ما نذيعه يخضع لحريتنا فى إذاعة ما نشاء، فقلت له: مادمت ترفض التعاون معنا فإن محطتك ستغلق خلال ساعتين فقال لى: أنت متصور أنها فى مصر.

قلت له: أنا أعلم أنها فى قبرص.

وفى الحال أرسلت بيانا إلى الإذاعة المصرية كان نصه «إلى جميع العاملين فى إذاعة قبرص الاستعمارية.. صوت الاستعمار الإنجليزى.. أنتم وطنيون تعملون فى محطة تهدف إلى تدمير القومية العربية.. وأنا بصفتى المتحدث الرسمى عن الحكومة المصرية والمسئول عن الإذاعة أعدكم بتخصيص نفس المرتبات التى تحصلون عليها من قبرص وتوفير السكن المناسب لكم إذا وصلتم اليوم بالطائرة إلى مصر لتنضموا

إلى جيش الإعلام المصرى، وفى خلال ساعة تلقى مدير المحطة تليفونا من مدير مكتبة يخبره أن نشاط الإذاعة قد توقف.

كانت هناك فكرة واحدة استخدمتها أجهزة الإذاعات السرية وكذلك الإذاعات المعادية لمصر، وهى شجب تأميم قناة السويس ومعارضة النظام الذى أعلن تأميم هذه الشركة، وكانت وسيلتها نشر روايات كاذبة ومثيرة ونقل ما تقوله الصحافة المعادية لمصر.

كيف تمت حماية المواطن المصرى والعربى من الوقوع فى شرك تصديق هذه الإذاعات؟

ـ يقول دكتور حاتم: لقد حاولنا التعامل مباشرة وبشكل علمى مع الجماهير المصرية والعربية حتى نجنبهم مشقة الجرى والبحث وراء المحطات المختلفة لمعرفة الحقيقة، ففكرنا فى إعداد برنامج تحت اسم «أكاذيب وحقائق» بهدف الرد على شائعات هذه المحطات تحت شعار «أيها العربى استمع إلى العرب من صوت العرب، وكان ذلك يتطلب ضرورة الرد المباشر والسريع، حتى أصبحت هناك مصداقية كبيرة للإعلام المصرى فى جميع أنحاء الوطن العربى وفى أفريقيا، وأتذكر أحد المواقف حين زار الرئيس سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا مصر وأخبر عبد الناصر أن هناك الكثير من المؤمرات التى تحاك ضدك فضلا عن الشائعات التى يطلقها الغرب لضرب الثورة، وسأل سيكوتورى عبد الناصر عن المساعدة التى يمكن أن يقدمها له، فرد عليه عبد الناصر بأن الإذاعات المصرية قوية وهى من أخطر الأسلحة ضد قوى الاستعمار المعادية، وهذا يدل على مدى إيمان عبد الناصر بقوة الإعلام المصرى.

أخذت المعركة الإعلامية مع بدء العدوان الثلاثى أشكالا مختلفة أكثر عنفا عما كانت عليه من قبل.. فى المقابل كان المطلوب من الإعلام المصرى أن يواجه الموقف بحسم؟

ـ عن ذلك يقول الدكتور حاتم: استخدم الغرب وسائل إعلامية جديدة من بينها سلاح المنشورات التى تم طبعها بالمطبعة العربية لقوات الغزو فى بور سعيد ووجهت للشعب المصرى، وكان تركيز هذه المنشورات على فكرة واحدة وهى أنها لم تأت إلى

مصر معادية أو غازية بل جاءت لإنقاذ المصريين من قيادتهم السياسية التى تستبد بهم، وفى المقابل قام الإعلام المصرى بنشر وإذاعة أعمال العنف ضد المصريين فى بور سعيد، خاصة عندما كتب الكثيرون من رجال الصحافة البريطانية عن هذه الأعمال الأمر الذى نقلته الإذاعة المصرية والصحافة وبقية أجهزة الإعلام للرأى العام العالمى. لم نكتف بذلك ولكن أعدت هيئة الاستعلامات مجموعات من المجلات المصورة نشرت بلغات مختلفة منها الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، وكانت تحوى صورا فظيعة عن العدوان التقطت داخل بور سعيد.. حتى أصداء دعايتنا فى العالم الخارجى استخدمناها بشكل جيد عن طريق ابرازها فى الصحف العربية.. وأتذكر ماحدث بعد أن وجهت القوات المعادية انذارا إلى القوات المصرية بالتحرك بعيدا عن قناة السويس لمسافة عشرة كيلو مترات، فقمنا بعمل حملة قوية فى انجلترا عن طريق أحمد أنيس ممثل هيئة الاستعلامات فى السفارة المصرية هناك.. كنت أزوده بكافة المعلومات أولا بأول، وكانت النتيجة: هجوم جماهيرى على مقر رئيس الوزراء إيدن ومظاهرات فى الميادين ضده تنادى لسقوطه وبأنه تسبب فى ضياع الإمبراطورية البريطانية.

نجاح مصر فى تكوين رأى عام فى انجلترا ضد إيدن نصر كبير.. لمن وجهه؟

ـ يقول الدكتور حاتم: تم توجيهه إلى حزب العمال البريطانى وخاصة أنى كنت على صلة قديمة برئيسة «جاتسيكل» وأتذكر حوارى معه حين قلت له أنا أعرف أن العمال فى بريطانيا مع إسرائيل وحزب المحافظين ضد مصر، المحصلة أن الحزبين ضدنا، ولكن أعتقد أن وقوفك معنا هو دفاع عن الهيبة البريطانية خاصة وأن رئيس وزرائها كذاب.. كنا نعطيه المادة الإعلامية صورا من بور سعيد فيها الاعتداء الوحشى وضرب المساجد والكنائس وصور الأطفال.. تزامن ذلك مع نجاحنا فى تكوين ماسمى «بجيش الحق» المكون من جميع المصريين الموجودين بالخارج، كنا نرسل النشرات الإعلامية ليتم توزيعها على المعارف والأصدقاء المتواجدين فى لندن وفرنسا وأمريكا.

الإذاعة المصرية بما تمثله كأداة هامة من أدوات الحملة الإعلامية خاصة فى وقت الحرب.. كيف تم التغلب على مشكلة توقف الإرسال بعد أن قامت قوات العدوان بضرب محطة أبو زعبل؟

- يقول د. حاتم: فى البداية وجهت قوات العدوان انذار بضرب الإذاعة المصرية، البعض تصور أن دار الإذاعة الموجودة فى شارع الشريفين هى المقصودة.. مما دفعنى إلى الذهاب لمبنى الإذاعة لإبلاغ محطة الإرسال، خاصة وأن الإذاعة تقع قريبة من منطقة السفارات الأجنبية، وفى تلك اللحظة قامت القوات بضرب محطة الإرسال فى أبو زعبل بالقنابل، وكان هناك اتفاق مع بعض الدول العربية مثل سوريا ولبنان فى حالة ضرب الإذاعة أن تقول «صوت العرب من سوريا»، فى الوقت الذى تم الإرسال من الإذاعة السرية الموجودة فى المقطم التى أنشئت لهذا الغرض والتى يمكن الاعتماد عليها كإذاعة مؤقتة لحين إصلاح الإذاعة. لم نكتف بذلك بل قامت قوافل الاستعلامات بدور الإذاعة على الفور وانتشرت السيارات اللاسلكى التى تحمل أجهزة الإذاعة فى كافة أحياء القاهرة والمدن الكبرى والقرى تذيع على الجماهير نشرات الأخبار والتعليقات والأناشيد الوطنية.. وبذلك لم تشعر الجماهير المصرية بفقدان إذاعتها خلال الساعات التى تم خلالها إصلاح الخلل.

فى هذا السياق.. كيف استخدمتم الإذاعات الموجهة؟

- أجاب الدكتور حاتم: فى حرب الكلمة تلعب الإذاعة الموجهة دورا خطيرا.. لذلك استخدمنا الإذاعات الموجهة بلغات مختلفة وصلت إلى ٢٤ لغة، لم نتبع فيها أسلوب التهويل والإثارة رغم العنف الذى استخدمته الإذاعات الموجهة ضدنا، ولكن اعتمادنا كان على عرض الحقائق بموضوعية حتى تتحقق مصداقية لدى المستمع، مما نتج عنه نمو هذه الإذاعات فى تلك الفترة بشكل كبير، حتى وصلت إلى مستواها الذى جعلها فى رأى بعض خبراء الإذاعة الدوليين من أوائل الإذاعات العالمية التى تقارن بإذاعة لندن وموسكو.

فى وقت الحرب والأزمة لم يكن لدى مصر مندوبون للإعلام فى السفارات المصرية بالخارج باستثناء انجلترا وفرنسا وأمريكا.. كيف استطاع الإعلام المصرى مواجهة مايقرب من ٥٠٠ جريدة ومجلة فى

العالم تسيطر عليها القوى الصهيونية .. وتتولى إدارة الحملة المضادة لمصر؟

- قال حاتم: بالفعل فكرت فى إنشاء وكالة مصرية للأنباء، حدث ذلك فى ابريل ١٩٥٦، خاصة وأنه لم يكون هناك غير وكالة الأنباء العربية، وللأسف كانت عبارة عن شبكة للجاسوسية حيث تم القبض على سمبسون نائب الوكالة الإنجليزى فى جريمة تجسس، وقد سبقتها وكالتان مصريتان إحداهما يملكها عبد المنعم الصاوى والأخرى يمتلكها د. حسن خليفة، وللأسف لم تستمرا بسبب أعبائهما المالية.. عرضت الفكرة على عبد الناصر فقال: إن هذه الوكالة تحتاج إلى أموال كثيرة وإذا كنت مصرا فلتتحمل مسئوليتها، فالحكومة ليس لديها إمكانيات لتمويلها. ولم يكن لها شكل حكومى.

كان عدد العاملين فيها لا يزيد على ستة أشخاص من بينهم جلال الحمامصى وعلى الجمال وسعيد سنبل ومصطفى نجيب، وتم تأجير شقة بشارع سليمان باشا مقرا لها، وكان مرتبى وقتها ٦٥ جنيها وضعت ٦٠ منه إيجار الشقة.. وبدأت تعمل الوكالة أولا فى الترجمة وحققت نجاحا كبيرا، واستطعنا أن نستخدمها بشكل جيد إعلاميا لشرح القضية المصرية.. وأذكر أن المؤتمرات الصحفية كانت تعقد يوميا بحضور كل المراسلين الأجانب، ونجهز نشرة صحفية يومية للتصريحات الرسمية أو إجابات المراسلين، وكانت دول العدوان تلجأ إلى بعض الأساليب التى تحدث نوعا من الإثارة لاستغلالها.. كانت ترسل لنا بعض الصحفيين المشاغبين يحصلون على تصريحاتنا ويغيرون فيها، وكان الهدف من ذلك أن نطردهم من مصر لتحدث ضجة إعلامية، ولكننا كنا على وعى بمثل هذه الأساليب.

عبد الناصر فى هذه المرحلة كرمز وكقائد لمعركة السويس.. كيف تعاملتم مع صورته الإعلامية فى الغرب.. ومتى عرف الدكتور حاتم جمال عبد الناصر عن قرب؟

- عاد الدكتور حاتم بذهنه إلى الوراء قائلا: عبد الناصر وأنا كنا معا فى مدرسة العطارين الابتدائية بالاسكندرية.. كنا فى فصل دراسى واحد وكانت منازلنا قريبة مما يتيح لنا فرصة المذاكرة معا، وعلى الرغم من زمالتنا الا انى كنت باعتبره قائدا،

فى عام ١٩٥٢ كلفنى بإدارة مكتبة لشئون الصحافة حتى عام ١٩٥٤، ثم فوضنى فى إنشاء مصلحة الاستعلامات لتكون تابعة لوزارة الارشاد القومى، ثم أصبحت بعد ذلك المتحدث الرسمى باسم الحكومة وكانت جميع التصريحات باسمى... فى فترة الحرب كان بيننا خط ساخن للاتصال يوميا حتى منتصف الليل، يعطينى المعلومات وأعطيه صورة حقيقية عما يحدث حولنا، وكان هناك تبادل الآراء والمقترحات.. كان يطلع ويقارن المعلومات المختلفة، وكانت له قنوات عديدة فى الإعلام والسياسة.

أما عن التعامل مع صورة عبد الناصر خارجيا، فكان يتحتم إظهاره كقائد يعبر عن طموح وآمال شعبه ردا على الدعاية الغربية التى صورته كطاغية، وقد استخدموا أساليب غريبة للدعاية ضد عبد الناصر، فقد ظهر فى الأسواق كتاب عن نكات قيلت عن عبد الناصر وراءها الإنجليز والفرنسيون.. وبالمصادفة قرأت الكتاب واكتشفت أنه عبارة عن كتاب صدر للتنكيت على هتلر تم ترجمته فى السفارة البريطانية، وكانوا ينشروها فى سلسلة إشاعات ونكت فى نشرات توزع فى محطات البنزين، وكان من السهل اكتشاف ذلك الأمر وفضحة للرأى العام، لأن مناخ النكتة التى تقال عن هتلر مختلف تماما عن روح النكتة التى تقال عن عبدالناصر.

سماعى*

* د. عد القادر حاتم: ملف خدمتك ـ بلغة العسكريين ـ فيه تاريخ لا تنساه مصر مهما غاب عن الضوء.

٦ أكتوبر.. ودور الجبهة الداخلية والاعلام**

كانت خطة الحكومة لإعداد الدولة للحرب مبنية على مبدأ مهم هو عنصر المفاجأة، وكانت تشمل مرحلة ما قبل المعركة واثناء المعركة وبعد المعركة، وعلى أساس تقدير كل الاحتمالات المتوقعة وكيفية مواجهتها على مختلف المستويات العالمية والاقليمية والداخلية، حيث كانت تنقسم إلى خطة خاصة بالسياسة الخارجية

* مفيد فوزى : مجلة صباح الخير ، بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٤
** محمد مصطفى البرادعى : جريدة الأهرام، ١٩٩٨/١٠/٥ .

تقوم على تحليل موقف كل دولة على حدة حسب سياستها تجاه مشكلة الشرق الأوسط، وكذلك خطة عربية بالنسبة للدول العربية، وخطة متعددة المراحل بالنسبة لاسرائيل سواء لقواتها أو لشعبها، كما كانت هناك خطط أخرى بالنسبة للوضع الداخلى المصرى تغطى كل مجال من المجالات الوزارية المختلفة، على أن يقوم التحرك الاعلامى على أساس مبدأ أن مصر لا تريد الحرب لذاتها ولكن تريد تحرير ارضها وفقا للمبادئ العالمية والمواثيق الدولية، وهى النغمة المقبولة من العالم أجمع.

وكان مجلس الوزراء يعقد اجتماعات مطولة لإعداد الدولة للحرب تمتد إلى ٩ ساعات متوالية لإتخاذ جميع التدابير والاجراءات الضرورية والعمل على تلبية احتياجات الشعب والقوات المسلحة، استعداد لخوض المعركة التى كانت بدايتها مفاجأة الجميع.

ويتذكر الدكتور محمد عبد القادر حاتم الذى كان يرأس مجلس الوزراء نائبا عن الرئيس السادات - وصول برقية من المرحوم الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية آنذاك تتضمن حديث الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا له أثناء لقائه ظهر يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ أى قبل معارك أكتوبر بيوم واحد، حيث قال له: ان اسرائيل مقبلة على انتخابات وان ملف ازمة الشرق الأوسط لن يفتح الا فى بداية عام ١٩٧٤، الامر الذى يؤكد كيف نجح التخطيط المصرى فى مفاجأة كل من امريكا واسرائيل.

وقد أعلن هنرى كسينجر وزير خارجية امريكا بعد قيام حرب اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣، أن الاجهزة الامريكية قد فوجئت بإعلان هذه الحرب، مما يدل على نجاح التخطيط الإعلامى المصرى الذى خدع كلا من اسرائيل وامريكا.

وعن اعداد الجبهة الداخلية لمعركة المصير اقتصاديا ونفسيا ومعنويا وإعلاميا، فهنا أذكر حوارا مع الدكتور محمد عبد القادر حاتم الذى تولى مسئولية الوزارة عندما كلفه الرئيس الراحل أنور السادات أن ينوب عنه فى رياسة الوزارة إلى جانب وزارة الاعلام.

يقول فى حواره الذى سيذكره التاريخ: لقد كان القرار الاول لمجلس الوزراء هو عدم الإدلاء بأى تصريح مباشر أو تلميح عن الاعداد للحرب، وكانت احدى الاولويات هى اعادة ثقة الشعب فى الحكومة وفى وسائل الإعلام الوطنية، وعلى هذا الاساس جرى الاعداد والتخطيط الذى حقق النصر، وكان إعلام اكتوبر سندا وعونا فى نجاح الجهد الدبلوماسى والأداء العسكرى وتحقيق النصر النهائى، وقد صرح هنرى كيسنجر بعد قيام الحرب بأن الاعلام المصرى خدع اسرائيل وامريكا.

ان الذين عاشوا تلك الفترة يذكرون حالة الاحباط وشحوب الامل فى استرداد الارض.. ويذكرون مظاهرات الشباب تهتف ضد المسئولين، والبيان الذى أصدره المثقفون فى مصر ينتقدون فيه أوضاع الدولة وبقاء حالة اللا حرب واللا سلم.

وكان اهتمام وزارة ١٩٧٣ الرئيسى هو توفير متطلبات المواطنين من السلع الغذائية والتموينية، فلم يلجأ الشعب إلى التخزين لهذه المواد خلال المعركة كما يحدث فى الحروب فى دول كثيرة، إلى جانب توفير كافة المواد الضرورية للقوات المسلحة وكافة احتياجاتها.

ويذكر الدكتور حاتم باعتزاز فى حواراته ان شعب مصر بكل فئاته تميز بالارتفاع إلى روح المسئولية والتعاون والانتماء والمشاركة الحقيقية فى مختلف مواقع الخدمات والانتاج.

وكان للإعلام المصرى دور كبير فى حرب اكتوبر، فكانت السمة الرئيسية النبرة الاعلامية الهادئة واللغة المتزنة، فى اطار سياسة إعلامية صادقة استطاعت ان تجعل البلاغات العسكرية مجالا لذكر الحقائق دون مبالغة فى تقدير حجم خسائر العدو أو حجم الانتصارات المصرية، وكانت أجهزة الإعلام العالمية تتابع ما تذيعه وتنشره وسائل الإعلام المصرى، وأيضا كان للإعلام المصرى دوراً إيجابى مع جماهير شعب مصر والعالم العربى والعالمى، فبالنسبة لشعب مصر كانت مهمة الإعلام المصرى تستهدف رفع الروح المعنوية للشعب والجيش وتدعيم ثقة المواطن فى قياداته وكل مؤسسات الدولة. وفى توجهها للأمة العربية كان مضمون الرسالة الإعلامية المصرية

حشد الجماهير العربية وتدعيم التضامن العربى واطلاع الرأى العام العربى على حقائق الموقف أولا بأول.. وتبلور كل ذلك فى الاستخدام الفعال لسلاح البترول العربى.

أما توجه وسائل الإعلام المصرية إلى الرأى العام العالمى والغربى فقد استهدف كسب تأييد الرأى العام الغربى للحق العربى، سواء أكان رسميا أم شعبيا، وقام الإعلام المصرى بدور بارز فى الرد على الدعايات الاسرائيلية وتفنيد مزاعمها وأباطيلها.

وكان التزام السرية وعنصر المفاجأة أحد الأسس الرئيسية للتخطيط لمعركة اكتوبر، فلم يعرف توقيت بدء الحرب(ساعة الصفر) الا عدد محدود من القيادات العليا العسكرية وبينهم الرئيس مبارك قائد القوات الجوية آنذاك، وكانت وسائل الإعلام تركز على الايحاء بأن مصر تتجه نحو العمل والنضال السياسى.. ومن أمثلة ذلك ما حدث عندما زار فالدهايم سكرتير عام الامم المتحدة فى ذلك الوقت المنطقة، فقد تم تسريب اخبار لأجهزة الإعلام العالمية بأن مصر أكدت لفالدهايم ايمانها بضرورة التسوية السلمية بالشرق الأوسط.

كما راحت وسائل الإعلام المصرية تسرب اخبارا فى الصحافة الاجنبية بأن مصر ليست على مستوى الحرب، وان معدات الدفاع الجوى والصواريخ المضادة لا تقدر على التصدى أو مواجهة أى هجوم بعد خروج المستشارين السوفيت عام ١٩٧٢، والحقيقة أن كل الخطوات التى تم اتخاذها قبل أو اثناء المعركة كانت مدروسة بعناية لتحقيق الاهداف الموضوعة، وأساسها أن القرار هو قرار مصر واعتمادها على أبنائها فى استعادة الكرامة الوطنية.

إن التاريخ سيسجل كل المواقف والقرارات التى ارتبط بها مصيرنا، ليس فى تلك الايام بل وما تلاها من أيام.

لقد كانت حرب اكتوبر من أجل السلام وليس من أجل العدوان، وكانت من أجل استعادة الشرف الوطنى وليس من أجل اعتداء أو توسع فى أرض الغير.. أى تعبيرا حقيقيا عن حضارة الشعب المصرى..

الجندى المجهول فى حرب أكتوبر*

أغفل كثيرون ممن كتبوا عن نصر أكتوبر دور الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام السابق ونائب رئيس الوزراء يومئذ، الذى عينه الرئيس الراحل أنور السادات بطل الحرب والسلام قبل حرب أكتوبر لكى يتولى مهمة الإعلام الداخلى والخارجى خلال فترة الحرب.. إن الدور الذى قام به الدكتور حاتم فى هذا الصدد حظى بتقدير واهتمام مصادر عالمية كثيرة، على عكس ماحظى به الإعلام فى حرب يونيو ١٩٦٧، حيث ضخم المسئولون عن الإعلام فى ذلك الوقت خسائر اسرائيل وعدد الطائرات الاسرائيلية التى زعموا انها اسقطت، مما كان وصمة فى جبين الإعلام المصرى والعربى بوجه عام.

وكنت أود أن يهتم الصحفيون الذين كتبوا عن هذه المناسبة ان ينسبوا الفضل لأهله، حتى لا يقال اننا لا نهتم بجهود رجالنا الذين لهم دور كبير فى مجال الإعلام خلال هذه الحرب.

لقد كان د. حاتم يصدر سلسلة كتب (كتاب كل ٦ ساعات).

وهى دينية وثقافية تصدر بصورة دورية، وثمن بخس لا يرهق الشباب الناشئ، وقد صدرت مجموعة ضخمة من هذه الكتب الثمينة القيمة الرخيصة الثمن، وقد استعان بالناشر العربى الكبير الراحل الاستاذ محمد المعلم لإصدار هذه الكتيبات اسبوعيا بواسطة «دار القلم» التى أنشأها المعلم، واستمرت تؤدى هذه الخدمة الوطنية الجليلة، حتى قرر الرئيس عبد الناصر تأميمها والاستيلاء عليها. وبالتالى رحل المغفور له محمد المعلم إلى لبنان لمواصلة كفاحه فى عالم النشر.

ولعل اقامة التليفزيون العربى المصرى كان ولا يزال وسيظل يحمل بصمة الدكتور حاتم الذى حقق هذه المعجزة بأقل تكاليف ممكنة.. وأحدث الأجهزة المتاحة، كما قرر تكوين عشر فرق مسرحية جديدة تكفل تقديم فن راق للأسرة المصرية على شاشة التليفزيون، فضلا عن مساهمتها فى ظهور عشرات من الفنانين الجدد الذين أصبح كثير منهم نجوما فيما بعد.

** محمد مصطفى غنيم : جريدة الأخبار ، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٩٧ .

أما المجالس القومية المتخصصة التى أنشأها الرئيس الراحل أنور السادات وأسند رئاستها للدكتور حاتم، فهى لا تحتاج إلى حديث كثير، إذ يكفى الاطلاع على آلاف المشروعات والدراسات التى شارك فى اعدادها صفوة الخبراء فى كل مجال واصدارها فى تقارير منتظمة لمعرفة مدى الجهد الذى بذله هؤلاء الجنود المجهولون من أجل حل مشكلات وطنهم دون أن ينتظروا أجرا أو شكورا.

إننا نقول للدكتور حاتم شكرا لما قدمته أنتم وزملائكم ، ولا نقول وداعا.. لأن الرجال من أمثال حاتم سوف يواصلون عطائهم فى أى مكان وبأية صورة.

سماعى*

أخرجت مطابع الهيئة المصرية للكتاب - فى صمت وبلا جلبة أو دعاية - كتابا شديد الأهمية يستحق القراءة والمناقشة وإقامة الندوات حوله. الكتاب عن (التعليم فى اليابان)، ومؤلفه عميد الإعلاميين وشيخهم د. عبد القادر حاتم، واليابان من الدول التى تمثل نموذجا أسيوياً متميزا، وأعطت التعليم مساحة بلا حدود لهذه القضية المحورية فى التقدم والتطور. والدكتور حاتم يؤمن بمبدأ (فكر عالميا، ونفذ محليا) .think Globaly And Act Locally

ويرى ان الاستفادة بالقنابل المضيئة بالتجارب أمر هام، فما يلزمنا ونحتاج إليه هو (عقل جديد لعالم جديد) . ويعتقد. حاتم أن التعليم هو (دعامة النهضة) وأنه - أى التعليم - البند رقم واحد فى أى انتخابات فى الاحزاب العالمية، إن د. حاتم تربطه باليابان علاقة عميقة، ولهذا غرس عقله فى تربة اليابان الخصبة بالتجارب التى بهرت العالم كله، وأراد أن يقدم هذا البحث للاستفادة من مضمونه، ان طفل اليابان يطلقون عليه (الامبراطور) من فرط العناية بتكوينه الوجدانى، واريد أن أكون واضحا، إن التعليم فى اليابان - كما يرى د. حاتم - أساس نهضتها وتفوقها وتميزها، وتجربة المانيا هى فى (التعليم المهنى) .. ناقشوا كتاب الرجل بلا حساسيات، فهدفه أن يقدم لأبناء وطنه تجربته عبر الخمسين سنة الماضية (لا يستبقى شيئا) . ولا يبحث د. حاتم عن دور أو شهرة فهو الذى تبوأ أرقى المناصب وأهمها، ولعب كل الأدوار، وآخرها رئاسته لخلاصة الخبرة والعلم فى مصر فى المجالس القومية المتخصصة .

---

* مفيد فوزى : مجلة صباح الخير ، بتاريخ ١٩٧٧/٥/١٥ .

نشرت جريدة الأحرار فى ٢٠/٥/١٩٧٧
تحت عنوان: عبد القادر حاتم فى الميزان

يعد الدكتور عبد القادر حاتم الرائد الأول للإعلام العربى فهو الأب الروحى للتليفزيون المصرى وهو أيضا رجل سياسة من الطراز الأول وجزء لا يتجزأ من ثورة ٢٣ يوليو.

بدأ الدكتور عبد القادر حاتم حياته العملية فى القوات المسلحة وكان ضابطا لامعا، وقد أهله نبوغه العلمى للالتحاق بمعهد العلوم السياسية بعد حصوله على درجة الماجستير فى العلوم العسكرية «أركان حرب» لكنه لم يكتف بذلك وحصل على درجة الدكتوراة فى العلوم السياسية.

وعندما ظهرت حاجة مصر لإنشاء هيئة الاستعلامات لم يجد عبد الناصر سوى د. حاتم ليعهد إليه بهذه المهمة الضخمة لكن الرجل كان على قدر المسئولية وادى مهمته بنجاح، وظهرت الهيئة إلى الوجود وواكبت تطورات العصر المتلاحقة. بعد ذلك اختاره الرئيس عبد الناصر ليتولى مسئولية وزارة الارشاد القومى وكانت أولى انجازات الرجل فيها هى ادخال التليفزيون إلى مصر لأول مرة، وقام بتشييد مبنى التليفزيون العملاق فى ماسبيرو على كورنيش النيل وبفضل جهود د. حاتم تربع التليفزيون على القمة.

ولعب د. حاتم الدور الأكبر فى انشاء وتطوير وزارة السياحة وكان أول من لفت انظار الدولة إلى سياحة الشواطئ والسياحة الترفيهية فى البحر الأحمر، وخلال فترة توليه الوزارة تم انشاء أكثر من ٤٠ فندقا وإليه يرجع الفضل فى انشاء أول فندق بمدينة الغردقة عام ١٩٦٢.

وبعد ذلك نظرا لنجاحاته المتواصلة قرر الرئيس الراحل أنور السادات أن يعهد إلى الدكتور حاتم بأعمال مجلس الوزراء فى أصعب وقت واحلك ظرف عام ١٩٧٣، وعقب ذلك تم تكليفه بمهمة جديدة وشاقة وهى انشاء المجالس القومية المتخصصة واستطاع الرجل خلال العشرين عام الأخيرة أن ينشئ مجالس قومية فى مختلف المجالات الاقتصادية والانتاجية والتعليمية والثقافية وتحولت هذه المجالس بفضل قيادة الدكتور حاتم وسياساته الحكيمة إلى ينبوع للفكر المصرى العميق، ولعبت تقاريرها دورا هاما فى ارشاد الحكومات المتعاقبة إلى اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية وساهمت فى حل العديد من المشاكل المزمنة التى واجهت المجتمع المصرى.

ولأول مرة أصبح فى حوزة مصر كنز من البحوث العلمية والتطبيقية فى كل المجالات وقد تميزت هذه البحوث بالعمق والمقارنة والاستقراء بطريقة لم يسبق لها مثيل بعد أن استطاع الدكتور عبد القادر حاتم ببراعته وفراسته أن يختار مجموعة ممتازة من علماء مصر فى مجال البحث والتنفيذ وكانت النتيجة هى مجموعة من المجلدات الضخمة التى تضم ابحاثا علمية فى كل نواحى الحياة المصرية فى الماضى والحاضر والمستقبل.

وانجازات الدكتور حاتم فى خدمة مصر لا يمكن حصرها لكنها نقاط مضيئة فى تاريخ مصر سواء فى مجال الإعلام أو السياحة أو البحوث أو تحت قبة البرلمان أو فى مجال الحكومة التى ترأسها نيابة عن الرئيس السادات فى أحلك الظروف وأصعبها واستطاع بجدارة أن يمسك بزمام الأمور خلال حرب أكتوبر المجيدة وواجه الصعوبات والعقبات والصدمات بمرونة فائقة وهيأ الدولة فى كل المجالات لدخول حرب استعادة الكرامة والأرض وقام بدور إعلامى بارز ساهم فى خداع اسرائيل واقناعها بأن مصر غير مستعدة للدخول فى حرب جديدة معها.

وقال مدير المخابرات الاسرائيلية فى مذكراته أن ماقامت به أجهزة الإعلام المصرية أقنعنا بأن مصر جثة هامدة ولاتريد الحرب ودفعت العالم كله إلى القول بأن مصر تعمل من أجل حل الأزمة دبلوماسيا وبطريقة سلمية وكانت هذه أكبر خدعة، وحققت مصر المفاجأة الاستراتيجية ولم نعلم باعداد مصر للحرب إلا قبل بدء الحرب بساعات.

كلمة الناشر (١)

حينما كنت أعد هذا الكتاب للنشر، فكرت فى كلمة تتناسب مع قيمته، وكذلك مع مكانة مؤلفة، وبينما أجهز مادتى اهتديت إلى هذه الكلمة الطيبة من المرحوم الإذاعى الكبير أحمد طاهر مدير الإذاعة المصرية لمدة طويلة، وهى إهداء إلى المؤلف الاستاذ الدكتور محمد عبدالقادر حاتم، وهى كلمة معبرة ووافية:

«عندما فرغت من كتابى الإذاعات الدولية رأيت أن أهديه إلى شخصية ساهمت بنصيب وافر فى نهضة وسائل الإعلام بمصر. ولما كنت قد عاصرت الإعلام من قبل الثورة حتى هذه الأيام، وعملت مع موجهى الإعلام من وزراء وغيرهم، لم أجد غير الرجل الذى بذل العرق والجهد من أجل رفعة الإعلام المصرى، وخاض معارك إعلامية لا تقل شراسة عن المعارك الحربية لم أجد غير الدكتور محمد عبدالقادر حاتم الذى ترك بصماته على الإعلام خلال عدوان ١٩٥٦، عندما أنشأ الإذاعات السرية ضد قوات المعتدين وجمع الصور التى تدل على تعذيبهم للأهالى المدنيين، وما أنزلوه من أضرار بالمنشآت المدنية، لم أجد غير الذى وصلت فى عهده الإذاعات الدولية الصادرة من مصر إلى المرتبة الثانية بين الدول، أليس هو الذى احتضن البرنامج السواحيلى الثانى الذى قال عنه الدكتور شارلز هيل وزير الاستعلامات البريطانى فى مذكرة خاصة تحت عنوان نشاط إذاعات القاهرة:

«إن إذاعة القاهرة دائمة النشاط تتدفق مادتها ليس فقط باللغة العربية بل وباللغتين السواحيلية والصومالية». كما شكره وزير الداخلية فى حكومة الاقليم الشمالى فى نيجيريا، إذا أعلن أن برنامج الهاوسا من القاهرة كان من العوامل الرئسية التى ساعدت على الاستقلال، ويكفيه فخرا أن الحكومة البريطانية اعتمدت ١٣ مليون جنيه لتعزيز

دعايتها فى شرقى أفريقيا عن طريق الصور المغرية والكتب والمجلات حتى تنصرف شعوب القرن الافريقى عن سماع القاهرة. كما أشارت التايمز إلى أن الإذاعات الشرقية لا تعتبر عاملا يعتد به حاليا فى الشرق الأوسط وشرقى أفريقيا، لكن إذاعة القاهرة دائبة النشاط تتدفق منها الدعاية ليس فقط باللغة العربية بل باللغات الافريقية، والفضل فى ذلك يرجع لك أنت. لعل بعض هذه المعلومات التى أشرت إليها جديدة على بعض الناس، ولكن ماليس بجديد هو معرفتهم أنك تبنيت دار الإذاعة والتليفزيون، وأنك باشرت بنفسك تشغيل التليفزيون فظهر فى ٢٢ يوليو ١٩٦٠ - قبل إتمام بنائه كما وعدت.

«وفى هذا الإهداء لن أشير إلى أن القاهرة كانت تملك ولا تزال أكبر محطات إذاعة فى الشرق الأوسط، وكانت تذيع بأربعة وثلاثين لغة فى إعلامها الخارجى، ولكنى أود أن أسجل على الرغم من تركك وزارة الإعلام أنك كنت رائدا فى وضع الأساس فى صناعة الالكترونيات، ألا تذكر كيف كانت «كولدير» ومصانع بنها وشركة التليفزيون بمصر القديمة والمصابيح والبطاريات وغيرها فروعا من الهندسة الاذاعية؟ ثم ألا تذكر فى مجال الثقافة أنك أقمت لأول مرة المسارح التليفزيونية والمكتبات ودور العرض ودور الثقافة وغيرها وغيرها.

لقد أنشأت وكالة أنباء الشرق الأوسط بعد أن كانت أنباء مصر يسيطر عليها أحد الانجليز كرئيس لوكالة الأنباء العربية فى عام ١٩٥٥.

«وأخيرا ألا تذكر معركة ١٩٧٣، واللجنة التى كنت ترأسها ووضعت خطة الإعلام لما هو قبل المعركة ولما هو أثناء المعركة ولما هو بعد المعركة، وكيف أننا أوقفنا التشويش على إذاعات إسرائيل حتى يظهر كذبها من صدقها، ثم ألا تذكر كيف منعت جميع الأخبار الخاصة بالقوات المسلحة قبل المعركة؟ كنت تقلل وأنت تعرف الحقيقة من خسائر العدو، حتى إذا وقع فى المحظور واجهته بخسائره الحقيقية؟ لقد كسبت من وراء هذه السياسة ثقة الشعب والأمة العربية والعالم أجمع، لكل ذلك أهديك كتابى «الإعلامى الدولى».

وبعد، فهذه لمحات وفاء من بعض أبناء مصر البررة، والتى تؤكد أن مصر المعطاءة وفيه لابنائها، كريمة بشعبها، عزيزة بترابها. ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لخدمة هذا البلد الطيب وشعبه العظيم.

المؤلف فى سطور

الدكتور محمد عبدالقادر حاتم من مواليد الاسكندرية فى ٣ سبتمبر ١٩١٨.

- حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٣٩ من الكلية العسكرية بالقاهرة.
- حصل على دبلوم الاقتصاد السياسى عام ١٩٤٧ من لندن.
- حصل على ماجستير العلوم الاستراتيجية من كلية الاركان حرب الملكية بالقاهرة ١٩٥٢.
- حصل على ماجستير العلوم السياسية عام ١٩٥٤ من معهد العلوم السياسية جامعة القاهرة.
- حصل على دكتوراه من كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٦٠، وكان موضوع رسالته عن الاعلام من أجل تحقيق استقرار الحكم الداخلى وتحقيق السلام العالمى، وكانت أول رسالة علمية فى الشرق الأوسط تتناول الإعلام وحقوق الإنسان، بل ربما الأولى من نوعها فى العالم.
- اختارته أقدم جامعة فى فرنسا، «اكس ان بروفانس» فى عيدها المئوى عام ١٩٦٧ لتمنحه درجة الدكتوراه الفخرية، وقد تم اختيار أربعة علماء فى العالم لمنحهم هذه الدرجة، وكان هو الوحيد الذى اختير عن منطقة الشرق الأوسط والعالم العربى، وجاء فى كلمة التكريم فى الحفل: انه العالم الوحيد فى العالم الذى جعل الإعلام علميا فى خدمة حقوق الإنسان وتحرير الشعوب ولم ينال هذا التكريم الا الدكتور طه حسين عميد الأدب العرب الذى حاز شهادة الدكتوراه الفخرية من هذه الجامعة.

- أول من أنشأ وزارة للإعلام فى الشرق الأوسط، وأنشأ جهازا إعلاميا مبنيًا على إذاعة نالت المرتبة الثانية فى العالم فى أداء رسالتها وقوتها التى بلغت ٤٠٠٠ كيلوات، وتذيع بأربع وثلاثين لغة وعملت على تحرير البلاد العربية التى كانت محتلة من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى، فالمغرب والجزائر وتونس كانت تحت الاحتلال الفرنسى منذ عام ١٨٣٠، وليبيا ومصر والسودان والخليج وعدن تحت الاحتلال الانجليزى، وكذلك كانت تنادى بتحرير البلاد الافريقية كلها من الاستعمار، وأصبح هذا الجهاز الإعلامى الذى يتوخى الصدق وينادى بتحرير الشعوب وايقاظ الوعى سلاحا قويا من أجل السلام وتحقيق حقوق الإنسان، واضطرت جميع الدول المستعمرة إلى الجلاء عن البلاد العربية والدول الافريقية... وهكذا أثبت الإعلام انه سلاح للسلام وبدون اراقه للدماء، وبعكس ما كانت تفعله الدعاية النازية أو الفاشية ضد الشعوب والدول للحض على القتال والدمار والكراهية.

وقال: لقد جربت البشرية الحرب، واليوم جربنا الإعلام، فأثبت الإعلام انه أفضل من أجل السلام والعدل وتحقيق الاستقرار.

- أنشأ أول وكالة أنباء وطنية فى الشرق الأوسط عام ١٩٥٥، وكذلك أنشأ عام ١٩٦٠ التليفزيون العربى فى القاهرة ليغطى جمهورية مصر من الاسكندرية إلى أسوان، وكذلك تليفزيون دمشق وحلب إبان عهد الجمهورية العربية المتحدة التى ضمت مصر وسوريا.. وكان الثامن فى العالم، كما رسم تخطيطا شاملا لكل محطات التليفزيون فى البلاد العربية، وكذلك معاهد تدريب الإعلاميين فى مصر.

وقد نقل التليفزيون فى مصر المواطن المصرى - كما ذكر نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل، والذى كان مستشارا للدكتور محمد عبد القادر حاتم - مائة عام للأمام، لأنه دخل كل قرية، وبتوجيهاته وضعت أجهزة التليفزيون كبيرة الحجم فى جميع ميادين مصر حتى يمكن أن يشاهد كل مواطن ما يعرضه التليفزيون، وكان أول تليفزيون يستخدم من أجل محو الأمية، ووضع شعار «التليفزيون يجب أن يكون مُثَقِفا ومُثَقَّفا».

- ولعل هذه الجهود كانت من بين الأسباب التى دفعت جريدة ـ التايمز ـ فى مايو عام ١٩٧١ ـ إلى أن تقول: إن الدكتور حاتم هو مهندس الإعلام الأول فى الشرق الأوسط.

- أنشأ داراً قومية فى مصر للثقافة تصدر كتابا كل ست ساعات لكل مواطن بأسعار فى متناولهم.

- أنشأ أول هيئة سينمائية لتنتج مائة فيلم كل عام، يتلقفها كل العالم العربى وتساهم فى نشر الفكر والثقافة.

- قام بحملة انقاذ أبو سنبل والمعابد المصرية الفرعونية التى كانت معرضة للغرق بعد انشاء السد العالى، وكان متبقيا على اتمامه ٩ شهور ثم تغرق هذه الثروة التى هى ملك للحضارة العالمية، وبصفته نائبا لرئيس الوزراء للإعلام والسياحة والثقافة، قام بهذه الحملة ـ حيث لم تتمكن اليونسكو من جمع الأموال اللازمة لإنقاذ هذه المعابد ـ فوظف الإعلام من أجل إنقاذ هذه الآثار. حتى أمكن إقناع كل الدول التى رفضت التبرع من قبل أن تمنح مصر الأموال اللازمة لعملية الإنقاذ. وقد حدث ان اجتمعت اللجنة المالية فى الكونجرس ـ وكانت هى نفس اللجنة التى سبق لها أن رفضت التبرع بواسطة اليونسكو ـ بعد الحملة الإعلامية القوية، لتناقش مشروع القانون الذى عرضته الحكومة الامريكية للتبرع لهذه الآثار، ولكن رئيس اللجنة قال.. من هو المستر أبو سنبل الذى نعطيه ١١ مليون دولار.

- كان أول من قرر سفر الآثار الفرعونية، ومنها قناع توت عنخ آمون الذهبى، إلى بلاد العالم المختلفة ليثبت عظمة الحضارة المصرية ويدعو الشعوب لدعمها والحفاظ على آثارها.

- جعل من القاهرة أكبر عاصمة للثقافة فى الشرق الأوسط، بعد إنشائه عشر فرق مسرحية يعمل بها أكثر من مائتى ممثل، قاموا بتقديم روائع الفكر المصرى والعربى والعالمى، وترجمت أمهات الكتب والمسرحيات العالمية تنفيذا للانفتاح الثقافى على العالم. وهكذا جعل الثقافة ملكا للشعب.

- كما ترجم الكثير من الكتب العربية للغات الأجنبية، إثراء للفكر العالمى، من أجل أزدهار الحضارة والسلام وإثراء الفهم المتبادل بين الشعوب.

- أما عن الإعلام من أجل السلام، فقد قام بإدارة وتنظيم جهاز إعلامى قومى فى عام ١٩٥٦ تصدى للعدوان الثلاثى على قناة السويس، وأمكنة تعبئة الرأى العام العالمى فى جميع أنحاء العالم، من اليابان وأندونيسيا حتى أفريقيا والبلاد العربية وأوروبا والولايات المتحدة - ضد العدوان الثلاثى .

- وكان الإعلام يتوخى الصدق وينشد الحقيقة ويشرح بطرق ديمقراطية أن الحرب هى الدمار ، وأن العلاقات الإنسانية وحقوق الإنسان هى أساس التقدم والحضارة والرقى.

- كذلك قام بحملة قومية إعلامية حينما كان قائما بأعمال رئيس وزراء مصر عام ١٩٧٣ ، وكلف بإعداد مصر إعلاميا لتحرير أراضيها التى كانت تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، فأنشأ أول محطة كانت تحاول إقناع شباب ونساء إسرائيل بأن مصر تريد السلام وأن زمن الحروب قد إنتهى وأن مصر ترغب فى تحرير أراضيها ، وكان الإعلام صادقا ويقول الحقيقة ، حتى أن رئيسة وزراء إسرائيل قالت : ان الإعلام المصرى هزمنا هزيمة نكراء ، وكان هذا منعطفًا فى تحويل الرأى العام الإسرائيلى نحو السلام .

وبداية الدكتور حاتم مع المسيرة الإعلامية كانت مبكرة منذ بداية الخمسينات:

- منذ عام ١٩٥٢ حينما قامت الثورة المصرية بقيادة عبد الناصر عمل مستشارا له، ونائبا لرئيس الوزراء للإعلام والثقافة والسياحة، فأنشأ أول وزارة للإعلام وأول وزارة للسياحة فى الشرق الأوسط، وجعل شعاره: الإعلام من أجل السلام والسياحة من أجل السلام.

- ثم عمل مع الرئيس السادات بمهام رئيس الوزراء. ثم مع الرئيس حسنى مبارك رئيسا لأكبر جهاز علمى استشارى يعاون رئيس الجمهورية وهو المجالس القومية المتخصصة. ومن أعضاء هذا الجهاز نخبة من الوزراء وكبار المتخصصين، ليكون بمثابة العقل المفكر brain Store بمصر، الذى يبحث خطط وسياسات واستراتيجيات المستقبل.

- منحت جمهورية مصر العربية. د. عبد القادر حاتم أعلى وسام وهو قلادة الجمهورية التى تمنح لرؤساء الدول ورؤساء الوزراء.
- منحه امبراطور اليابان أعلى وسام فى اليابان، وسام الشمس المشرقة.
- منحته ايطاليا أعلى نيشان فى ايطاليا.
- كما حاز أربعين وساما من دول العالم، وهو أكبر عدد من الأوسمة تعطى لشخصية فى العالم، وذلك لجهوده من أجل التفاهم والتقدم والسلام والثقافة.
- وضع عدة مؤلفات بالعربية والانجليزية واليابانية:

ومن مؤلفاته العربية:

١- الإعلام وتحقيق حقوق الإنسان.

٢- الإعلام لاستقرار الحكم الداخلى وتحقيق السلام العالمى.

٣- أسرار تقدم اليابان، يبين انه حينما لجأت اليابان إلى السلام... وكرست جهودها لذلك أصبحت من أقوى دول العالم.

٤- القانون الدولى على ضوء القمر الصناعى، عام ١٩٦٠، بين فيه خطورة اختراق الاجواء للدول بالبث التليفزيونى، إذا لم يعمل هذا البث التليفزيونى من أجل الإنسانية والتقدم والحضارة والثقافة والسلام، وهكذا تنبأ منذ عام ١٩٦٠ بخطورة البث الفضائى.

٥- الرأى العام.

٦- الدعاية والإعلام.

٧- الإعلام فى القرآن الكريم.

٨- الإعلام العربى فى خمس حروب.

٩- الأخلاق فى الاسلام.

١٠- الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام - دعوة مستقبلية.

١١- الصحافة فى مصر.

١٢ ـ الأحزاب السياسية فى العالم.

١٣ ـ ديمقراطية الإعلام والاتصال.

١٤ ـ التعليم فى اليابان .

ومن مؤلفاته باللغة الانجليزية:

١ـ أرض العرب.

٢ـ الإ علام والقضية العربية.

٣ـ الحياة عند قدماء المصريين.

٤ـ سماحة الإسلام.

٥ـ الأخلاق فى الإسلام.

٦ـ توحيد النقد فى البلاد العربية.

ومن مؤلفاته باللغة اليابانية:

١ـ مصر أمس وغد.

٢ـ بلاد الشمس المشرقة.

ـ شغل منصب استاذ فى الجامعة المصرية بالقاهرة بعد أن أنشأ كلية الإعلام بها، وكذلك عمل استاذا فى أقدم جامعة فى العالم وهى جامعة الأزهر، ليحاضر من أجل السلام والأديان ومناهضة العنف والتطرف.

ـ رئيس جمعتى الصداقة اليابانية والاسبانية.

ـ استاذ زائر فى جامعات لندن وكمبردج واكسفورد ودرهام.

ـ رئيس الجمعية المصرية للعلوم السياسية.

ـ شغل منصب رئيس مجلس إدارة أكبر جريدة فى الشرق الأوسط والعالم العربى والإسلامى وهى جريدة الاهرام.

ـ كان نائبا فى البرلمان منذ عام ١٩٥٧، لمدة تزيد على عشرين عاما.

- أنشأ جمعية خيرية تضم مسجد ومستشفى لمحدودى الدخل كما تهتم بتقديم الخدمات الاجتماعية فى حى عابدين الذى ظل د. حاتم نائب عشرين عاماً عن هذه الدائرة.

هوايته المفضلة : الرسم.

المحتـوى

الباب الثالث:

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٣٣٨/٢٠٠٣
I.S.B.N 977-01-8920-0



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان مبارك

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن ٢ جنيهاً